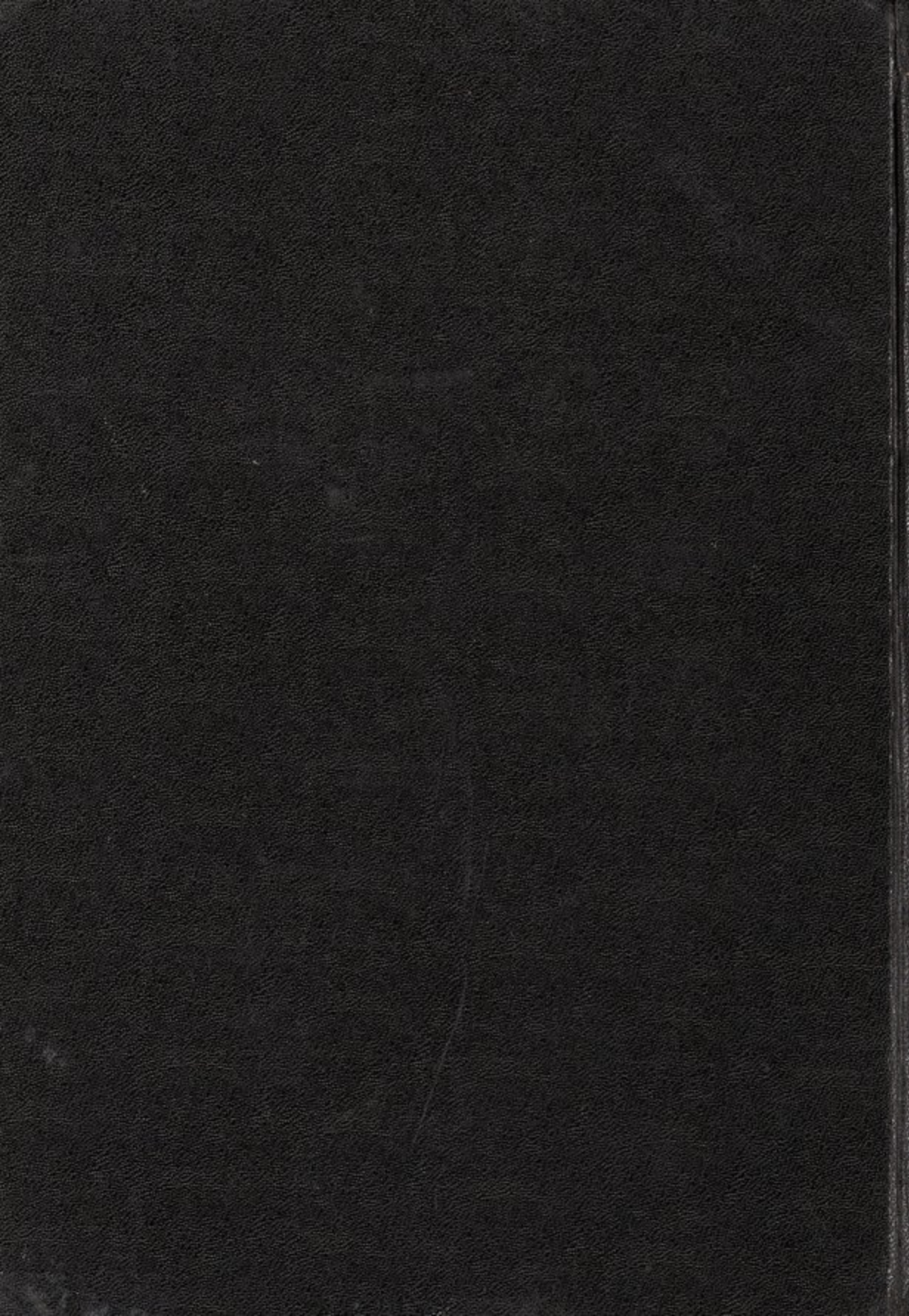




0/25

~~10
10~~

1917

لغة ای استادی اندیم ارسنی ببرد صد و پنج
 مع اولاد و اولاد عجب
 ۱ آذر ۱۹۲۷
 محمد و احمد
 محمد

فایز التزیینة

تألیف

عبدمشوق



۷۰

الطبعة الثانية منقحة ومزیدة

57375

طبعة الکشاف پربت

اهداء الكتاب

الى كل معلم عربي غيور على الجامعة العربية عامل
على شد اواصرها بين الاقطار العرييه الناهضة
الى كل معلمة تبث في نفوس النشء الطاهرة
روح الشعور القومي العربي
اقدم كتابي هذا بقلب ملؤه الامل والرجاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الاولى

مدارس المعلمين في الشرق العربي الناهض بحاجة ماسة الى كتاب في تاريخ التربية والتعليم يبحث عن نشوء روح التربية عند الامم المختلفة ويتبع تطور الطرق والاساليب التهذيبية من اقدم العصور الى وقتنا الحاضر .

ولقد شعر الغربيون باهمية هذا الموضوع ومكانته السامية فوضعوا فيه التأليف القيمة العديدة . واما لغتنا العربية فهي — وبالله اسف — خلو من هذه الابحاث على اهميتها وفائدتها . لذلك رأيت ان اثبت بلغتنا المحبوبة هذه الفصول الموجزة التي اقتبستها من مصادر اجنبية وعربية مختلفة فجاء الكتاب مشتملا على دراسة مختصرة للتربية الشرقية واليونانية والرومانية والمسيحية والاسلامية ثم يتناول التربية في عصر النهضة والاصلاح الديني والتربية الواقعية والترويضية ؛ وفيه فصول عن النزعات الطبيعية والبيسيكولوجية والعلمية والاجتماعية والتيارات العصرية الحالية .

واهم المصادر التي استقيت منها مادة هذا الكتاب : مؤلفات پول مونرو (P. Monroe) الدكتور في الفلسفة واستاذ تاريخ التربية في جامعة كولومبيا وصاحب دائرة المعارف في التربية والتعليم ، وكتاب تاريخ التربية للعلامة كبرلي (Cubberley) استاذ التربية بجامعة ليلاند ستانفورد وكتاب الاستاذ سيلي الدكتور في الفلسفة والاستاذ بكلية ترنتون (Levy Seelÿ) . واني لمدين في بحثي عن النزعة الطبيعية لكتاب الدكتور حسين بك هيكل « جان جاك روسو ، حياته وكتبه وآراؤه . »

ولقد وجدت صعوبة في وضع بعض الاصطلاحات فاخترت اصلح الكلمات العربية المقابلة للاصل الافرنجي وذكرت معها الاصل حرصاً على المعنى فارجو من اخواني الذين يشتغلون بتدريس هذا الموضوع ان يرشدوني الى مواطن الخطأ ، واقصى املي من هذا العمل ان يتقبله اخواني المدرسون - على علاقته - ويستفيدوا منه في صناعتهم الشريفة المقدسة .

عبد الله منوق

دار السلام في ٥ ايار ١٩٢٦

الطبعة الثانية

بيروت كانون الثاني ١٩٣٧

فهرس الكتاب

الباب الاول

التربية في القرون الاولى

الصفحة

٩ الفصل الاول — التربية في العصور القديمة قبل التاريخ

» الثاني — التربية الشرقية ١٣

» الثالث — التربية اليونانية ٢٢

» الرابع — التربية الرومانية ٤٩

الباب الثاني

التربية في القرون الوسطى

٦١ الفصل الخامس — التربية المسيحية

» السادس — التربية العربية الاسلامية ٧٨

الباب الثالث

التربية في العصور الحديثة

١١١ الفصل السابع — عصر النهضة والتربية الانسانية

١٢٥ الفصل الثامن — الاصلاح الديني وآثاره في التربية والتعليم

» ١٣٥ التاسع — التربية الواقعية

» ١٥٠ العاشر — جون لوك والتربية الترويضية

١٥٩ الفصل الحادي عشر — النزعة الطبيعية في التربية والتعليم

» ١٧٩ الثاني عشر — النزعة البسيكولوجية في التربية والتعليم

» ٢٠٢ الثالث عشر — النزعة العلمية الحديثة

» ٢١١ الرابع عشر — النزعة الاجتماعية

» ٢٢٠ الخامس عشر — النزعة الانتخائية الحالية



كان للاحلام تأثير كبير على عقلية الانسان القديم لانه يرى فيها ان شخصه قد قام باعمال واشياء عجيبة فيسأل اخوانه عنها حينما يستيقظ فيؤكدون له ان جسمه لم ينتقل ولم يتحرك من مكانه . فشأ من جراء ذلك الاعتقاد المشهور بوجود « القرينة » وهو ان الانسان القديم اعطى جسمه المادي روحاً غير مادية تنتقل من جسمه في اثناء النوم فتقوم بالاعمال التي يراها في الاحلام وبعد انتهاء تلك الاعمال ترجع الى جسمه .

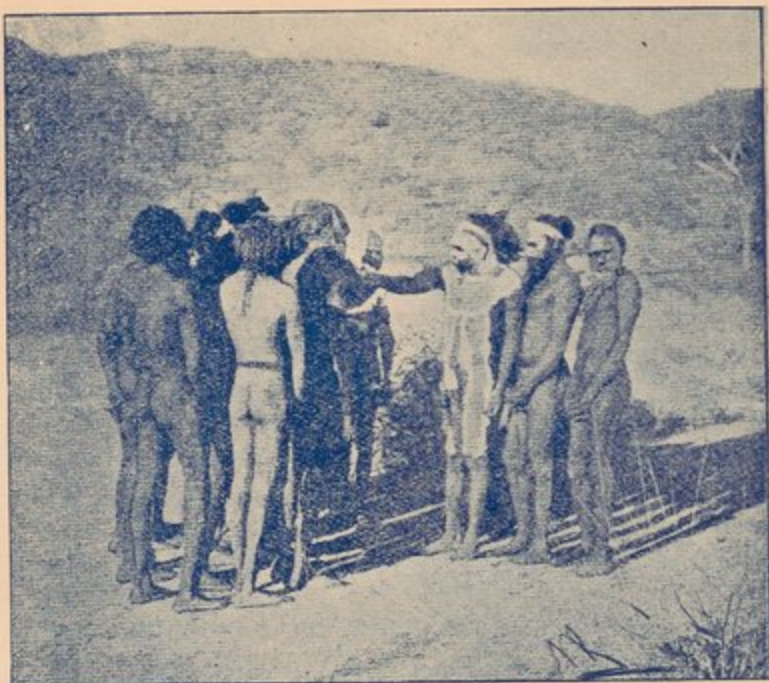
والغريب انه كان يعلل الجنون بحلول قرينة شريرة في جسم لا يخصها . واما حالة الاغماء والصرع فكان يعللها بمغادرة القرينة للجسم مؤقتاً ، ولا تغادره نهائياً الا في حالة الموت . واغرب من هذا انه ساوى بنفسه الاشياء والمخلوقات التي يراها حوله فاعطاها قرينة تشابه قرينته ، لانه كان يشاهدها تشترك في الاعمال التي يقوم بها في احلامه ، مع انها هي ايضاً لم تتحرك من مكانها كما يعلم ، ولهذا فانا نرى ان لبعض القبائل المتوحشة التي تمثل الانسان القديم عادة قتل الجواد والكلب اللذين يخصان الميت حتى انهم يقتلون امرأة الفقيد ايضاً ، وما ذلك الا لتستطيع قرائن هذه المخلوقات مغادرة اجسام ذويها فترافق قرينة الرجل وتخدمها كما كانت تفعل في اثناء حياته .

ويعتقد الانسان القديم ان كل هذه الاشياء التي تحيط به متصفة بالشعور والارادة وحاوية على قرينة لانه يقيسها بنفسه كما قلنا . ولهذا فقد كان يعتقد ان بعض هذه الارواح موالية له وبعضها معادية . فالموالية تساعد وتشاركه بالقيام بالاعمال النافعة والمقيدة له بعكس المعادية التي تعمل على اذيته وهكذا فقد كان يعتقد ان الارواح منبع الخير والشر والنفع والاذى .

أثر هذه المعتقدات في التربية القديمة

تقتصر حياة الانسان في العصور الاولى قبل التاريخ على ايجاد الوسائل والتدابير للقيام بحاجاته الجسمية الضرورية — من مأكل ومشرب وملبس ومأوى — ولما كان لكل من هذه الاشياء التي يحتاج اليها روح او قرينة تحتم عليه ان يسيطر على هذه

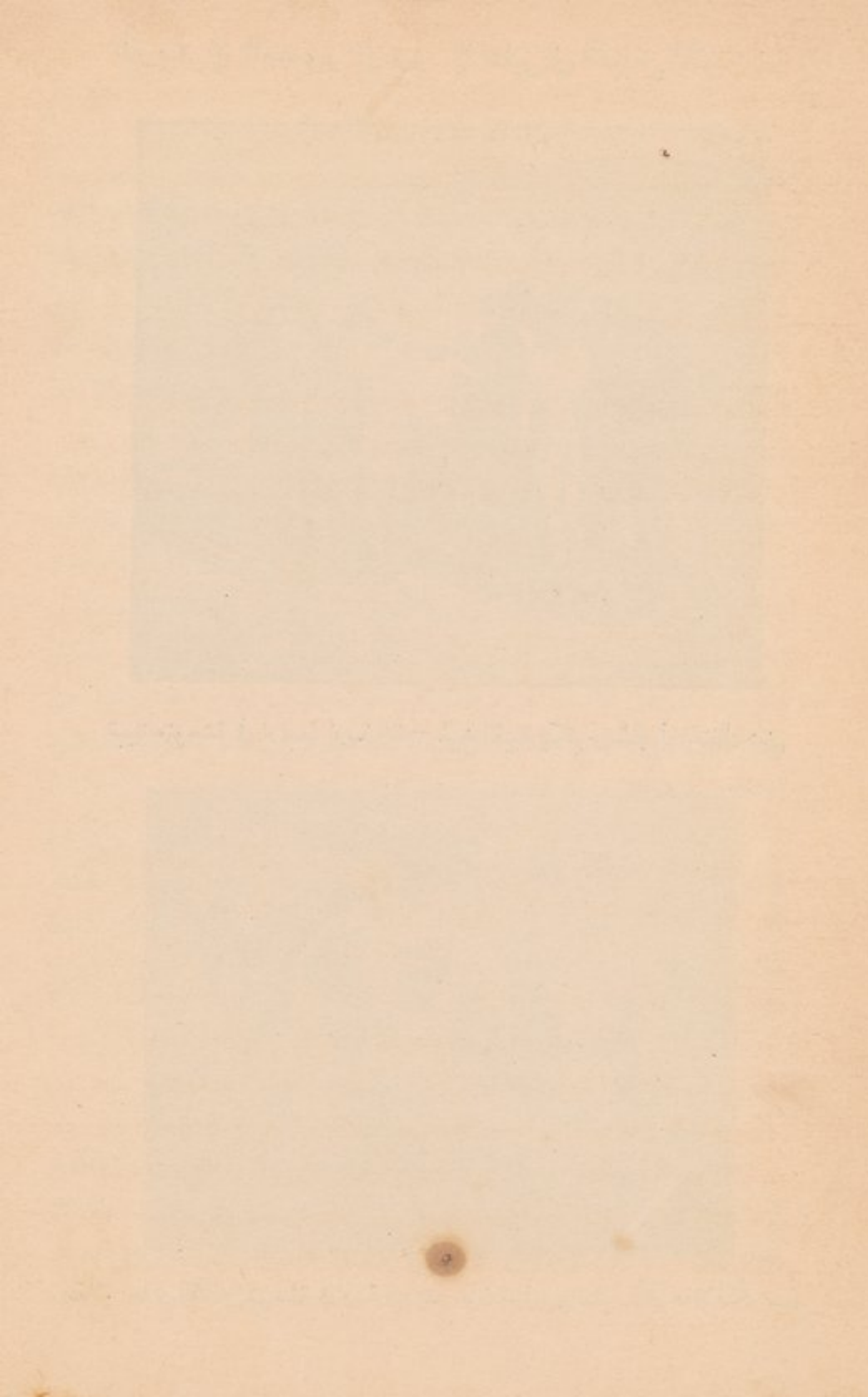
التربية في العصور الاولى كما تظهر في القبائل المتوحشة



قبيلة متوحشة في اواسط اوستراليا - شيخ القبيلة يكرس شابا في احتفال ديني



عقلاء احدى القبائل المتوحشة في اوستراليا يشرحون تعاليمهم للشباب في حفلة تكريسهم



الارواح قبل ان يتمكن من استعمال تلك الاشياء والاستفادة منها وكان اذا عزم على القيام بعمل ذي شأن كرحلة او صيد او حصاد او زواج يبحث عن الوقت المناسب ويرى ما اذا كانت حالة الارواح تساعد على القيام بهذه المشاريع . فالتربية القديمة كانت اذن على شكلين :

(١) التربية العملية : او التدريب الضروري للحصول على الحاجيات الضرورية كالقوت والمأوى والاسلحة ومعرفة استعمالها من اختبارات القبيلة وتقاليدها ومن ارشادات الرؤساء الدينيين والحكماء ، تلك الارشادات التي اثبتت بالتجربة انها لا تغضب قرائن تلك الاشياء .

(٢) التربية النظرية : ويراد بها تمرين افراد القبيلة على الاشتراك بالمراسم والاحتفالات التي يكتسب بها رضى الارواح عامة فتعزدهم في اعمالهم المهمة . فالتربية النظرية القديمة وان كانت تختلف في الشكل عن التربية النظرية الحديثة فانها تشبهها كل الشبه من حيث الغاية والمقصد . فكما ان التربية النظرية الحديثة تساعد الانسان الحديث على فهم محيطه فكذلك التربية النظرية القديمة فقد كانت تساعد على فهم ما يجري حوله .

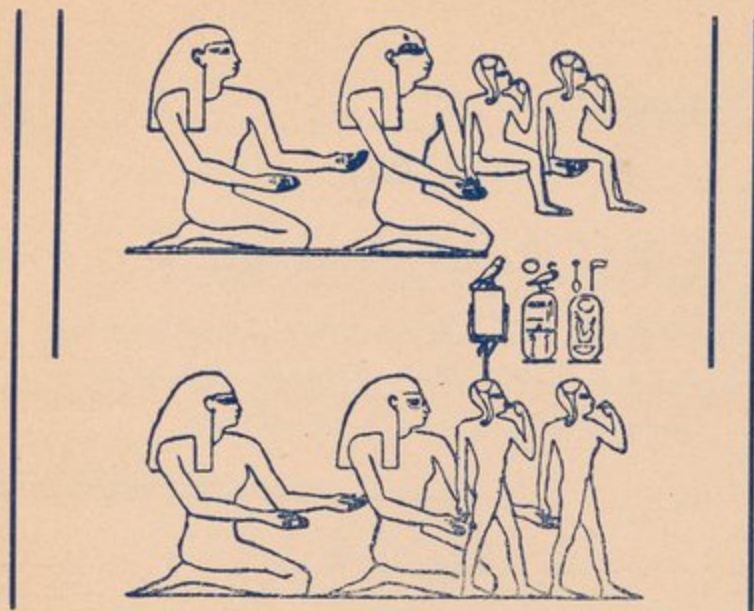
فالعالم في عصرنا الحاضر يفهم العالم المادي ويعمل اسباب الحوادث وكيفية تطورها ويرجعها الى اسس نظرية وكذلك الانسان القديم فانه كان يستعين بالتربية النظرية لفهم حقائق التربية العملية ولتأخذ مثالا على ذلك . الا نرى ان العالم الحديث يضع اشارات وعلامات ورموزاً واصطلاحات في الكيمياء والطبيعات ليتمكن من فهم تلك القوى الكيماوية والطبيعية لاستخدامها لمنفعته . وكذلك كان الانسان القديم ينسب لكل شيء مادي روحاً غير مادية وينسب الى كل من هذه الارواح علاقات وروابط تربطها بسواها من الارواح وما ذلك الا لفهم تلك الاشياء واستخدامها لمنفعته الخاصة . وهكذا نرى ان التربية العملية في العصور القديمة كما في العصور الحديثة لا تفهم ولا تدرك الا بالتربية النظرية ولا ترتقي التربية العملية ما لم ترتق التربية النظرية . فالغاية من التربية في العصور القديمة — اذا كانت ثمة غاية معينة — لا نعلم ان

تلك الكيفيات كانت تجري بصورة لاشعورية — ماهي التكيف الانسان لمحيطة المادي والمعنوي بمقتضى اساليب وطرق معينة سواء أ كان ذلك في الاعمال العادية ام في العبادات . ويجب ان تذكر أن هذا التكيف لا يكون من قبل الفرد مستقلا عن المجموع وإنما على الفرد أن يسلك الاساليب والطرق والتقاليد التي سار عليها المجموع من قبل . وهكذا نرى ان الحرية الشخصية كانت مفقودة تقريباً في القرون الاولى . حتى ان حقوق الفرد ومصالحه كانت مدمجة بحقوق المجموع بخلاف العصور المتقدمة التي عكبت العصور الاولى حيث المجال واسع اما الافراد للظهور ولتكييف انفسهم كإشأؤون مستقلين عن المجموع وذلك بفضل الحرية الشخصية .

عوامل التربية في القرون الوسطى

كانت العائلة العامل التهديبي الوحيد في القرون القديمة ومصدر التربية العملية الاولى ، فكان الطفل ينشأ على ما يشاهده من اختبارات عائلته المادية فيفسر على هذه الاساليب التي يرثها عنهم ويحافظ عليها . ولا يخفى ان توزيع الاعمال في العائلة بين الرجل والمرأة قد سبب تطوراً ورقياً في تلك الاعمال . فالرجل الذي اخذ على عاتقه القيام بالدفاع عن العائلة والاهتمام بالصيد والقتل أصبح بهذا التقسيم قادراً على القيام بالاعمال التي اختص بها حق القيام . كما ان المرأة التي تخصصت بتحضير الطعام وتدير شؤون المنزل فانها هي ايضاً اتسع لها المجال لاتقان هذه الامور ، ولا يجب ان ننسى ان كل تلك الاعمال كانت مرتكزة على اساس التقليد اللاشعوري ثم لما ارتقى الانسان في سلم المدنية والحضارة أصبح هذا التقسيم بين العائلات لا بين الافراد . فاخذت كل عائلة تختص بعمل من الاعمال ومن هذا الاختصاص نشأت الطبقات الاجتماعية المختلفة في القبائل اما التربية النظرية ووظيفتها كما قلنا اكتساب رضى الارواح وادراك سير الحوادث وتعليلها فانها كانت ملقاة على عاتق الحكماء والعرافين والمنجمين فكان هؤلاء يطلعون الافراد على اسرار هذه الارواح وعلى التقاليد المتبعة في المراسم والاحتفالات ولكنهم كانوا يحدثون الافراد عن ذلك دون ما شرح للاسباب فيعلمونهم ما يجب عمله وما يجب تجنبه وكيف يكون ذلك ولكن بدون تعليل لتلك الاعمال .

الاعتقاد « بالقرينة » عند قدماء المصريين

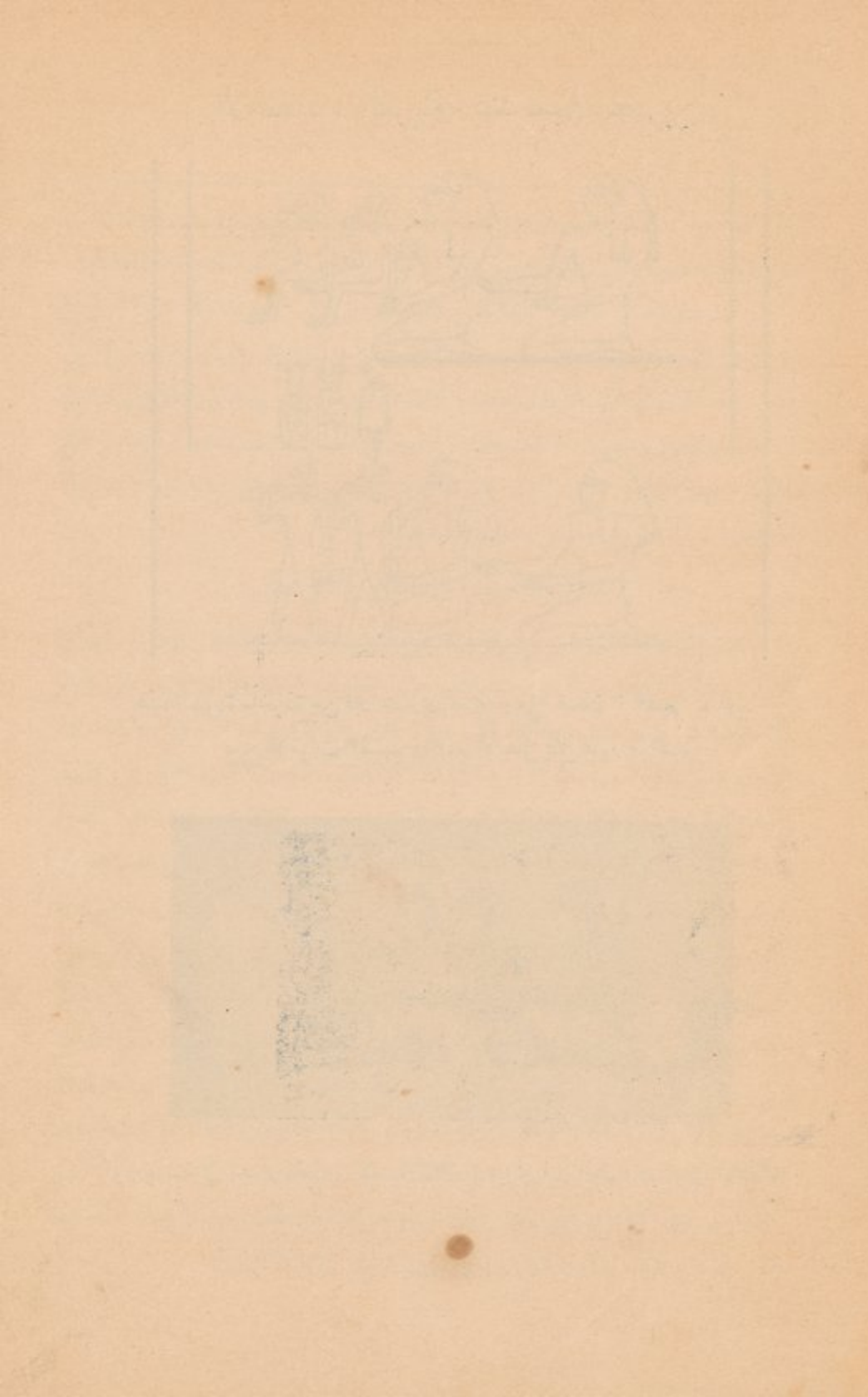


هذه الصورة مأخوذة من قبر مصري قديم وهي قسمان : القسم الاعلى
صور الاموات انفسهم والقسم الاسفل يمثل صور قرائنهم



مدرسة في احدى القبائل الهندية المتأخرة ويرى فيها المعلم وهو يعلم الاطفال
الكتابة على سعف النخيل بقلم من حديد

(راجع صفحة ١٠)



الفصل الثاني

في التربية الشرقية : التربية الصينية

نظر الصينيين الى التربية - مذهب كونفوشيوس وتعاليمه - تاريخ التربية الصينية وتطورها - طريقة الصينيين في التربية - اللغة الصينية - اقسام الدراسة الامتحانات العامة - طريقة الصينيين في التربية ونتائجها

نظر الصينيين الى التربية

تظهر لنا العلاقة الاساسية بين التربية وحياء الصينيين الاجتماعية من العبارة الاتية التي تنقلها من كلام الفيلسوف الصيني الكبير (كونفوشيوس ٥٥١ - ٤٧٨ ق م) حيث يقول « الطبيعة هي مامنحتنا اياه الآلهة ، والسير بمقتضى شروط الطبيعة هو السير في صراط انواجب ، وادارة هذا الصراط وتنظيمه هو القصد من التربية والتعليم » . فالغاية من التربية تدريب الفرد في صراط الواجب الحاوي على جميع اعمال الحياة وعلاقة هذه الاعمال بعضها ببعض . وبما ان الاختبارات والتقاليد والعادات والمعلومات الموجودة هي من نعم الآلهة (السماء) فوظيفة التربية في نظرهم المحافظة على تلك المعلومات والسير بموجبها مع مراعاة جميع حذافيرها . ولهذا فانا نرى انه كان ولا يزال للتربية عند الصينيين الشأن الاول في الهيئة الاجتماعية لانها العامل المهم في نقل الاختبارات والمعارف القديمة .

مذهب كونفوشيوس

لتعاليم كونفوشيوس الشأن الاول في التربية الصينية لانها تبحت في جميع مقتضيات الحياة ، فهي تبحت عن الحكومة والانظمة والقوانين والشرائع والاخلاق .

والعادات وجميع شؤون الهيئة الاجتماعية . ولذلك فالتربية لديهم كانت قائمة على درس هذه التعاليم والعمل بموجبها واليك مثالا من هذه القوانين تقدمه ليتضح لنا هذا البحث :
 مادة (١) الملك يأمر وزيره الاول بارسال دروس الفضيلة التي يصدرها الملك وتبليغها الى الملايين من الناس .

مادة (٢) يجب على الاولاد ان يخدموا اقاربهم فعند صياح الديك يتحتم عليهم ان يغسلوا ايديهم واقواهم ويمشطوا شعورهم ويلبسوا على رؤوسهم الغطاء الحريري ويشربوه بالدبابيس (ثم يصف بتفصيل طريقة لبسهم)
 مادة (٣) ونفس المادة للنساء .

ثم نجد فصولا عديدة من هذا النوع تبحث عن كيفية اللبس وآدابه وما يشابه ذلك من الابحاث . وهكذا فانا نرى ان تعاليم كونفوشيوس كانت تبحث عن كل ما يحتاجه الصيني وتقيد ذلك بشروط لم يتكرها الفيلسوف كونفوشيوس وانما وجدها جارية شائعة فدونها لهم .

على اننا نجد ايضا ابحاثا مطولة في الفلسفة والعلاقة الروحية بين الافراد فيروى عنه ان رجلا سأل هذا السؤال « ألا يوجد لديك كلمة واحدة يسير بموجبها الانسان في حياته ؟ »

فاجابه قائلا نعم « هذه الكلمة هي - التبادل - واريد بها الا تفعل لغيرك ما لا تريد ان يفعل الغير بك » .

وقد سن كونفوشيوس خمسة انظمة للعلاقات المتبادلة : بين الملك والرعية ، وبين الاقارب والولد ، وبين الزوج والزوجة ، وبين الاخ واخيه ، وبين الصديق وصديقه . وقال ايضا « توجد خمس حواس وخمس سيارات وخمسة الوان فكذلك توجد خمس فضائل وهي - العدل ، النظام ، الحكمة ، الامانة ، الاحسان - »

فكتب الفيلسوف كونفوشيوس كانت كما رأينا محتوية على الشرائع والقوانين والواجبات وجميع ما يتحتم على الصيني عمله او تجنبه في علاقاته الخاصة والعامة في عائلته ومع اخوانه وتجاه الحكومة .

ولهذا فالتربية لدى الصينيين كانت تقتصر على دراسة هذه الكتب وواجب الطالب في المدرسة ان يستظهر كل ما في هذه الكتب المقدسة من الحكم . والامر الذي زاد في الاقبال على هذه المبادئ وعلى دراستها وحفظها هو ان زمام الحكومة كان يلقى لمن ينبغي في حفظ هذه القوانين .

ولذلك فقد كان الصينيون يقبلون على درسها بولع واهتمام عظيم اما العائلة لدى الصينيين فقد كان لها المقام الاول في التربية لان كونفوشيوس سن انظمة خاصة لعلاقة افراد . الاسرة الواحدة ومن واجبات الوالد ان يدرب ولده عليها منذ الصغر .

واحترام الوالدين والرافة بهما من واجبات الابن الاساسية في شريعة كونفوشيوس والغريب ان شريعة كونفوشيوس تسمح بان يعاقب الولد على الجرم الذي يرتكبه والده

تاريخ التربية الصينية وتطورها

لا شك بان الصينيين من اقدم الامم التي عرفها التاريخ ويرجع علماء التربية الانظمة والطرق التهذيبية الموجودة لديهم الان الى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد انه لا توجد لدينا حقائق ومعلومات ثابتة عن التربية الصينية قبل القرن السابع قبل الميلاد . والامر الثابت الذي نعرفه هو انه نشبت حرب اهلية طاحنة وحدثت انقلابات وثورات عظيمة في اوائل القرن السادس (ق.م) وعلى اثرها ظهر الفيلسوف كونفوشيوس (٥٥١ — ٤٧٨ ق.م) واعاد النظام بقوانينه وشرائعه المقدسة . وخلفه بعد ذلك بنحو قرن احد اشياعه (منسيوس ٣٧٢ — ٢٨٩ ق.م) وشرح كتبه ونشرها وعلق عليها واصلاح بعضها .

لا يمكننا ان نقول ان الطرق المتبعة الان في الوقت الحاضر هي نفس الطرق التي سنها كونفوشيوس ولكن لا نقالي اذا قلنا بانها لا تزال مستعملة مع بعض تغييرات طفيفة .

فعلى اثر الحرب اليابانية الصينية ادخلت الانظمة الاوربية الحديثة ولكنها لم تنتشر لان كل الانتشار، وان القوانين والانظمة التهديبية التي تسير عليها يبلغ عدد سكانها خمس عدد سكان العالم وتشغل عشر مساحة الكرة الارضية لجديرة بان تدرس ويبحث في عتوياتها واساليبها

طريقة الصينيين في التربية

من خصائص الطريقة الصينية في التربية انها عامة منتشرة في كل انحاء القطر ومطبقة على الجميع والمهم ان ادخال شيء جديد او تغيير بسيط عليها من الامور التي تكاد تكون مستحيلة . لان الصينيين من الشعوب الشديدة التمسك بالقديم . كان الصينيون يعنون بتربية اولادهم فقط لان شرائعهم لا تأمرهم بتربية البنات المقدسة ويطلبون منه ان يستظهرها وبعد ذلك يكلفونه بان يحو نحوها في الكتابة فيقلدها وكلما اتقن تقليدها زادت قيمة كتاباته . ولكي نفهم ما يتطلبونه من الطفل لا بد لنا من شرح مختصر عن اللغة الصينية وعن آدابها .

اللغة الصينية

لا تمثل رموز اللغة الصينية (اي الكلمات) اصواتاً وانما تمثل افكاراً ولهذا فعدد الرموز في اللغة الصينية يساوي عدد الافكار الموجودة بالكلمات لديهم كالارقام الحسابية الدنيا، اي اننا يمكننا ان نكتب العدد (٦) بصورتين مختلفتين اما (ستة) او (٦) . فاذا كتبناه (ستة) نكون قد استعملنا الحروف الهجائية . واما اذا كتبناه (٦) فنكون قد استعملنا رمزاً اصطلاحياً لا علاقة له بلفظة (ستة) من حيث اللفظ والهجاء . وكذلك الصينيون فانهم يرمزون الى كل كلمة برمز خاص لا علاقة له بسواء من الرموز .

ويقدر العارفون عدد الرموز الموجودة في اللغة الصينية بـ (٢٨٠٠٠٠) رمز اما الشائع المستعمل منها فيبلغ عدده (٢٥٠٦٠) رمز . وقد احصى العلماء الرموز

المستعملة في كتاب كونفوشيوس بـ (٥٠٠٠) رمز مختلف .
اما خطوطهم فمختلفة الاشكال وبلغ عدد الانواع المستعملة ستة والاغرب ان
الافعال في اللغة الصينية لا تتغير فلا يوجد لديهم الازمنة المختلفة للفعل ولا الصيغ
والحالات التي نجدوها في اللغة العربية . واما الاسماء فلا تنقسم لديهم الى مفرد وجمع
ومذكر ومؤنث وانما يجب على القارئ ان يستنتج ذلك من القرائن ومن مواضع
الكلمات في الجملة .

للاصينيين لغتان اللغة الفصحى واللغة العامية والفرق كبير بين اللغتين لدرجة ان
التلميذ يدرس اللغة الفصحى عدة سنوات وهو لا يفقه حرفاً مما يتعلمه فكيف يمكنه
اذن ان يدرك معنى الادب وهو لا يفهم شيئاً مما يقرأ .

اقسام الدراسة

تقسم مدة الدراسة في التربية الصينية الى ثلاث دورات . الدورة الاولى ويراد بها
الدراسة الابتدائية . والدورتان الثانية والثالثة ويراد بها الدراسة العالية .
وفي الدورة الاولى يدرس الطالب الرموز ويحفظ اشكالها ويستظهر الكتب المقدسة
التي جاء بها كونفوشيوس

وفي الدورة الثانية يحلل الطالب هذه المعلومات ويفسرهما وفي الدورة الثالثة يتمرن على
كتابة المقالات والرسائل استعداداً لامتحان الذي يأتي بعد اكمال هذه الدورة العالية
ولا اثر لديهم للرياضيات وبقية العلوم مطلقاً فهم لا يدرسون سوى اللغة والشعر
في مدارسهم .

لنبحث الان قليلاً في الكتب التي تدرس في مدارسهم فالكتاب العام
للاصفوف الاولى المقرر تدريسه في كل المدارس الابتدائية يبدأ بجمل وعبارات فلسفية
يصعب على الراشدين فهمها ثم بعد اكمال هذا الكتاب الاول يدرسون كتاب الاسر
والعائلات . وهو كتاب يحتوي على نسب اربعمائة عائلة مختلفة مشهورة . ثم يدرسون
بعد ذلك كتاباً يحتوي على ألف اصطلاح لا يفهم الطالب منها شيئاً وانما يعود

القراءة والحفظ بلا فهم . وبعد اكمال هذا الكتاب يستظفرون شرائع كوفوشوشوس غنياً بلا فهم ايضاً وتنتهي مدة هذه الدراسة عادة ويكون عمر الطالب (١٦) سنة فما فوق . ولكن المهم ان في كل هذه المدة لا تترقى افكار الطالب ولا تنمو مداركه مطلقاً . اما الدراسة العالية فتقتصر على شرح هذه المعلومات التي استظفرها الطالب وعلى الاستعداد للامتحانات الكبيرة التي تقيمها الحكومة والتي سنبحث عنها في فصل خاص .
المدارس في الصين على نوعين :

١ — المدارس الابتدائية ٢ — معاهد الامتحانات .

فاما الابتدائية فوجوده في كل مدينة او قرية وليس لها صبغة رسمية وانما يقوم بنفقتها بعض المتولين ويجمع لها اعانات خاصة ويقوم بمهمة التدريس فيها المرشحون الذين يرسمون في الامتحانات الكبيرة التي تقيمها الحكومة

وليس لهذه المدارس ابنية خاصة وانما يجتمع الطلبة اما في معبد او في ساحة من ساحات احدى بنايات العامة كدوائر الحكومة او في مكان مهجور يلجأون اليه . ولا يسمح لمعلمي هذه المدارس بالاختلاط ببقية الناس . والهدف الذي يسعى اليه الطلبة في هذه المدارس هو النجاح في الامتحانات العامة لان موظفي الحكومة ينتخبون عادة من المرشحين الذين يفوزون في هذه الامتحانات . وما الذين يرسمون فلا ينفعهم علمهم الذي درسوه فيضطرون ان يعودوا ويعلموا في المدارس التي درسوا بها لانها الوسيلة الوحيدة التي تمكنهم من كسب قوتهم اليومي .

وبعد انتهاء التحصيل في هذه المدارس الابتدائية ينتقل الطالب الى المدارس الثانوية الموجودة عادة في المدن المهمة الكبيرة حيث يتم استعداده لدخول الامتحانات العامة ويقوم بنفقات هذه المدارس ايضاً المتمولون وتجمع لها اعانات وتبرعات خاصة

الامتحانات العامة

ذكرنا ان الامتحانات كانت الطريقة الوحيدة في انتخاب الموظفين للحكومة وعدا تلك الوظيفة التي ينالها المرشح اذا نجح فانه يكون بعد نجاحه موضوع الثقة

كيف تجري الامتحانات العامة في الصين

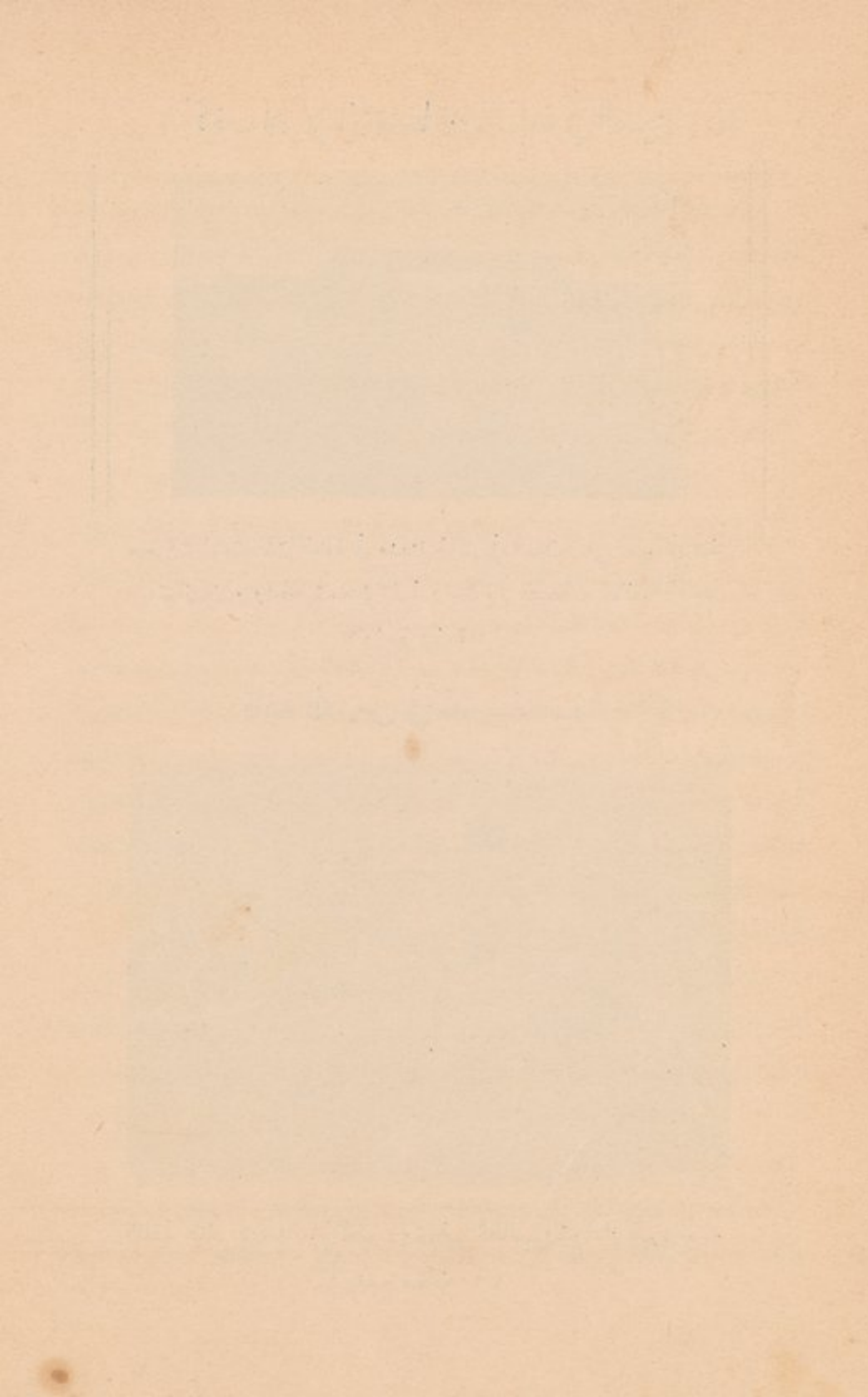


حجرات الامتحانات العامة في مدينة شانغ في الصين وهي تظهر في صغين
متوازيين . والحجرة معدة لتلميذ واحد ولا يسمح له بالاتصال باحد
(راجع صفحة ١٨)

قاعة الدرس في مدرسة صينية



التلميذ يتلو درسه امام المعلم ويرى فيها الطالب وقد ادار ظهره لمعلمه
(راجع صفحة ٢٠)



والاحترام والاعجاب من جميع طبقات الشعب . فله لباس خاص به لا يرتديه سواه واوسمة خاصة لا يحق لسواه ان يحملها ولا يحتفل بزفاف او دفن او ولادة الا ويكون المرشح الناجح في مقدمة المدعوين الذين يتصدرون هذه المراسم وتزدان بهم هذه الحفلات .

تجري هذه الامتحانات تحت اشراف الحكومة التي تعهد بإدارتها الى لجنة مؤلفة من كبار العلماء الذين ما وصلوا الى مناصبهم هذه الا بعد نجاحهم في تلك الامتحانات نفسها .

وتقسم هذه الامتحانات الى ثلاثة اقسام :

١ — امتحانات الدرجة الاولى : وميعادها مرة واحدة كل ثلاثة اعوام . وتقام هذه المسابقات الاولى في المدن المهمة من كل مقاطعة تحت اشراف الوكيل العلمي الذي له الحق بالتصرف المطلق في جميع الشؤون العلمية في المقاطعة ويطلب من الطالب في اليوم الاول من هذه الامتحانات انشاء ثلاث رسائل في مواضيع مختارة من كتاب كونفوشيوس ، فيضعون كل طالب في حجرة خاصة حيث يبقى ٢٤ ساعة وهو يجهد عقله ويشحذ دماغه في كتابة المواضيع . وعدد الذين ينجحون بالنسبة الى الذين يرسبون في هذه الامتحانات الاولى يبلغ ٤ في المائة من العدد المتقدم للفحص . اي يختارون ٤ طالبا من الالف فقط .

٢ — امتحانات الدرجة الثانية : وتقام هذه الامتحانات في مركز المقاطعة بعد مضي ٤ اشهر على امتحانات الدرجة الاولى وميعادها ايضا مرة كل ثلاثة اعوام . وهي تشبه الامتحانات الاولى من حيث الطريقة والاسلوب . وانما تمتاز عنها لكونها اوسع واعم واكثر صعوبة . ونسبة عدد الذين ينجحون الى عدد الذين يرسبون واحد في المائة فقط ومدتها ثلاثة ايام .

٣ — امتحانات الدرجة الثالثة : وتقام هذه الامتحانات في عاصمة الصين — بكين — ونسبة عدد الذين ينجحون الى الذين يرسبون في هذه الامتحانات اكثر من نسبة الناجحين في الامتحانات السابقة الذكر ومدتها ١٣ يوماً .

وقد يختار الامبراطور رجلا من الذين فازوا في الامتحان الاخير ويدعوه مثال
الكمال في العلوم والمعارف .
ولسكي نفهم حقيقة سير هذه الامتحانات نذكر الاحصاء الآتي الذي قدمه
« لويس » البحانة الانكليزي في آداب اللغة الصينية عن احدى السنين الاخيرة :
« يوجد ١٧٠٥ مراكز للامتحانات الابتدائية . ثم ٢٥٢ مركزاً لامتحانات
الدرجة الاولى و ١٨ مركزاً لامتحانات الدرجة الثانية ومركز واحد لامتحانات
الدرجة الثالثة — العالية — تقدم عام (١٩٠٣) (٩٦٠٠٠٠) طالباً لهذه الامتحانات
كلها ولم ينجح من هؤلاء سوى (١٨٣٩) اي بنسبة ٢ في الالف »
واليك نموذجاً من المواضيع التي تعطى في هذه المسابقات .

١ — « ان يكون الانسان مقتدر . ويطلب المعونة من العاجزين . ان يكون الانسان
عالماً ويطلب العلم من الجهال . ان يكون الانسان غنياً ويظهر بمظاهر الفقر . »
٢ — « يجب ان يكون الرجل المخلص ذكياً ويجب ان يكون الرجل الذي
امينا »

٣ — ومن جملة المواضيع الشعرية التي طلبت في تلك الامتحانات الموضوع
الآتي :
« خضرة التلال والمياه »

طريقة الصينيين في التربية ونتائجها

اهم عامل في طريقة التعليم الصينية التقليد الاعمى في الادوار الاولى يمرن المدرس
حافضة الطلبة فيطلب منهم اولاً ان يحفظوا وثانياً ان يحفظوا وثالثاً ان يحفظوا وهكذا
الى الابد .

والمضحك انك اذا دخلت الى مدرسة صينية ترى التلاميذ بحالة غريبة فانك تشاهد
كلا منهم وكتابه يمينه وهو يقرأ بصوت عال مكرراً درسه حتى يرسخ في ذهنه .

ثم بعد ان يستظهره يعطي كتابه الى المعلم ويقرأ الدرس امامه غيباً مراعيّاً هذين الشرطين :

١ - - - - - مراجعة محتويات الدرس بحذافيرها .

٢ - - الاسراع الكلي في قراءة هذا الدرس . وكلما كانت قراءة الطالب الاستظهارية سريعة زاد سرور المعلم به وزاد امله في نجاحه في المسابقات العامة .
فطريقة الصينيين في التربية ماهي الا اعادة المعلومات القديمة (Recapitulation)
واتقانها بدون اقل تغيير او زيادة ، فطريقتهم اذن طريقة جامدة لا تقبل النشوء والارتقاء .



الفصل الثالث

التربية اليونانية

قيمة التربية اليونانية وأهميتها - نشوء الشخصية السياسي - نشوء الشخصية الاخلاقي - نشوء الشخصية العلمي -- نشوء الشخصية الفني - معنى التربية اليونانية - تاريخ التربية اليونانية - العصر الهلنستي - التربية الاسبرطية - طريقة التربية الاسبرطية - مادة التربية الاسبرطية - التربية الاثينية - حياة الطفل العائلية - الحياة المدرسية - مادة التربية الاثينية - الغاية الخلقية من التربية الاثينية - طريقة اليونان في التربية - نتائج التربية اليونانية وميزاتها - التربية اليونانية الجديدة - عوامل التربية الجديدة - السفسطائيون - مقابلة بين التربية القديمة والحديثة - نتائج التربية الجديدة - فلسفة التربية اليونانية - سقراط (٤٦٩ - ٣٩٩ ق م) وعلاقته بالسفسطائيين وبالمربين الاقدمين - الطريقة السقراطية - افلاطون (٤٢٠ - ٣٤٨ ق م) وآراؤه التهذيبية - ارسطوطاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) وآراؤه التهذيبية - علاقته بافلاطون - طريقة في التربية - سياسيات ارسطو - تأثير ارسطو وشأنه في التربية - التربية اليونانية في عصرها العالمي - انتشار الثقافة اليونانية - مدارس الفلسفة والخطابة - جامعة اثينا - جامعة الاسكندرية - ام تراجع التربية اليونانية بالتربية الرومانية - الخلاصة .

قيمة التربية اليونانية وأهميتها

بخلاف التربية الصينية الجاحدة نرى ان التربية اليونانية تقبل التطور والنشوء والتقدم .

فالتطرق والاساليب التي اوجدها اليونان كانت دائماً عرضة للتكييف حسب تغير المؤثرات المحيطة . فاليونان كانوا يرحبون بكل جديد اذا وجدوه مناسباً ومفيداً بعكس الصينيين المحافظين الذين يفضلون بقاء القديم على قدمه ولو كانوا يعتقدون وضرره .

وتمتاز التربية اليونانية على سواها بكونها اعطت الفرد حرية الفكر والابتكار وجعلت بهذه الوسطة الرقي مطرداً كما سنشاهد حينما ندرس عصور التربية اليونانية بفساده المختلفة .

نشوء الشخصية السياسي

توصل الفرد اليوناني قبل كل البشر الى حريته السياسية ونعرف ذلك من تاريخ اليونان فما نزعته المشهورة نحو الديمقراطية التي تتجلى لنا في كل طور من اطوار تاريخهم الا مظهر من مظاهر هذه الفكرة الا وهي فكرة حفظ حقوق الفرد السياسية مع مراعاة صالح الامة وخيرها .

نشوء الشخصية الاخلاقي

لم تكن الحرية السياسية والمساواة الاجتماعية ومساعدة الفرد على الابتكار والتجديد في الحياة كل ما كانت تتطلبه النفسية اليونانية وانما كانت تنوق نفسياتهم الى فهم واجبا الاخلاقي . ولم يكن لدى اليونان ديانة قوية تردعهم او اعتقاد يرشدتهم سواء السبيل . وانما كانت عقليتهم كما نعلم من التاريخ (علمانية ، لا دينية) وقولنا هذا لا ينفي وجود الدين لدى اليونان . ولكن لم يكن له الشأن الاكبر في التأثير على عقليتهم . لانه لم يكن لرجال الدين طبقة مخصصة كبقية الطبقات . وانما كانوا ينتخبون من المواطنين . ويكونون في بعض الاحيان من النساء . ووظيفتهم في الهيئة الاجتماعية ظاهرة تقتصر على اقامة المراسم والغناء في الحفلات والمآدب . ولا تأثير لهم على التربية والفلسفة . ولهذا لم توصل الامة اليونانية لادراك حقيقة واجباتها

الاخلاقية عن طريق الدين وانما توصلت الى هذا الهدف عن طريق الفلسفة . وبما ان ادراك المباحث الفلسفية كان محصوراً بفئة معينة من الامة ، فالاخلاق في سواد الامة لم تكن متينة كما كان ينتظر ان تكون .

نشوء الشخصية العلمي

من اهم الاسباب التي جعلت لليونان الشأن الاكبر في تاريخ التربية اهتمامهم في تحليل الشخصية عن طريق العقل والفكر واقبالهم على دروس المعرفة مضحين في هذا السبيل اوقاتهم لا لغاية او هدف سوى حب المعرفة . فهم اول من درس الطبيعة والانسان .

وكنا قد رأينا في التربية القديمة والتربية الصينية ، ان العلوم والمعارف كانت في ايدي رجال الدين والكهنة والعرفان . اما في التربية اليونانية فلم تكن هذه العلوم في ايدي الكهنة ، بل اخذ العقل اليوناني « العلماني » يبحث عن الحقيقة مسيراً بدافع حب الاطلاع مراعيّاً المحاكات المنطقية محتنباً الغموض والشكوك والالوهام . وكان اليونان يمتازون بجرأتهم الادبية في البحث وراء الحقائق ويظهر لنا ذلك من عبارة افلاطون المشهورة « لتتبع — الحجة والجدل — الى حيث يقودانا » .

نشوء الشخصية الفني

ذكرنا ان الاهتمام العلمي جعل لليونان مقاماً سامياً بين الامم القديمة ، وكذلك في ناحية الفن فان درجة الرقي الفني التي بلغت الامة اليونانية لم تصل اليها امة من الامم القديمة الاخرى .

فال يوناني فاق جميع الامم بالتعبير عن خواطره الفنية في اشكال اجسام مادية . وما الفن سوى حقائق وتجارب يسلم بصحتها وكاملها المجموع البشري موضوعاً بشكل مادي يميزه كل الناس . ولتميز هذه النتائج الفنية يجب استعمال التخيل والتصور عوضاً عن المنطق والمحاكمة . وقد سبق القول بان المحاكمة قد تمت لدى اليونان

لدرجة لا يستهان بها . ولكن التطور الذي حدث في الشخصية الفنية ، اي نمو قوة التخيل والتصور ، فقد بلغ اعلى مستوى بلغه العقل القديم .
لقد ترك اليونانيون لمخيلتهم العنان فهامت في ميسادين النحت والتصوير والموسيقى والشعر وانتجت تلك المآثر العظيمة الخالدة التي لا تزال للآن شاهدة على ماوصلوا اليه من التقدم الفني . نلخص ما قدمناه عن تطور الشخصية :
فالنشوء السياسي اكسبنا معنى الديمقراطية ، والاخلاقي منحنا الفكرة الاخلاقية الناتجة عن الابحاث الفلسفية ، والفني افهمنا معنى الجمال وكيفية وضعه بصورة عمالية محسوسة

معنى التربية اليونانية

الغاية من التربية اليونانية فهم معنى الحياة ، وفهم الاشياء التي تليق بان يسعى الانسان لنيلها والحصول عليها . وقد قال ارسطو « الغاية من الحياة ان يعيش الانسان بسعادة وجمال » وخالفه سواء في رأيه ولا تتجلى لنا غاية الحياة اليونانية الاساسية الا بدرسنا الاعصر المختلفة والمرامي المتنوعة التي كان يسعى اليها اليوناني في الاطوار التي سندرسها .

تاريخ التربية اليونانية

تقسم التربية اليونانية الى قسمين : التربية اليونانية القديمة والتربية اليونانية الحديثة . ويفصل بين الطورين « عصر بركليس » اي منتصف القرن الخامس ق. م . ومع ان هذا التقسيم المألوف مبني على التقسيم السياسي ، فانا نرى فروقاً بينة في الاحوال الاجتماعية والادبية التهذيبية التي وجدت في كلا العصرين . اما التربية القديمة فانها تقسم الى العصر الهومري ، ثم الى نهضتي اثينا واسبرطة . واما التربية الحديثة فتبدأ بعصر الانتقال من القديم الى الجديد وما نتج عنه من الاصلاحات . ثم العصر العالمي حينما انتشرت المدنية اليونانية في العالم المتمدن المعروف

العصر الهومري

يعرف هذا العصر بعصر الإبطال والبطولة . وهو يشغل القرون القديمة التي مرت قبل ظهور هوميروس ، أي قبل القرن العاشر للمسيح . أما معلوماتنا عنه فنستقيها من الياذة هوميروس المملوءة بالأساطير والخرافات ، ولكنها تخدمنا على كل حال من وجهة تهذيبية فنية ، لأنها وإن كانت تحتوي على كثير من الأباطيل والأوهام فإنها تعطينا صورة حقيقية لعقلية الشعب اليوناني في ذلك العصر .

لم يكن لدى اليونان في ذلك العصر تعليم وتدریس منظمين وإنما كان الولد يتعلم ويتدرب بالتقليد على حرفة والده إذا كان مستقبله أن يتعاطى إحدى الحرف الوضيعة (ويراد بها الصناعات التي من شأنها أعداد لوازم الحياة الضرورية كالأكل والملبس والمشرّب)

وأما إذا كانت غايته أن ينخرط في سلك المقاتلين أو الحكماء فإنه يتمرن على القتال بمشاهدة المعارك وعلى الحكمة بحضور مجالس الحكماء . فنرى إذن أنه علماً عن الحرف الوضيعة يوجد مسلكان عاليان يحق للشباب أن يسلك أحدهما وهما الجنديّة و الحكمة ، أو رجل العمل ورجل القول . وفي كلا المسلكين تراعى مصلحة البلاد العامة قبل كل شيء . ففي الجنديّة مثلاً يطلب من الجندي أن يكون شجاعاً ، ولكن الشجاعة كانت تختلف في أيامهم عن أيامنا .

فالفرار من الحروب وبكاء الرجال وارتجاف المفاصل وجلا في المعارك لم تكن من الأمور الشائنة كما نرى في أيامنا هذه وإنما نرى صاحب الياذة معجباً بأولئك الأفراد الذين تصدر منهم هذه البوادر . وما ذلك كما يظهر لنا إلا لأنهم كانوا يتحاشون الأقرات والتفريط ويميلون إلى الحد الأوسط في كل الأمور . فهم يفضلون الحرب في الحرب على الموت ويعدون الهزيمة احتراماً لقاعدة عدم الأقرات والتفريط .

أما الحكماء فكان يطلب منهم المحاكمة الصحيحة والرأي الثاقب . ولا يفيد هذا أنهم كانوا مستقيمين في نصائحهم . وإنما كانوا يجيزون الغش والكذب في سبيل المنفعة العامة .

ولقد كان للابادة المقام الاسمى في التربية اليونانية فيما بعد لاسيما حين انشاء المدارس في العصور التي خلفتها فانها كانت الكتاب الوحيد للمحفوظات والدين والاخلاق والادب والسياسة والنسب .

التربية الاسبرطية

تظهر لنا التربية الاسبرطية حقيقة التربية اليونانية القديمة باجلى مظاهرها فهي مثال التربية اليونانية القديمة . وكان الهدف الذي يسمى الاسبرطيون ان يعدوا من اطفالهم شباناً كاملي القوة البدنية شجعاناً وجنوداً مطيعين كل الاطاعة للقانون والحكومة . وقد قال ارسطو في هذا الصدد ما يأتي : « توجد نقطة واحدة يستحق الاسبرطيون من اجلها الشاء وهي انهم كانوا يعتنون كل الاعناء بتربية اطفالهم بصورة عملية تناسب محيطهم وكان ذلك من قبل الحكومة » ولقد نجح الاسبرطيون تمام النجاح في احراز الغاية التي كانوا يسعون من اجلها . فان الرجل الاسبرطي كان بفضل التربية خير جندي انتجته مقاطعات اليونان كافة ، يمتاز على جنود بقية المقاطعات بالقوة العضلية والشجاعة وبتحمل المشاق والمتاعب والصبر ، تلك الصفات الحسنة التي كانت تقريباً مفقودة في نفوس كثير من جنود بقية المقاطعات .

واما المرأة الاسبرطية فقد توصلت ايضا بفضل التربية الى درجة من الرقي التهذيبي ، فكانت تتجشم المشاق كالرجال ، محبة للعمل ومطبعة .

ولا يختلف الشاب الاسبرطي عن الرجل في تلك الصفات التي قدمناها .

على انه لا تخلو التربية الاسبرطية من بعض النقائص ، فمثلاً رأينا ان الغاية من التربية اليونانية بصورة اجمالية « ان يعيش الفرد بسعادة وجمال » وهذا لا ترى له اثرأ في التربية الاسبرطية ، فلارقي علمي ولا تقدم فني او اخلاقي او فلسفي ، حتى ولا اثر للذوق والجمال الفني عندهم .

اما من الوجهة الاخلاقية فقد قلنا انهم كانوا يخضعون للقانون بصورة عمياء . وقد نشأت من الضغط مساوي كثيرة اهمها انه « بما انهم كانوا يتمسكون بالاخلاق الفاضلة

خوفا من القانون واحتراما له ، ففي اول فرصة ضعفت فيها سلطة القانون رأينا اهل اسبرطة مالوا مع تيار السقوط في الاخلاق »

قلنا ان الحكومة كانت تتدخل في جميع شؤون المواطن العامة والخاصة ، فكانت تعين رئيسا عاما للملاحظة شؤون التربية يدعى (بيدانوموس) وتعين له مساعدين واعوانا يتكلفون بأمر تربية الاطفال .

طريقة التربية الاسبرطية

يؤخذ الطفل من حجري امه بعد اكمله السنة السابعة حيث يكون قد رأى شيئا من التربية العائلية وبعد ذلك يسجل اسمه في عداد اولاد الامة وذلك بواسطة الرئيس العام الذي يجمع كل هذه الاولاد في شكنات عمومية يعيشون فيها على نفقة الحكومة ويقسمهم هذا الرئيس الى اقسام عديدة كل قسم مؤلف من ١٢ طفلا ورأس كل قسم من هذه الاقسام وند من المتقدمين في السن والمطلعين على قوانين الشكنة . ويجب على الاطفال ان يطيعوا رئيسهم هذا طاعة عمياء . وقد وصف — بلوترك — ذلك حيث قال « كان يعين عليهم رئيسا من اظهر شجاعة واخلاقا فاضلة . وواجب البقية الطاعة العمياء لجميع اوامره وقبول العتاب الذي كان ينزله بهم ولو كان صارما فاذن تربيتهم في ذلك الطور كانت عبارة عن تمارين على الطاعة » .

وكانوا يصرفون اوقاتهم ما بين الثانية عشرة من السن بالصيد والقنص تحت قيادة الشبان المبرزين الذين يرؤسون الفرق وربما رقصوا احيانا في المراسم الدينية . واما بقية اوقاتهم فكانت تصرف في التمرينات الجنازية التي كانت الواسطة الرئيسية في تربيتهم . وبعد ان يتم الشاب العام الثامن عشر من عمره يدخل في سلك الجندية ويتمرن مدة سنتين على الاعمال الحربية بصورة منتظمة ومتقنة ، وبعد ذلك يصبح معلما كاملا من شأنه تعليم الصغار وتدريبهم على الاعمال الجنازية الى ان يبلغ سن الثلاثين وحينئذ يصبح رجلا له حقوق المواطن . ويحق له ان يجارب في صفوف الجيش الاسبرطي ، وربما تزوج في هذه السن اوقبله ولكن مع ذلك فقره لا يتغير بل

يبقى في الشكنات العامة يأكل وينام ويعلم الصغار احياناً فنون الفروسية والرياضة البدنية ويكون عليهم وصياً يرشدهم في السبيل التي سلكها قبلهم .

مادة التربية الاسبرطية

فمنما مما تقدم ان الغاية الوحيدة التي كانت ترمي اليها السبرطة في اساليبها التثديبية هي اعداد الجنود الاشداء الاقوياء الماهرين في اساليب الحرب والقتال . فغاية التربية اذن رياضة حربية في نظرهم .

على ان الاسبرطيين اهتموا في الاجيال الاخيرة من تاريخهم القديم بتعليم الاطفال قليلاً من القراءة والكتابة ولكن بصورة بسيطة جداً . فيمكننا ان نقول بدون مغالاة ان الرياضة البدنية والتدريب الحربي كانا كل شيء في نظر الاسبرطيين . واما تمارينهم الرياضية فكانت عبارة عن تدريبهم على الجري والقفز ورمي القرص الحديدى والملاكمة والحركات العسكرية المصحوبة بالرقص واخيراً واهم من كل الالعاب التي ذكرناها « المصارعة » فان اكثر الالعاب كالقفز والجري ورمي الانتقال كانت معدة لها . وبالاجمال لعبت المصارعة دوراً مهماً في حياة الاسبرطيين الرياضية .

وكان لدى الاسبرطيين عادات غريبة واساليب مستهجنة في تربيتهن البدنية فانهم كانوا يريدون ان يعودوا صغارهم تحمل المتاعب والمشاق وعدم المبالاة بالالم ، فكانوا يتوصلون الى هذه الغاية بضرب الاولاد ضرباً مبرحاً بشدة وفضاعة مريعتين . وكثيراً ما كان الموت نتيجة هذه التجربة المؤلمة الوحشية . وكان لديهم مباراة تدعى « البانكراتيوم » يتبارى فيها اثنان ويسمح لهما باستعمال كل الوسائل الممكنة للتغلب ولو كانت هذه الوسائل وحشية وفضيعة تؤدي الى موت احد الخصمين احياناً .

تربية الاسبرطيين الخلقية

ذكرنا آنفاً ان كل اسبرطي راشد كان معلماً وانه كان لكل ولد قاصر وصي راشد يرافقه ويستمد منه النصائح والارشادات واما الرابطة التي كانت تجمع الولد ووصيه

فهي الصداقة والمحبة والاخلاص ، فكان الولد يصحب وصيه بعد الانتهاء من التمارين والاعمال الجنازية فيستمع منه العظات التي تحملها على ان يكون عادلا محباً لوطنه مضحياً روحه في سبيل ذلك الوطن مطيعاً للقانون وشريفاً . ولكن يجب الا يذهب عن بالنا ان هذا الشرف لم يكن ليمنعه عن السرقة وارتكاب احط انواع الفحش والكذب في سبيل خدمة بلاده من الناحية الحربية .

وبوسعنا ان نلخص هذا البحث بكلمة موجزة فنقول :

ان الروح التي كانت سائدة ومتغلبة على الاسبرطيين هي روح حرية رياضية . وان فائدتنا من درس التربية الاسبرطية تنحصر في كونها اعطتنا خير مثال للجندي القوي الصبور الباسل المضحي في سبيل خير بلاده ، فقد جسمت لنا باجمل صورة ذلك الجندي المخلص الذي تألفت من تلك الكتلة المحاربة المتجانسة في الروح والمبدأ والتفانية في سبيل الواجب الوطني والمنفعة العامة .

التربية الاثينية

كان الاثينيون ينظرون الى التربية نظرة تختلف كل الاختلاف عن نظر الاسبرطيين اليها لان حياتهم ومحيطهم كانا يختلفان عن حياة الاسبرطيين ومحيطهم . فالمواطن الاثيني كان يشترك مع الاسبرطي من حيث الاهتمام بالالعاب الرياضية والشجاعة والبطولة ، ولكنه احتفظ لنفسه بحق التصرف باوقاته الخصوصية مع عائلته فنشأت فكرة الشخصية والاستقلال الفردي . واعم من ذلك ان فكرة العائلة المفقودة تماماً لدى الاسبرطيين كان لها المقام الاسمي في التربية الاثينية . فجميع المدارس الاولى في اثينا كانت اهلية ، وتهذيب الولد وتربيته كانا من واجبات العائلة لا الحكومة — كما كانت الحال في اسبرطة —

وبمقتضى شرائع سولون لا يرغم الولد على مساعدة والده الشيخ اذا كان والده هذا قد قصر في تربيته وتثيقه في اثناء صغره وكان لديهم مجلس خاص يدعى - اريوبكوس - وظيفته مراقبة التربية العائلية والمدرسية ومحكمة الذين لا يقومون بواجبهم تجاهها .

وكان ينظر أيضاً في الاعمال الشائنة التي تصدر من الاولاد ويعاقبهم عليها بشدة . ويروي لنا - كاتيليان - « ان هذا المجلس قد حكم بالموت على ولد لانه فقاً عين طائر كان الولد قد تولى تربيته »

وقد كان للحكومة مدارس خاصة يدخلها الولد عندما يبلغ السنة السادسة عشر من عمره . وغاية هذه المدارس التي تبلغ مدتها اربع سنوات (١٦ - ٢٠) تمرين الاولاد على الرياضة البدنية واعدادهم للجندية . واما المدارس فقد كانت محترمة كل الاحترام من قبل الانثيين ، فلا يسمح لاي كان ان يدخلها ، وانما كان يسمح فقط بدخولها للمعلمين وعائلاتهم ومأموري الحكومة . وما عدا هؤلاء فقد منعت شرائع سولون كل من ان يطاء ارض المدرسة وكان الموت عقاب من يخالف هذا القانون .

حياة الطفل العائلية

قلنا ان تربية الطفل قبل بلوغه السابعة من عمره كانت في يد الوالدين اللذين تفرض عليهما الشريعة ان يربياه تربية صحيحة من الوجهة الخلقية والجسدية . وانا نتذكر من درسنا التاريخ ان الاسبرطيين كانوا يقتلون الاطفال الذين تكون بنيتهم ضعيفة . وكان ذلك تحت مراقبة موظفين تعينهم الحكومة ول هؤلاء فقط الحق ان يحكموا بوجوب قتل الطفل والاحتفاظ به .

اما في اثينا فقد كان ذلك الحق بيد الوالد الذي كثيراً ما نجده يتساهل ويحتفظ بولده وان كان ضعيفاً نحيلاً مدفوعاً بعامل الشفقة والحنان الابوي .

الحياة المدرسية

تبتدي الحياة المدرسية في اثينا بعد ان يتم الطفل السنة السابعة من عمره اما المدارس الاولى فقد كانت منقسمة الى شعبتين : شعبة الموسيقى ، وشعبة الرياضة . ولكل من هاتين الشعبتين بنساية خاصة فاولقات التلميذ كانت مقسومة بين المدرستين فيصرف قسماً من نهاره في مدرسة الموسيقى والقسم الاخر في مدرسة الرياضة

ويتى التلميذ في هذه المدارس الأولية الى ان يكمل السنة السادسة عشرة من عمره . وقد كان للطامل مرب يتولى غيابه بعد ان تتركه مرضعته ويخدمه ويرافقه الى المدرسة طول هذه المدة . ولا ترفع عنه مراقبة هذا المربي الا متى بلغ السادسة عشرة من عمره .

واسم هذا المربي باليونانية (بيذا كوك) ومعناها — خادم او عبد — ومن النفقة انت كمة — بيذا كوجيا — التي نستعملها . وبعد ان يتم الطفل السنة السادسة عشر تصبح مراقبته من شأن الحكومة . فيمكث سنتين وهو يتمرن على الالعاب الرياضية ويخالط الراشدين فيأخذ منهم بعض المعلومات ويحضر جلسات مجلس — الاربوباغوس — فيتعرف الى الشرائع والقوانين وفي السنة الثامنة عشرة من عمره يدخل في عداد المواطنين الاحرار فيقسم القسم بالطاعة للحكومة وللالة وللتقاليد

ثم يتمرن مدة سنتين على الاعمال العسكرية الشاقة ويتعلم استعمال السلاح وبعض الاساليب الحربية وواجبات الجندي تجاه وطنه ، وبعد ان يتم هذه المدة ويبلغ سن العشرين يصبح الشاب مواطناً تاماً له جميع حقوق المواطنين وجندياً ماهراً مستعداً لان يلبي داعي وطنه عندما تقتضي الحال .

مادة التربية الاثنية

يتضح لنا نما تقدم ان التربية اليونانية بسيطة اذا قابلناها بتربيتنا الحاضرة نظراً لقلة المواد التي كانت تعطى للطفل وهي كما رأينا في بحثنا عن التربية في الحياة المدرسية — الرياضة البدنية والموسيقى والقراءة والكتابة — ولا بد لنا من كلمة موجزة في كل من هذه المواد .

فنبداً بالالعاب الرياضية لانها كانت العامل الاكبر في تربيتهم فنقول : انها لا تختلف عن الالعاب الاسبرطية من حيث الروح التي تتجلى فيها . فالقطاع والوحشية كانتا اقل واخف وطأة في التربية الاثينية منها في التربية الاسبرطية . كما ان النجاح في هذه

الترية الاثنية



مدرسة الرياضة في اثينا



مدرسة الموسيقى والقراءة والكتابة في اثينا ويرى في الصورة العبد (البيداكوك)
جالساً ومعه عصاه بانتظار انتهاء سيده من الدرس - راجع صفحة ٣١ و ٣٢
(الصورتان مأخوذتان عن آنية يونانية قديمة)

التربية في اثينا



درس في الموسيقى وقواعد اللغة . ويرى العبد المربي (البيداكوك) جالسا
وبيده عصا واحد الطلاب يتعلم الموسيقى وآخر يتعلم القواعد



درس في الشعر والموسيقى
لاحظ صورة العبد في الجهة اليمنى

الالعب لا يتوقف على الفوز في المسابقات . وإنما يتوقف على الخفة والرشاقة والمهارة التي يظهرها المتسابقون . وهنا لا بد لنا من القول ان الرياضة البدنية لدى اليونان كانت اقيد وانفع منها في الوقت الحاضر . لان الذين يشتركون بها في وقتنا الحاضر افراد قلائل ، والبقية يأتون كمشاهدين . اما عند اليونان فقد كان القسم الكبير من الجمهور يشترك فيها بصورة فعلية

كما ان الرياضة كانت غذاء الاجسام فلموسيقى كانت غذاء الارواح . ولم تكن تقتصر على الاغاني والاناشيد ، وإنما كانوا يقرأون اكثر معلوماتهم عن طريق الموسيقى اي بصورة غنائية .

واما القراءة والكتابة فلم تنشر بينهم الا في العصور المتأخرة وإنما كان الاثيني يحفظ الالفاظ والاوديسي غنياً اي يستظهرها ولا يفرجها كلها

وقد ادخل الفينيقيون الالفباء الى بلاد اليونان في القرن الثامن قبل المسيح ولم يعم استعمالها هناك الا في القرون المتأخرة وانتقلت الالفباء من بلاد اليونان الى ايطاليا ومنها الى اللغات الاوربية فترى ان الفضل الاكبر في رقي العالم الاوربي عائد للفينيقيين الذين وضعوا الالفباء ونشروها بين الامم القديمة

واما الرياضيات بانواعها فلم يعتنوا بها الا في العصور المتأخرة وسندرس رقيم العلمي عندما تأتي الى التربية اليونانية الجديدة ونبحث في المدارس الفلسفية والجامعات .

الغاية الخلقية من التربية الاثينية

لا ريب ان التربية البدنية التي كانت تستغرق اغلب اوقاتهم المدرسية قد احدثت تأثيراً حسناً من الوجهة الاخلاقية . فانها عودتهم صبراً وتحمل الثبات والشجاعة والاحلاس والتضحية واحترام حقوق الآخرين . كما انها انشأت فيهم قوة السيطرة على عواطفهم وشهواتهم مع رباطة الجأش والجرأة الادبية

طريقة اليونان في التربية

كان التقليد العامل الاكبر في التربية اليونانية ، ولكنه كان يختلف عن التقليد

الذي شاهدناه في التربية الشرقية القديمة بكونه لم يستعمل الاعمال عادات وتقاليد محدودة ، وإنما كان تقليداً يسمح لشخصية بالظهور والتقدم كانت التربية اليونانية عملية ، وأما القسم النظري منها فقد نشأ بعد وكانت له المرتبة الثانية من الأهمية . وأما المواد التي كان يأخذها الطفل فقد كانت تعطى له كعادات يعمل بموجبها وكانوا يعتقدون ان الانسان يعمل العمل اولاً وأما معرفة النظريات فيجب ان تنشأ بعد ذلك بطبيعة الحال . وقد عبر عن هذه الفكرة ارسطوطاليس حيث قال :

« توجد ثلاثة اشياء تجعل المرء فاضلاً وهي الطبيعة والعادة والعقل ، فقبل كل شيء يجب ان يخلق الفرد انساناً لا حيواناً آخر وبعد ذلك يجب عليه ان يتصرف بطباع جسمية وروحية ولكن توجد بعض صفات لا فائدة من الاتصاف بهامند الولادة لان العادة تغيرها وبعض مواهب طبيعية تؤثر عليها فتجعلها اما حسنة او سيئة ونحن نعلم ان اكثر الحيوانات تسير تحت تأثير عوامل الطبيعة وان قسماً منها تؤثر عليه العادة ولكن الانسان وحده يمتاز عنها بالعقل ولذلك يجب ان تسير هذه العوامل الثلاثة ، أي الطبيعة والعادة والعقل من ألفة وتلك وظيفة التربية فنحن نتعلم بعض الاشياء بالعادة اولاً وبعد ذلك بالتعليم »

نتائج التربية اليونانية القديمة وميزاتها

من اهم نتائج التربية اليونانية القديمة الزهو الذي رآه المدينة اليونانية في القرن الخامس (ق . م) ومن اهم ميزات التربية اليونانية الاثنية بصورة خاصة : انها اعطت لشخصية كل الحرية لتنشأ وتنمو . وفي الوقت نفسه استخدمت هؤلاء الافراد وشكلت منهم مجموعاً متجانساً في الروح العامة وان كانوا مختلفين في الشخصيات ، مجموعاً يتمكن من السير كأمة في معترك الحياة .

وهناك ميزة ثانية تحسدها عليها اهم كثيرة في وقتنا الحاضر وهي ان اليونان تمكنوا من استخدام الاعمال الاعتيادية او الخدمات الفردية للمجموع لنمو شخصية

مواطنيها . وقد ظهرت تلك الميزة في كل اوجه حياتهم ولكننا نراها واضحة في العالهم الرياضية وبالاخرى في المباراة الرياضية التي كانت تقام بين المقاطعات اليونانية ، تلك المسابقات التي لم يكن لها صفة الزامية من قبل الحكومة ولا فائدة عملية للحكومة . وانما كانت مظهراً من مظاهر الحرية الشخصية الفردية . اذ كانوا يقبلون عليها اقبالا عظيماً مدفوعين بدافع شخصي . وهذا مثال جلي للحرية الشخصية لا نجده لدى ارقى الامم حضارة في عصرنا الحاضر .

التربية اليونانية الجديدة — عوامل التربية الجديدة

قلنا ان نتائج التربية اليونانية القديمة ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد ، في ذلك العصر الذي وصلت فيه المدينة اليونانية لدرجة من ازدهار والكمال لم تبلغها مدينة قديمة ، اعني به عصر بركليس الذي انتج في عالم السياسة رجالا كديموسستكس وبركلبس ، وفي عالم الادب سوفوكليس وسواه . ومن البديهي ان الامة اليونانية لما قطعت هذا الشوط في المدينة وجدت اساليبها في التربية لا تقوم بمقتضيات حياتها الجديدة فنشأت التربية الجديدة وكانت العوامل التي انتجت هذه التغييرات سياسية واجتماعية واقتصادية وادبية واخلاقية ودينية وفلسفية ولا يسعنا ان نبحت في كل من هذه العوامل وانما نكتفي بما نعرفه عنها من درس التاريخ .

الفسطاطيون

تغيرت مطالب المحيط اليوناني من جراء هذه العوامل التي ذكرناها فنشأت الحاجة الى تربية جديدة تسد مطالب العوامل الجديدة وتعد رجالا يدافعون في المجالس الحقوقية وينوبون عن الشعب في المراكز السياسية ويحسنون الخطابة ويكتسبون اصوات الشعب في الانتخابات التي نتجت من انتشار روح الديمقراطية . وبما ان الحكومة لم تعد مدارس خاصة لتلقي هذه العلوم والفنون . نشأت فئة من المعلمين اخذت على عاتقها القيام بهذه الامور . تلك الفئة هي زمرة الفسطاطيين . ومعلوم لدينا ان

السفسطائي في نظر التاريخ هو ذلك الرجل الذي يدعي المعرفة ويستعمل حججاً يعرف أنها مغلوطة حتى يفتن بها ويكسب الدراهم. أما من وجهة تهذيبية فالسفسطائيون فئة من العقلاء الذين طافوا في البلاد اليونانية والشرقية وجمعوا معلومات لا يستهان بها عن الحياة السياسية والاجتماعية والاخلاقية وعرضوها على شبان اثبتنا لعلمهم انها تلائم احتياجاتهم لحياتهم المقبلة، بعد ان عجزت التربية القديمة عن تحضيرهم لتلك الاحتياجات. والمهم ان السفسطائيين كانوا على جانب عظيم من المهارة في الكلام والحجة والرهان، فاكسبوا صيتاً حسناً في بادئ الامر والتف حولهم الشبان لاستقاء العلوم والمعارف التي كانت موجودة، لا سيما طريقة الكلام المنطقي في المجتمعات العامة. ولكنهم لم يتمكنوا من ارضاء اليونانيين المحافظين الذين تحاملوا على السفسطائيين لسببين:

١- اولا: ادعاء السفسطائيين بانهم مقتدرون دون سواهم. ولذلك دعوا انفسهم بالحكماء.

٢- وثانياً: لانهم كانوا يطلبون اجوراً لقاء خدماتهم والحقيقة انه كان يوجد بينهم عدد من الجُهلاء الذين كانوا يدعون انهم يستطيعون تعليم اي موضوع كان وحل اية معضلة كانت لقاء كمية كافية من الدراهم. ولم يكتفوا بذلك بل ادعى بعضهم انه يمكنه المدافعة عن اية قضية كانت من وجهتها على السواء وربح تلك الدعوى وذلك بافحام الخصم بالسفسطات المنطقية والمباحكات اللغوية وبتزويق الكلام وتنميقه.

لم يبحث السفسطائيون في جميع المواضيع على السواء ولكنهم اهتموا بصورة خاصة بالمباحث الاخلاقية والاجتماعية ووصلوا في هذه الابحاث الى نتائج تخالف المعتقدات اليونانية القديمة وهذه النتائج افضت الى اعتقاد البعض بانهم ينشرون مبادئ اخلاقية ساقطة منافية للفضيلة. والحقيقة انهم كانوا ينظرون الى المباحث من ناحية عقلية بحتة فيحكمون العقل لا الشعور، ولذلك اتهمهم البعض بالسقوط الاخلاقي. ولم يكن لديهم مبادئ عامة يوافقون جميعهم عليها سوى انهم كانوا يعتقدون جميعاً بأنه لا توجد

مقاييس فكرية للسلوك وإنما الانسان مقياس كل شيء ، على رأي احد زعمائهم
 بروتاجوراس Protagoras — وبما انهم ارادوا بالانسان الرجل الفرد فانهم ساعدوا
 ايضاً على نمو الشخصية . ولا غرو اذا قلنا بانها بلغت اوج كمالها من النمو في عهدهم
 ومن مبادئهم ان «يعين الفرد لنفسه غايته في الحياة محكماً عقله فيما يجده من عادات
 وتقاليد قديمة فلا يراعي الا المعقول منها» وبما ان قسماً كبيراً من تلاميذ السفسطائيين
 لم يحسن تحكيم عقله في تعيين مسلكه واخلاقه وسلوكه ظهر انحطاط في الاخلاق
 وهذا احد الاسباب التي ادت الى انقراض المدنية اليونانية لان الفرد ترك لنفسه
 العنان فنبذ المبادئ القديمة واندفع في حياة جديدة لا رادع يردعه فيها سوى عقله
 الضعيف فانغمس في الشهوات والملاهي ، فسقط ذلك السقوط الاخلاقي الذي نعرفه
 من درسنا للتاريخ اليوناني القديم .

وبكلمة موجزة نقول ان السفسطائيين كانوا اسانذة (وقد بقي لقب سفسطائي
 يستعمل بعد انقراض هذه الفئة بمعنى استاذ في جامعاتنا الحاضرة) لا ينتمون لمدرسة
 معينة ولا لبلد خاص ، يدرسون المعارف لقاء اجور ، وقد بقيت هذه الفئة منتشرة
 الى سقوط « اثينا » وبقيت المتناطعات بيد « الاسكندر المقدوني » — ٣٣٨ ق. م —
 اي مدة قرن واحد . وقد وضع « سقراط » الحكيم العلوم التي كانوا يدرسونها بقوله :
 « كان السفسطائيون يعلّون الشبان كيف يفتكرون وكيف يتكلمون وكيف
 يعملون »

وسنرى ما آلت اليه هذه الفئة عندما ندرس التربية اليونانية في العصر الهلنستي

— Cosmopolitan —

مقابلة بين التربية القديمة والحديثة

كنا قسمنا التربية القديمة الى قسمين : القسم الاول التربية الاولى في مدارس
 الموسيقى والرياضة والقسم الثاني : التربية العالية في مؤسسات الحكومة .
 وسنرى التغير الذي نتج في كل من هذين القسمين ، بعد ظهور السفسطائيين وانتشار
 مبادئهم .

ونبدأ بالدراسة الاولى الابتدائية فنقول ان شدة الحمجية والقساوة التي كانت سائدة في الالعب الرياضية القديمة كاد ينطمس أثرها في التربية الجديدة . وذلك لسبب قول السفسطائيين بوجود الاعتناء براحة الفرد وسعادته قبل كل شيء .

واما في الدراسة العالية فقد ضعف شأن الرياضة البدنية وحلت محلها العلوم العقلية الكلامية الظاهرية التي ترمي الى اعداد خطباء فصحاء يسحرون الجماهير بلاغتهم وطلاقة لسانهم . ولا نريد بقولنا هذا ان الرياضة البدنية قد اهملت تماماً ، وانما اصبحت تستعمل لتسلية الشاب ولهو لا تهتبه جنود اقوياء كما كانت سابقاً . فموضاً عن الانخراط في سلك مدارس الحكومة اخذ الشبان يجتمعون في مجتمعات السفسطائيين ويأخذون عنهم العلوم العقلية والكلامية الادبية الخطابية تلك العلوم التي شعروا بالحاجة اليها في حياتهم اليومية اما من حيث الطريقة فقد رأينا فيما مر أن التربية اليونانية القديمة كانت عملية . ومن هذه الوجهة تختلف عن التربية الجديدة التي كانت تقريباً نظرية ، ولكن نظرياتها كانت تطبق لمنفعة الفرد ولاشباع مطامعه وشهواته .

نتائج التربية الجديدة

نتج كما راينا سقوط في الاخلاق من جراء انتشار المبادي . السفسطائية التي اطلقت للفرد عنان الحرية فتسرب الى فكرة العائلة القديمة مبادي الفساد والشهوات التي ادت الى تلاشي قوى اليونان السياسية . وما ذلك الا لانغماسهم في الشهوات والملاهي . ولكن يجب ان لا يذهب عن بالنا ان المبادي السفسطائية قد افادت المدينة اليونانية من حيث النهضة الفكرية فهي التي قادتهم في ميادين الفلسفة وانارت لهم سبيل الرقي العلمي ، لانها جعلت العقل الحكم الاعلى في كل الامور . فوصلوا الى اوج علام في تربية الفكر والمحاكمة ، وانتجوا حركة علمية ونشاطاً فكرياً لم يشاهدها العالم القديم من قبلهم . ولكنهم تضرروا منها لا انتشار المبادي الاخلاقية المنحطة التي ادت الى اضمحلال شوكتهم ونفوذهم السياسي .

فلاسفة التربية اليونانية

نبذ اليونان تربيتهم القديمة بعد ان تجلّ لهم عدم ملائمتها لظروفهم واحوالهم الجديدة .

فاصبح واجبهم ان يضعوا نظريات جديدة في التربية بعد ان هدموا صرح التربية القديمة وقوضوا دعائمها ، فآخذ بعض الفلاسفة يبحثون في الهدف الذي يجب ان يسعى المرء للوصول اليه في هذه الحياة وعن الاساليب التي يتوصل بها لادراك هذا الهدف . فوضعوا نظريات عديدة في ذلك وسنقتصر في بحثنا هذا على ثلاثة منهم هم — سقراط وافلاطون وارسطو — وندرس نظرياتهم التهذيبية فقط .

سقراط (٤٦٩ — ٣٩٩ ق م) وعلاقته بالسفسطائيين وبالمرين الاقدمين

قلنا ان اليونان وجدوا انفسهم بحاجة الى اصلاح تربيتهم القديمة التي لم تعد تلائم الاحوال الاجتماعية الجديدة ابان عصر بركليس . فقدم المفكرون طرقا عديدة للاصلاح منها الطريقة السفسطائية التي اشارت باطلاق الحرية الذاتية الفردية . لكن عددا طريفة السفسطائيين ظهرت نزعات رجعية تقدر القديم ويميل الى الاحتفاظ به . ومن هؤلاء زينوفون الذي اشار بوجود الرجوع الى مبادئ التربية الاسبرطية القديمة وتطبيقها مع ابقاء بعض المبادئ الاثنية . وخالفهم في آرائهم الفيشاغوريون الذين ابتكروا حلالا لذلك المشكل على اساس الاشتراكية والضغط على انيول الشخصية ولكنهم ايضا فشلوا في اقتراحهم .

اما سقراط فانه سلم بمبدأ السفسطائيين الذين قالوا بوجوب جعل الانسان مقياساً لكل الاشياء . فواجهه اذن ان يعرف نفسه فاذا عرف نفسه تمكن من كبح ميوله واهوائه . ولهذا فقد سخر سقراط بكل المظاهر الخارجية التي كان يحترمها اليونان وهذا مما يعلل لنا سبب العداء بينه وبين الاثنيين .

ومن مبادئ سقراط المشهورة قوله بان « المعرفة هي الفضيلة » اي ان الانسان اذا راعى في سلوكه الافكار والمبادئ المقبولة عند الجميع لا عنده وحده فانه يتوصل الى

ان يعيش عبثة فاضلة هنيئة . وغاية التربية في نظر سقراط اعطاء « المعرفة » لفرد بانماء قوة التفكير لا باكتسابه معلومات مصحوبة بمقدرة كلامية ظاهرية كما كان يقول السفسطائيون .

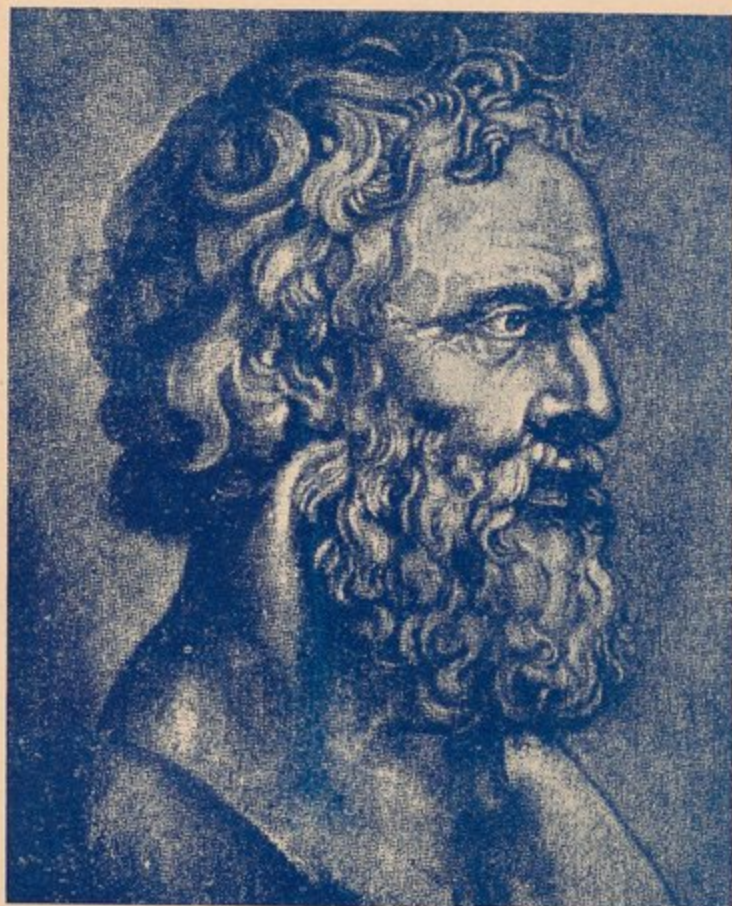
الطريقة السقراطية

ابتكر سقراط طريقة جديدة للتعليم وهي طريقة الحوار ، او طريقة السؤال والجواب ولم يكن يستكشف الاستشهاد باعمال الانسان العادية كاعمال مرقعي الاحذية والطباخين والعبيد وسواهم ، ليثبت النظرية التي قام بها وهي ان « المعرفة اساس لكل الاعمال الفاضلة » ومن اقواله : « المعرفة اساس العمل الصحيح الملائم حتى في الحرف والاعمال الاعتيادية . فللحوار وان كان عبدا الحق بان يضرب حماره ولا يحق هذا للولد الحر . وليس ذلك لان الاول عبد والثاني حر . ولكن لان الحمار يعرف في شؤون الحمار اكثر مما يعرفه الولد . وكذلك على الولد ان يطيع مربيه — العبد الذي يرافقه — بخلاف الشائع وهو ان العبد يطيع سيده وما ذلك الا لان المربي يعرف الاخلاق الصحيحة والصغير لم يتعلمها بعد .

اما « محاورات سقراط » التي نشرها انجب تلاميذه افلاطون فهي عبارة عن محاورات بين سقراط ورجل آخر يتخيله . يبدأ فيها سقراط بطرح بعض اسئلة ثم يذكر الجواب الذي يتوقعه من ذلك الرجل ثم يستدرجه باسئلة اخرى يظهر له من ذلك ان الجواب الذي توقعه منه كان خطأ واخيراً يدعه يصل بالاستجواب الى الحقيقة وكل ذلك بطريقة استقرائية استكشافية يظهر بها سقراط الحقائق التصويرية بالطريقة التوليدية .

افلاطون (٤٢٠ — ٣٤٨ ق م) واراؤه التهذيبية

مع ان آراء افلاطون في التربية كانت نظرية يتعذر تطبيقها فان لها اهمية كبرى من الوجهة التهذيبية لانها تركت اثراً عظيماً في مادة التربية واساليبها في بلاد اليونان والبلدان الاخرى .



الفيلسوف العظيم افلاطون (٤٢٠ - ٣٤٨) ق م .

(راجع صفحة ٤٠)

وقد وافق افلاطون استاذهُ سقراط ، بان المعرفة هي الفضيلة وانها اساس الحياة الفاضلة » ولكنه لم يذكر كيف يجب ان نطبق هذا المبدأ فتدارك تلميذه افلاطون هذا النقص وقال بانه يمكننا ان نجعل المعرفة اساساً للفضيلة بتولية الفلاسفة : مام الامور في الهيئة الاجتماعية واستشارتهم في كل الشؤون . وشرح هذه المبادئ في كتابه — الجمهورية — الذي كتبه في شبابه فتصور خطة جديدة في الهيئة الاجتماعية اليونانية وقسم الناس الى ثلاث طبقات : طبقة الفلاسفة وطبقة الجنود وطبقة الصناع على ان يكون وضع البشر في هذه الطبقات تحت اشراف التربية . وطريقته التي اقترحها في التربية هي ابقاء المدارس الاولى على حالتها القديمة فتنتهي الدراسة الابتدائية حينما يناهز الطفل السادسة عشرة من العمر ، وفي هذه المدة يحال الى الصناعة كل من لا يجدون فيه القابلية الكافية .

وبعد اكمال هذه المدة يبدأ الاختصاص فالذي يظهر بسالة وشجاعة ينخرط في سلك الجندي والذي يظهر عقلاً وحكمة ينخرط في سلك الفلاسفة ويدرس العلوم والفلسفة الى ان يتم الخامسة والثلاثين من عمره . وحينئذ يترك الدرس ويتولى ادارة شؤون البلاد مدة خمسة عشر عاماً .

وبعد ذلك يحال على المعاش للبحث في المواضيع الحيوية السامية . والمبدأ الاساسي الذي بنى عليه كتابه — الجمهورية — هو أن الانسان يجب ان يكرس حياته في العمل الذي اعدته الطبيعة له فخصته بمواهب تساعد على القيام به .

ومن اقواله في « جمهوريته » انه يجب ان نعلم الذكور والاناث وتربيتهم تربية واحدة لانهم متساوون من حيث القابلية والاستعداد في نظره . وهذا الرأي وان كان قديماً جاء به افلاطون ، فانه هدف لكثير من الامم التي تود ان تصل اليه في عصرنا الحاضر . ويعزى السبب في فشل افلاطون في نظريته التهديبية التي ذكرناها الى اعتماده على العقل دون العاطفة التي اهمل تأثيرها في اعمال الانسان ، فلم يتمكن من تطبيق نظرياته الفلسفية التهديبية .

وقد كان لكتابه « الجمهورية » وبقية كتبه « كالشرائع » وسواها أثر مهم في انشاء المدارس الفلسفية التي استمرت كما سنرى في بحثنا عنها .

ارسطوطاليس (٣٨٤ — ٣٢٢ ق م) واراؤه التهذيبية

من جملة الافراد الذين لم يطو اثرهم بموتهم بل بقي ذكرهم خالداً لما تركوه من الافكار التهذيبية التي يهتدي بها رواد العلم والمعرفة في كل الازمنة والعصور — ارسطوطاليس — ولا يسعنا في هذا المقام ان نأتى على كل فلسفته وانما نقتصر منها على ما يتعلق بالتهذيب والتربية .

علاقته بافلاطون

وافق ارسطو استاذة افلاطون في نقطة جوهرية وهي ان اسمى الفنون التي يجدر بالفرد ان يتعاطاها هو فن « السياسة » او فن ادارة المجتمع البشري لان السياسة تعود بالخير العظيم والنفع العميم على الهيئة الاجتماعية . ويتوقف النجاح في هذه المهمة على صفات الافراد التي يتألف منها المجتمع وقصد بذلك — المواطنين — وقال بان ايجاد هذه الطبقة من الافراد التي تصلح للحياة السياسية هو عمل التربية . والفرق بين افلاطون وارسطو ان الاول وضع نظاماً مرتباً للتربية على الطريقة التي يستحسنها في « جمهوريته » واما الثاني فلم يكتب نظاماً معيناً لتطبيق نظرياته .

كتب ارسطو كتاباً دون فيه نظرياته الاخلاقية سماه « علم الاخلاق » قال فيه ان غاية الفرد في حياته الخاصة وفي علاقته مع اخوانه هي السعادة ويمتاز ارسطو على افلاطون بانه ميز اعمال الانسان العقلية والارادية وقال ان الفضيلة لا تنشأ فقط بالمعرفة وانما تتوقف على ارادة المرء . وهذا التحليل بيسكولوجي ينطبق على مبادي علم النفس .

طريقته في التربية

المح سقراط عفواً الى الطريقة الاستقرائية في بعض ابحاثه كما ذكرنا في كلامنا عنه

اما ارسطو فهو الذي بحث في علم المنطق وقسمه الى الطريقتين الاستقرائية والاستنتاجية . وقال بوجود اتباع الطريقة الاستقرائية كما انه اتبعها نفسه في اغلب ابحاثه و اشار خصوصاً بوجود اتباعها في التربية والتعليم .

سياسيات ارسطو

من اهم ما كتبه ارسطو كتابه « السياسيات » وقد بحث فيه عن التربية ولكن لم يتوسع في بحثه كما فعل افلاطون في تربيته وانما بحث فيه عن التربية والتعليم بصورة عامة خالف فيها افلاطون في عدة نقاط اساسية منها عدم الاعتراف للمرأة بتساويها مع الرجل من حيث المواهب الطبيعية وقوله بان المرأة لا تستطيع ان تجاري الرجل في ميدان التربية العالية وقصد بالتربية العالية الدراسة الثانوية بعد ان يتم المرء السادسة عشرة من عمره . اما التربية الابتدائية فقد استنسب ارسطو التربية الاسبرطية وقال بلزوم الاعتناء بالتربية البدنية لدى الصغار قبل الشروع بتعليمهم لا لكونها تقوي الجسم وانما لتأثيرها على كبح الميول والشهوات واهتم ايضاً بالموسيقى وقال عنها انها نافعة لثلاثة اسباب : اولاً : لانها تسلي ، وثانياً : لانها تدعو الى الانشراح العقلي وثالثاً : لانها تطرد الافكار الشريرة من العقل .

من دواعي الاسف ان هذا الكتاب ينتهي عندما يصل الى الدراسة العالية وربما كان ذلك ناتجاً عن سوء تصرف النساخين انما نستدل من ابحاثه الاخرى على انه كان يفرض على الطالب في مدة الدراسة العالية درس العلوم الطبيعية والرياضية بصورة خاصة لما كان لها من الاهمية في نظره .

تأثير ارسطو وشأنه في التربية

لم يبالغ الشاعر الايطالي الكبير دانتي لما قال عن ارسطو (المعلم الاول) بانه « معلم العلماء وسيد العارفين » وليس السبب في اهتمامنا بهذين الفيلسوفين اي ارسطو وافلاطون انها طرقاً اكثر المواضيع والفا فيها كتباً قيمة وانما خصصنا هادون سواها بقسم من بحثنا

نظر للتأثير الكبير الذي تركه في العصور التي عقيمتها وسرى حينما ندرس التربية في القرون الوسطى وفي عصر النهضة ان العلماء اخذوا يضعون اساس العلوم الحديثة معتمدين على مؤلفات المعلم الاول وافلاطون : والفضل الاكبر في بقاء مؤلفات اليونان عائد للعرب الذين عنوا بها ونقلوها للغة العربية فانتشرت اراء ارسطو وافلاطون بين فلاسفة العرب في بغداد وقرطبة ثم نقلت عن العربية الى اللاتينية ومنها الى اللغات الاوربية الحديثة وهذه اكبر حجة تقدمها للذين يتهمون لغتنا بتقصير باعها في ميادين الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية لانها تمكنت قديماً من ترجمة مؤلفات الفلاسفة واصطلاحات تلك المؤلفات التي تبحث في المنطق والرياضيات والطبيعات وعلمي الحيوان والتشريح وهذا مما يحملنا على المجاهرة بان لغتنا العربية تصلح لان تكون لغة علمية فنية .

التربية اليونانية في عصرها العالمي

بالرغم من سعي سقراط وافلاطون وارسطو للافادة الحظرة الناتج عن توسيع الحرية الشخصية فانهم ساعدوا على انشاء هذه الشكوة بدون ان يشعروا لانهم دققوا في الاحوال الموجودة وحللوها بشكل يفهمه الكل كما ذكرنا ثم رقوا العقل اليوناني بعملهم على تنمية قوة التفكير فوجدوا رجالا عاقلين والعقل يقضي في كل الازمنة بان يعين الفرد غايته في حياته فهذه الصورة عملوا على انتشار فكرة الشخصية من حيث ارادوا معاكستها .

تختلف التربية في هذه المدة عن التربية في العصور التي سبقتها بانتشار الثقافة اليونانية في كل اقطار العالم المعروفة وبانشاء مؤسسات تهذيبية راقية ، اما من وجهة فلسفة فانها تختلف ايضاً من حيث طريقة البحث فالفلاسفة والمفكرون كانوا سابقا يفكرون بحقيقة الامور وكيف يجب ان تكون ، اما في هذه المدة اي بعد ان بلغت الفلسفة درجة تقرب من الكمال بفضل ارسطو ، فلم يعد يبحث العلماء في الامور ويحكمون عقولهم فيها ولكنهم اصبحوا يبحثون عن اقوال المعلم الاول ويسيرون بموجبها والفضل كله لارسطو الذي ابقى لهم مادة يتناقشون بها ويشرحونها ولكن لا يشكون في صحتها بل يسلّمون بها كما نسلّم بالوحي المقدس .

انتشار الثقافة اليونانية

كما ان ارسطو دون رقي البشر الفكري بمؤلفاته الخالدة ووضع حجر الاساس لكل الابحاث الفكرية في المستقبل فان تلميذه العظيم الاسكندر الكبير قد ساعده فنشر المدنية اليونانية ومبادئها التهديبية والفلسفية في كافة انحاء العالم القديم وخصوصاً في الشرق الذي اقبل بلفه على هذه الثقافة فبقيت منتشرة هناك الى ظهور الدين الاسلامي اي بعد مرور نحو الف سنة على وفاة الفاتح الكبير ويكفي لاثبات هذا اثنا نجد بعد عشرة قرون في مدينة الاسكندرية التي خلدت اسمه مكتبة تضم ٧٠٠٠٠٠ مجلد ونجد ٤٠٠٠ حمام و ٤٠٠ قصر و ٤٠٠ مسرح للتمثيل . كل ذلك برهان على مقدار انتشار الثقافة اليونانية العلمية والعمرانية .

مدارس الفلسفة والخطابة

قلنا ان السفسطائيين والفلاسفة الذين عاصروهم او خلفوهم كانوا يجمعون الشبان حولهم بصورة غير منتظمة في بادئ الامر ولكننا نرى ان هذه الاجتماعات تطورت الى مدارس معينة لها ابنية خاصة . من هذه المدارس يمكننا ان نذكر اربعاً وهي مدرسة افلاطون في الاكاديمي ٣٧٦ ق . م مدرسة ارسطو في (اليبسيوم ٣٣٥ ق . م) ومدرسة زينو (١) ومدرسة ايقور (٢) وقد اجتهد قادة هذه المدارس ان ينشروا مبادئ مؤسسيها فنجحوا كلهم ما عدا مدرسة ارسطو فانها لم تتمكن من الاحتفاظ بمبادئ منشئها .

(١) زينو وهو مؤسس المبدأ القائل بعدم وجوب المبالاة بالالم وبوجوب احتلال الالام

بصبر وشجاعة .

(٢) ايقور الفيلسوف الذي قال بان غاية الانسان في الحياة ان يعيش سعيدا سرورا .

جامعة اثينا

لم تلبث هذه المدارس التي ذكرناها ان توحدت بشكل جامعة كبيرة تراقبها الحكومة وتشرف على ادارتها وكانت مدة الدراسة فيها من اربع الى سبع سنوات وقد عاضدها قياصرة الرومان في بادئ الامر وكانوا يرسلون اليها الاعانات وكان ذلك في ايام فيسبسيان Vespasian ولكنهم اغلقوها سنة ٥٢٩ بعد الميلاد على اثر انتشار الدين المسيحي في عهد جوستيان وذلك لانها كانت مركزاً للمدينة اليونانية الوثنية المخالفة لمبادئ الدين المسيحي وتعاليمه .

جامعة الاسكندرية

على اثر انتشار المدينة اليونانية في الشرق أسست ثلاث جامعات: الاولى في ردوس، والثانية في طرسوس، والثالثة في الاسكندرية . اسس البطالسة جامعة الاسكندرية عام ٣٢ ق . م وبقيت زاهرة الى ايام الفتوح الاسلامية اي الى سقوط الاسكندرية بيد عمرو بن العاص عام ٦٤٠ ق . م وقد اهتم البطالسة بجمع المخطوطات فجمعوا عدداً عظيماً منها فامتلات مكتبة الجامعة بها ويقدر عددها بـ ٧٠٠٠٠٠ الف مجلد وقد احرقت بكاملها وليس لدينا ادلة كافية تثبت لنا ما اذا كان للعرب يد في حرقها كانت الجامعة مركزاً للحركة الفكرية في الشرق ففيها كتب اقليدس بمبادئ الهندسة وفيها طبقت مبادئ ارخميدس في الطبيعيات ولكن ابحاث الطلاب الاساسية فيها كانت شرح آراء المعلم الاول ودرسها .

وقد اهتم فلاسفة الشرق بالفلسفة اليونانية واجتهدوا بتطبيق مبادئها على المبادئ الدينية اليهودية العبرية فنشأت الافلاطونية الجديدة وهي تحوير مبادئ افلاطون ومزجها بالمبادئ العبرية الدينية ومؤسس هذه الفكرة هو (فيلو اليهودي ٢٠ — ٤٠ ق . م) ثم على اثر ظهور النصرانية قام بعض الفلاسفة وحوروا الفلسفة الافلاطونية بشكل ينطبق مع تعاليم الديانة المسيحية فنشأت فكرة جديدة تدعى « فلسفة العارفين »

امتزاج التربية اليونانية بالتربية الرومانية :

على أثر استيلاء الرومان على بلاد اليونان عام ١٤٦ ق . م . انتشرت الثقافة اليونانية في الامبراطورية الرومانية وسرى في بحثنا عن التربية الرومانية انها تنمى للتربية اليونانية في عصرها العالمي .

الخلاصة

اليونان اول الامم التي بحثت في الشخصية وعملت على رقي هذه الفكرة فهي اذن مثال للتربية الحرة ففي العصر الهومري اهتمت التربية باعداد الحكماء والمقاتلين . اما اسبرطة فقد راعت مصالح المجموع وضحت الفرد في سبيلها بخلاف اثينا التي ساعدت على نشوء فكرة الشخصية وامتازت اثينا على اسبرطة باهتمامها بالعائلة واما مدارسها فقد كانت على نوعين مدارس الموسيقى والادب ومدارس الرياضة . على اثر اختلاط اليونان ببقية الشعوب ولعوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية اصبح من الضروري تبديل الاساليب التهديبية فقامت زمرة السفسطائيين والفلاسفة كسقراط وافلاطون وارسطو الذين اهتموا بايجاد اساليب جديدة توافق الحياة الجديدة فترقت العلوم والفنون ثم اتى اسكندر المكدوني ونشر تلك المبادئ في العالم المتمدن فنشأت التربية اليونانية العالمية التي كان لها الاثر الكبير في التربية الرومانية

الفصل الرابع

التربية الرومانية

التربية تدرب الفرد على الحياة العملية

نظرة عامة ، تأثير الدين الروماني على التربية الرومانية ، خدمات الرومان للمدنية ، اراء الرومان في الحقوق والواجبات ، حقوق الوالد وواجباته ، التربية العملية ، عصور التربية الرومانية ، التربية الرومانية القديمة (٧٥٣ - ١٥٠ ق . م) ، النصر الاول (٧٥٣ - ٢٥٠ ق . م) ، عصر الانتقال ، (التربية الرومانية الجديدة او العصر الامبراطوري ، مدرسة النحو ، مدرسة الخطابة ، المكتبات والجامعات ، معاضدة الحكومة للمدارس ، اشهر مربي الرومان ، شيشرون (١٠٦ - ٤٣ ق . م) ، سينكا (٣ ق . م - ٦٥ ب . م) ، اقوال التهذيبية ، كاتيليان (٥٣ - ٩٥ ب . م) ، التربية الرومانية في عصر الاضمحلال والانحطاط .

نظرة عامة

تشابه التربية اليونانية والتربية الرومانية من اوجه كثيرة لان الثانية اقتبست اموراً كثيرة عن الاولى انما يوجد فرق كبير جوهرى بين الاثنين وهو ان فلاسفة التربية اليونانية بحثوا عن الغاية من هذه الحياة فبرعوا في تلك المباحث لكنهم لم يتمكنوا تماماً من تطبيق هذه النظريات التي وصلوا اليها بصورة عملية يستفيد منها الافراد اما الرومان فقد اهتموا بالاستفادة من الافكار والنظريات سواء اكانت مقتبسة

او مبتكرة لتحسين احوالهم المادية المحسوسة واليك مثالا على ذلك :
 بحث اليونان في اعمية الشرائع وكتب افلاطون كتاباً عنها لكنهم لم يتركوا لنا
 شرائع وقوانين خالدة كالرومان الذين تركوا بعدهم قوانينهم وشرائعهم المشهورة التي
 لا تزال لوقتنا الحاضر نورا يهتدي به علماء القانون في البلاد الغربية حتى انهم يفرضون
 على كل طالب في مدارس الحقوق في الجامعات الغربية درس القوانين الرومانية لانها
 اساس اغلب القوانين الاوربية الشائعة . لناخذ مثالا آخر :

اعتنق امبراطرة الرومان الديانة المسيحية الشرقية بمنشئها ولكنهم استخدموها
 عملياً فاتخذوا منها سلاحاً دوخوا به العالم القديم وخصوصاً القبائل البربرية
 فنرى انهم قد استفادوا من فكرة نظرية لاتهم واستخدموها في بناء امراطوريتهم
 المتسعة الارحاء . وزبدة القول ان الرومان قد اقتبسوا نظرياتهم عن الانتم التي تقدمتهم
 وعنوا بتطبيقها واستثمروها فوصلوا الى حضارتهم العظيمة التي لم يسجل التاريخ مثلاً
 لامة قبلهم .

نظر اليونان الى الاشياء وقاسوها تحت تأثير عاملي الذوق الفني والجمال . اما
 الرومان فنظروا اليها من حيث منفعتها المادية ولذا فقد كان اليونان وهميين خياليين
 في نظر الرومان ، كما ان الرومان كانوا ماديين نفيعين في نظر اليونان ، وسنرى في بحثنا
 عن الدين الروماني كيف انه جعلهم عمليين في اكثر امورهم .

الدين الروماني في التربية الرومانية

ذكرنا في كلامنا عن التربية اليونانية انه لم يكن للدين مقام كبير وتأثير عظيم في
 تربية الشاب اليوناني . بخلاف ذلك نرى للدين اثرأ عظيماً في عقلية الشاب الروماني
 وما ذلك الا للفرق الكبير بين الدينين فالله اليونان كالبحر تتصف بالشفقة والحنان
 وبقيمة العواطف البشرية اما آلهة الرومان فقد كانت قوى خفية لا ترحم ولا تعرف
 الشفقة ولذلك اهتم الرومان باكتساب رضاها باقامة المراسم المهيبة الجليلة بخلاف
 اليونان الذين اعتقدوا بانهم يكسبون رضاها باقامة الحفلات المفرحة المبهجة وهكذا

فأما نرى ان الشاب الروماني اقل خلاعة واكثر رزانة من الشاب اليوناني. ولكثرة خوف الرومان من غضب الالهة نشأت عندهم مراسم عديدة في جميع اعمالهم العادية يتوخون بها التودد للآلهة فكانوا يقيمون هذه المراسم في اغلب اعمالهم كالبيع والشراء والزرع والحصاد والزواج وغيرها فالدين وضع لهم طرقاً معينة يجب ان يتبعوها في حياتهم العملية، والخوف من الآلهة عودهم احترام الواجبات.

خدمات الرومان للمدينة

ا كبر خدمة تركتها روما للمدينة هي القوانين كما ذكرنا .
واما أثرها في التربية فاعل من التربية اليونانية لان الاولى تركت لنا كما رأينا علوماً وفنوناً متنوعة وفلسفة راقية انما نستفيد من درس التربية الرومانية لانها كانت مثالا للتربية العملية المادية النفعية .

آراء الرومان في الحقوق والواجبات

تقسم حقوق المواطن الروماني الحر الى خمسة اقسام رئيسية وهي :
١ — حقوق الوالد على ولده ، ٢ — حقوق الزوج على امرأته ، ٣ — حقوق السيد على عبده ، ٤ — حقوق المواطن الحر على سواء من المواطنين بموجب اتفاق او عقد ، ٥ — حقوق التملك .
واما حقوق الرعية فقد منحها الشريعة الرومانية لكل روماني حر .

حقوق الوالد وواجباته

كانت السلطة الابوية في العائلة الرومانية مطلقة فلوالد الحق بقتل ولده او بيعه اذا وجد فيه عاهة جسمية او كان الوالد فقيراً لا يتمكن من القيام بازده وسواء أباعه ام قتله ام احتفظ به فالمراسم الدينية يجب ان ترافق هذه الاعمال . ولا تزول هذه السلطة المطلقة ببلوغ الطفل سن الرشد وانما يقضي الولد عمره الى ان يموت وهو تحت

سيطرة والده ولا يحق للولد ان يملك شيئاً باسمه الخاص وانما جميع ما يملكه الولد عائد للوالد بحكم الشريعة . واذا تزوجت الفتاة الرومانية فانها تكون عادة تحت سلطة ابيها لا زوجها وانما قد يتخلى الوالد عن هذا الحق للزوج ويرافق ذلك ايضاً مراسم دينية . كما انه كان للوالد حقوق شديدة على اولاده فعليه واجبات مهمة تعاقبه الحكومة اذا تقاعس عن القيام بها وهي الاعتناء باخلاق الطفل وتربيته التربية الصحيحة .

التربية العملية

قلنا ان غاية التربية الرومانية تدريب الفرد على الحياة العملية والاثار الاكبر في هذا التدريب يعود للوالدين قبل انشاء المدارس في روما حتى وبعده فللتربية العائلية عند الرومان الشأن الاول في تربية الطفل فنرى ان الام الرومانية كانت تضن بولدها ان تربيته المرضعات وكذلك الوالد فاما نراه يأخذ ولده معه الى الحقل او الى محل عمله فيدربه منذ الصغر على الحرفة التي يتعاطاها بخلاف الوالد اليوناني الذي كان يسلمه للمربي اكبر عامل سهل على الاب الروماني تدريب ولده هو السلطة الابوية والغريب انه بالرغم من وجود هذه السلطة فاما نرى شرائعهم تفرض على الوالد تربية ابنه تربية صحيحة وقد كان لسير ابطالهم تأثير عظيم على الطفل لان الرومان كانوا يقصون هذه الاساطير على اطفالهم وتمتاز هذه الاساطير عن الاساطير اليونانية لان ابطالها بشر لا آلهة فتتغرس في نفوس الاطفال روح الاعجاب بهؤلاء الابطال ويرون ان الوصول الى درجتهم امر ممكن وسهل اذا اتصفوا بصفاتهم الحميدة . وبما ان الوالد هو العامل المهم في تربية الطفل فصفات الولد واخلاقه مقتبسة عن والده فالاب الروماني كان القدوة لولده يأخذ ابنه عنه الصفات والاخلاق والعادات

عصور التربية الرومانية

يقسم تاريخ التربية الرومانية الى قسمين كبيرين : التربية الرومانية القديمة والتربية العالمية الجديدة ويراد بالتربية القديمة الاساليب والطرق التهذيبية في الاجيال التي

سبقت دخول المدنية اليونانية وانتشارها بصورة عامة في الامبراطورية الرومانية اي حينما كانت التربية الرومانية خالية من اثر المدنية الاغريقية واما التربية في العصر العالمي فتبحث في التربية الرومانية التي نشأت بعد انتشار المدنية الاغريقية في روما يصعب علينا من وجهة علمية ان نعين تاريخاً يفصل بين العهدين، ينتهي به العصر الروماني ويبتدى منه العصر العالمي، وانما تسهلاً للبحث يمكننا ان نجعل استيلاء الرومان على بلاد اليونان الحد الفاصل بين العصرين اي عام ١٤٦ ق. م. ويجب ان نتذكر ان هذا التاريخ الذي استسبنا جعله فاصلاً، غير مضبوط تماماً لان الرومان اقتبسوا كثيراً عن اليونان قبل عام ١٤٦ فاللوائح الاثنتا عشرة والالقاء الرومانية وكثير من الاساليب التهذيبية يرجعها المؤرخون الى اصل يوناني ويجزمون بانها ادخلت الى شبه جزيرة ايطاليا قبل ذلك التاريخ على ان المدنية اليونانية لم تنتشر تمام الانتشار في روما الا على اثر احتلال بلاد اليونان حينها هاجر كثيرون من الفلاسفة وكبار العلماء الى ايطاليا حاملين المبادئ والافكار اليونانية.

التربية الرومانية القديمة (٧٥٣ - ١٥٠ ق. م.)

تقسم هذه المدة الى عصرين فرعيين العصر القديم وعصر الانتقال فالاول يمتد من (٧٥٣ - ٢٥٠ ق. م.) والثاني من (٢٥٠ - ١٥٠ ق. م.) ويمتاز العصر الاول بكونه رومانياً بحتاً. اما الثاني ففيه اخذت بعض المبادئ التهذيبية اليونانية تتسرب الى ايطاليا ولذلك دعونا عصر الانتقال من التربية الرومانية القديمة الى التربية الرومانية العالمية.

العصر الاول (٧٥٣ - ٢٥٠ ق. م.)

تقول التقاليد الرومانية ان مدينة روما اسست عام ٧٥٣ ق. م. ولذلك ندرس التربية الرومانية ابتداءً من ذلك الوقت. لا نجد في اوائل هذا العصر مدارس يدخلها الطفل وانما كان البيت المعهد التهذيبي

الوحيد وقد كان الولد يتمرن على صنعة والده كما ذكرنا ونرى فيما بعد ان البعض يتعلمون القراءة للتمكن من القيام بالواجبات الدينية وحفظ اللوائح الاثنتي عشرة (٤٥٠ ق.م) وكان ذلك في مدارس صغيرة وقليلة العدد لم يكن لها شأن كبير في التربية الرومانية واسمها مدارس اللودي Ludi . وقد لعبت اللوائح الاثنتا عشرة في ذلك العصر نفس الدور الذي لعبته الياذة هوميروس في بلاد اليونان لانها فرضت على الطفل ان يحفظ مواد هذه اللوائح فكانت الاساس للحركة الادبية في ذلك العصر .

عصر الانتقال

دخلت المبانيء والافكار والعادات اليونانية الى روما بصورة تدريجية متواصلة من اواسط القرن الثالث قبل المسيح الى منتصف القرن الاول قبل الميلاد اي في نفس المدة التي توسعت فيها مدينة روما توسعها السياسي المعروف اي لما اخذ نفوذها ينتشر في انحاء العالم القديم . ظهرت في اوائل هذا العصر مدارس ابتدائية اولية (تدعى مدارس الادب) وهي من عنصر روماني لا اثر للثقافة اليونانية فيها . وفيه نقلت الاوديسي الى اللاتينية وقد قام بترجمتها دنونيكوس اليوناني الذي جاء روما وعلم في مدارسها اللغتين اليونانية واللاتينية وهكذا اصبحت الاوديسي تدرس في المدارس الاولى المنار ذكرها وما عتمت ان ادخلت مدارس الخطابة والنحو اليونانية الى روما ولكنهما لم تنتشر الانتشار الكافي . واخيراً تحولت هذه المدارس الى مدارس لاتينية عاكسها مجلس الشيوخ الروماني في بادىء الامر واصدر قراره عام (٩٢ ق.م) بوجود طرد اسانذة الخطابة والنحو واليك نص القرار :

« بلغنا ان بعض الاشخاص ينتحلون لقب الخطباء اللاتين اسوا مدارس للخطابة باللاتينية وقد نبي الينا ان شبابنا الرومانيين يضعون اوقاتهم هناك حيث يدرسون عادات وتعاليم جديدة لا تتناسب مع تقاليد اجدادنا ولذلك نعلن للملأ اجمع سخطنا على وجود هذه المعاهد ونأمر بطرد هؤلاء المعلمين . »

من هذا القرار نحكم بان هذه المدارس لم تكن عامة وان الذين درسوا فيها كانوا

من طبقة الاشراف كشيرون وبومباي وقيصر وماركوس انطونيوس وقيليب اوغستوس وتأتا كد ان الرومان لم يستحسنوا وجودها انما نجد ايضا ان بعض الاغنياء كانوا يرسلون اولادهم في ذلك العصر الى بلاد اليونان لطلب العلم في مدارسها .

التربية الرومانية الجديدة او العصر الامبراطوري

تقسم التربية الجديدة الى طورين العصر الامبراطوري او عصر الزهو وعصر الانحطاط والاضمحلال ، وسنبداً بالعصر الامبراطوري .

بخلاف العصرين القديمين نجد ان الاقبال على الثقافة اليونانية في هذا العصر كان عظيماً جداً ففيه سادت المدنية الاغريقية وعمت مبادئها ايطاليا والعالم القديم وبالرغم عن انتشار المدنية اليونانية فان المدارس الاولى (الادبية) كما كانوا يدعونها لم تتغير ولم تترك بل بقيت منحنطة يعلمون فيها مبادئ القراءة والكتاب والحساب بصورة بسيطة جداً ويدرسون فيها الاوديسي اللاتينية عوضاً عن اللوائح الاثنتي عشرة التي كانت تدرس سابقاً ونظراً لكون هذه المدارس الاولى رومانية صرفة فانها بقيت على حالها القديمة ولم يطرأ عليها تحسين مهم حتى ان المعلمين فيها كانوا احياناً من العبيد .

مدرسة النحو

اما مدرسة الغراطيق او النحو التي عاكسها مجلس الشيوخ في العصر الماضي فانها اصبحت رسمية ولها منهج معين ومساعدات مالية خاصة وقد كانت على نوعين احدهما النحو اليوناني والثاني لتعليم النحو اللاتيني . وقد بتيت هذه المدارس زاهرة الى دخول البرابرة الذين قضوا على الامبراطورية واما الابحاث التي تدرس فيها فالنحو كما يظهر من اسم المدرسة ، انما كان النحو في نظرهم يحتوي على دريس الادبيات والتاريخ والعلوم .

والغريب ان الرومان لم يقبلوا على الالعب الرياضية والرقص اقبال اليونان لانهم ماديون وعمليون كما نوهنا آنفاً وقد كانت الغاية من هذه المدارس اي مدارس النحو اتقان القراءة البليغة والانشاء الحسن المتين ثم قراءة كتب كبار المؤلفين والادباء من يونان ورومان

مدرسة الخطابة

كانت هذه المدرسة للرومان بمثابة مدارس السفبثائيين لليونان فقائتها تدريب الشاب الروماني بعد ان يناهز الخامسة عشرة من عمره ويتم تحصيله في المدارس الاولى ومدارس اللغة، على الخطابة والالقاء فلا يدخلها الا الذين ينوون الاشتغال بالسياسة او بالحمامة او الذين ينتمون الى طبقة الاعيان ويمكننا ان نأخذ من انشاء هذه المدارس فكرة حقيقية عن اهمية الخطابة في المجتمع الروماني فقد كان للخطيب المصنع البليغ المقام الاكبر في روما ولا حاجة للخوض في هذا الشأن فالحوادث التاريخية اكبر برهان لنا على ذلك .

وعدا التدريب على الخطابة فقد كان الشاب يدرس الهندسة والفلك والفلسفة والموسيقى وقد وصف كانيليان المربي الروماني الكبير غاية هذه المدارس فقال بانها تعد الشبان للخطابة والخطيب في نظر هذا المربي هو الذي تتوفر فيه الشروط الاتية : معرفة العلوم واتقان اللغة وحسن اختيار الالفاظ ودرس العواطف البشرية وكيفية انارتها ورشاقة الحركات ومعرفة الشرائع وحسن الالقاء والحافظة الجيدة اهم من ذلك يجب ان يكون الانسان فاضلاً شهراً حتى يكون خطيباً مجيداً

المكتبات والجامعات

نقل الرومان في اثناء الفتوح كتباً عديدة من بلاد اليونان الى روما واسسوا المكتبات العامرة ففي (١٦٧ ق . م) نقل بولوس اميليوس المكتبة الاثلى وعقبه سولا وجلب مكتبات عديدة تضم الالوف من المجلدات وقداس اوغوستوس مكتبتين عامتين في روما وانشأ فسبازيان (٦٩ - ٧٩ ب . م) مكتبة مهمة في روما على اثر حرقها من قبل نيرون وهذه المكتبة الاخيرة كانت حجر الاساس الذي بنيت عليه جامعة روما التي اهتم بها الامبراطور هادريان (١١٧ - ١٣٨ ب . م) ويرى المدقق في ابحاث هذه الجامعة انها كانت تهتم بالطب والحقوق اكثر من اهتمامها بالفلسفة وبقية العلوم وهذه ايضاً تظهر لنا ان تربية الرومان كانت عملية نفعية. والغريب ان العقل الروماني كان دون

العقل اليوناني في الابتكار والخوض في المباحث الفلسفية ولذلك نرى ان اكثر هذه المباحث كانت مراجعة اقوال الفلاسفة اليونانيين ودرسها والتعليق عليها . لم يهتم الرومان بفتح الجامعات في انحاء امبراطوريتهم الواسعة كما فعل اليونان فلا نجد جامعات في المقاطعات الا نادراً كجامعة بيروت الحقوقية مثلاً .

معاوضة الحكومة للمدارس

انتشرت مدارس الخطابة والگراماطيق في كافة انحاء الامبراطورية الرومانية فتكاد لا تجد مدينة صغيرة كانت او كبيرة الا وترى فيها مدرسة للگراماطيق واخرى للخطابة وقد اخذت الحكومة في العصر الامبراطوري تعضد هذه المدارس وتمنح المعلمين امتيازات خاصة لا تمنح عادة الا للاعيان (اعضاء مجلس الشيوخ) فتعفيهم من الرسوم والضرائب وقد ازداد اهتمام قياصرة الرومان بالمدارس في القرون الاخيرة فضاعف غراتيان (٣٦٧ — ٣٨٢ ب. م) مخصصات المدارس ، واعلن فالنتيان بان كل من يؤسس مدرسة بلا اذن من الحكومة يعاقب وينزل به الجزاء الصارم وهكذا نرى ان قد تشكل لدى الرومان في اواخر ايامهم ادارة معارف منظمة تكاد تضاهي معارف ارقى الامم في عصرنا الحاضر واليك جدولاً يمتناهج المدارس الرومانية ودرجاتها في ارقى اطوارها :

السن	الدرجة	اسم المدرسة	العلوم
٧ — ١٢	التعليم الاولي	Ludi (المدارس الاولى)	القراءة والكتابة والحساب
١٢ — ١٦	الثانوي	مدارس الغراماطيق	الصرف والنحو والادبيات
١٦ — ١٨	العلمي	مدارس الخطابة	النحو الخطابة والجدل الحقوق
٢٠ — ٢٥	العالي	الجامعات	الحقوق الطب فن البناء الرياضيات الخطابة والنحو

اشهر مربي الرومان

لا يسعنا في هذا المقام ان نأتي على ذكر جميع المربين الرومان وانما تقتصر في بحثنا على ثلاثة منهم ونذكر شيئاً من افقاهم وآرائهم التهذيبية . هؤلاء هم شيشرون و سينيكا و كوتيليان

شيشرون (١٠٦ - ٤٣ ق . م)

حصل شيشرون التحصيل الابتدائي في مدارس روما وبعد ذلك سافر الى اثينا ودرس على اكبر معلميها وكان من عائلة شريفة ساعدته على الانخراط في سلك السياسة بعد ان تعاطى المحاماة مدة من الزمن اظهر خلالها تفوقاً عظيماً في الخطابة والبلاغة وقوة الحجة واخيراً اصبح قنصلاً في روما فظهر اخلاصاً ووطنية حتى ان الرومان لقبوه بلقب « ابي الوطن » وقد كان لشيشرون اسلوب طلي في الكتابة اللاتينية ومعظم أبحاثه في فلسفة التربية ، ومن اهم اقواله فيها مجاهرته بعدم وجوب استعمال العقوبات الجسدية مع الطالب الا بعد ان يقنط المدرس من التصح والتوبيخ والزجر واذا استعملت فلا يجب ان يعاقب المدرس الطفل في اثناء الغضب والحدة وانما عليه ان يترث وينزل به الجزاء بعد ان تهدأ سورة غضبه . وهذا المبدأ موافق لاحداث الاراء في التربية والتعليم .

سينيكا (٣ - ٦٥ ق . م)

تلقى سينيكا العلوم الاولية في روما ثم زار مصر وبلاد اليونان واكتسب هناك اهم العلوم والفنون وبعد ذلك رجع الى روما وتعاطى مهنة المحاماة وما لبث ان تركها لما عين مريباً للطاغية نرون . تولى تربية نرون وله من العمر احد عشر عاماً اي بعد ان رسخت فيه ميوله الشريرة وتعذر على سينيكا استئصال هذه الميول ولما تولى الطاغية

نيرون زمام الامور جعل سينيكا مستشاره الخاص فكان له خير عون في ادارة الامبراطورية وقد دافع سينيكا دفاعاً مشهوراً عن نيرون امام الشعب لما قتل ذلك الطاغية امه ! على ان الظالم لم يلبث ان حقد على مربيه الذي تقانى في خدمته وخيره وامر بقتله فلما نمي هذا الخبر الى سينيكا انتحر تخلصاً من حاكم يتجلى فيه العقوق ونكران الجليل بتلك الصورة المروعة .

اقواله التهذيبية

- ١ — واجب التربية ان تستأصل من الطفل ميوله الشريرة .
- ٢ — يجب ان ندرس طباع الاطفال ونسير كل طفل بمقتضى ميوله الخاصة .
- ٣ — لا تعلم الطفل الحداغ بل عوده الصدق والتواضع والاحترام .
- ٤ — القدوة الحسنة خير من النصح والارشاد .
- ٥ — احسن واسطة تتعلم بها هي ان نعلم .
- ٦ — يجب ان نتعلم للحياة لا للمدرسة .
- ٧ — مهنة التعليم من اقدس المهن واشرفها في هذا العالم ، وان الاجور التي يتقاضاها المعلم لقاء خدماته في تعليم النشء لا توازي قيمة العلوم والمزايا الفاضلة التي يشها فيهم فواجبنا ان نحترم هذا الرجل الذي يتف نفسه على خدمتنا فيحيي فينا قوانا الكامنة ، لا بل يجب ان نجعله اجالانا للطبيب المداوي ونجبه كما نجب اقرب اقربائنا .

كوتيليان (٢٥-٩٥ ب . م) :

ولد هذا المربي في اسبانيا ثم قدم روما ودرس فيها فنبغ في الخطابة وتعاطى المحاماة مدة ثم تركها لانها لم ترق له فأسس مدرسة في روما وتولى ادارتها بنجاح مقدار عشرين عاماً ثم منحه الامبراطور فسبازيان لقب « استاذ الخطابة » وذاع صيته واكتسب شهرة واسعة ولما بلغ من العمر خمسين عاماً انكب على التأليف فكتب

كتاباً عن الخطابة دون فيه أكثر آرائه التهذيبية وله الفضل الأكبر في كثير من الأمور التي نعرفها عن تاريخ التربية الرومانية واليونانية واليك بعض مبادئه التهذيبية.

١ — لا يجب أن يضرب الطفل لأن الضرب للعبيد لا للأطفال الذين سيكونون مواطنين أحراراً .

٢ — يجب أن تكون المروضات من خيار النساء في الآداب والطهارة حتى ينشأ الطفل في بيئة صافية نقية ولا يكتسب منهن الألفاظ البذيئة .

٣ — لا يجب أن تستعمل الملاهي كوسائل للتعليم والتربية .

٤ — يجب أن يكون المدرس من ذوي الاقتدار في فرعته ويجب أن يتصف بأهل الخصال .

٥ — يجب أن تعلم الطفل منذ الصغر لغة أجنبية .

٦ — يجب أن تعلم صور الحروف وأسماءها في الوقت نفسه ويستحسن استعمال الألعاب والأشياء المشوقة في تعليمها .

٧ — يجب أن تعود الطفل الشغف بالعلوم وعندما يدرس الطفل القراءة يجب أن يتقدم ببطء وفي تعليم الخط يستحسن أن تكون النماذج حكماً أخلاقية .

٨ — يفضل إرسال الطفل للمدارس العامة حيث يختلط برفاقه فتولد الصداقة والمحبة والمباراة .

٩ — فن الخطابة اسمي الفنون .

التربية الرومانية في عصر الاضمحلال والانحطاط

انتشرت الثقافة اليونانية في روما وامتزجت بالثقافة الرومانية وبقيت منتشرة الى اواخر القرن السادس للميلاد انما كان تأثيرها ظاهرياً اسماً في العصور الاخيرة ، واما في الحقيقة فقد اخذت التربية الرومانية الجديدة بالانحطاط منذ نشوء الحكم المطلق اي ابتداء من القرن الاول بعد المسيح ، وقد ذكرنا آنفاً ان الرومان اقبلوا على الثقافة اليونانية بارتياح عظيم لانهم وجدوها مساعدة لهم في حياتهم العملية وفي ادارة شؤون

بلادهم ، فلما أصبحت السلطة مطلقة محصورة بأيدي افراد قلائل وفقدت روما نظامها الجمهوري الديموقراطي ، لم يبق للرومان حاجة لتلك التربية فضعف شأنها واخذت بالانحطاط ومما زاد في تأخر التربية الرومانية السقوط الاخلاقي وفساد المجتمع الروماني والاضحلال السياسي الذي نتج من ادخال المرتزقة (الجنود المأجورة) وانهاك الولاة بجمع الرسوم والضرائب لجيوشهم الخاصة وللقيام بفتنات القياصرة المستأجرين ، زد على ذلك ظهور الدين المسيحي والتربية المسيحية وبكلمة واحدة أصبحت منحصرة بفتنة من الطبقة العليا المستولية على زمام الامور ، اما جمهور الامة فانه اعرض عن تلك المعاهد التهذيبية لانه لم يعد يرى فيها فائدة له في حياته العملية . وسرى كيف ان هذا الاضمحلال ساعد على اقتدار المبادئ والتعاليم التهذيبية المسيحية .

الخلاصة

تظهر حقيقة التربية الرومانية في عصورها الاولى قبل امتزاجها بالتربية اليونانية وقد قامت روما بخدمات عظيمة للمدينة اهمها ابتكار الوسائل العملية لتطبيق الآراء النظرية فترية الشاب الروماني خير مثال للتربية العملية المادية . نجد في التربية الرومانية ان البيت هو المعهد التهذيبي الرئيسي ففيه يقلد الطفل والديه اللذين يدرbane على الحياة العملية ويعملان على تهذيبه برواية سير الابطال . على اثر توسع روما السياسي ادخلت المبادئ التهذيبية اليونانية فنشأت مدارس من طراز يوناني غايتها اتقان الادب والخطابة وفنون الكلام فاقبل عليها الجمهور لانها كانت تعد الفرد للحياة السياسية ، ولكننا نجد ان هذا الاقبال نقص كثير في العصور الاخيرة لما نشأ الحكم المطلق وفسد المجتمع الروماني فعمقت التربية الرومانية العالمية صبغتها العملية القديمة . وتغلبت عليها التربية المسيحية كما سرى في الفصل المقبل .

العمل الخالص

الباب الثاني

التربية في العصور الوسطى

الفصل الخامس

التربية في القرون الوسطى التربية تستعمل كترويض خلقي وروحي وعقلي ١- التربية المسيحية

الحركة الفكرية وقت انتشار النصرانية ، اوجه الخلاف بين الافكار الوثنية والمسيحية ، نظر المسيحيين في بادي امرهم الى العلوم الوثنية ، المدارس المسيحية الاولى ، اولا : المدارس التنصيرية ، ثانياً : المدارس الاستجوابية ، مدارس الكهنة ، ٢ - الرهبنة ، اهمية الرهبنة ، منشأ الرهبنة ، قوانين الاديرة ، الاداب والعلوم في الاديرة ، الفنون السبعة الحرة ، النسخ ، مدارس الاديرة ٣٠ - الانتعاش التعليمي في عهد شارلمان . عمل شارلمان . حكم من (٧٢١ - ٨١٤ ب م) الكوين (٧٣٥ - ٨٤) ٤٠ - الطريقة الكلامية الجدلية (المدرسية) . معنى الفلسفة المدرسية وهدفها . محتويات الفلسفة المدرسية . طريقة الفلسفة المدرسية . محاسن الفلسفة المدرسية ومساوئها . ٥ - الجامعات . اصل الجامعات . تأسيس الجامعات . انظمة الجامعات . رتب الجامعات . طريقة التعليم في الجامعات . تأثير الجامعات ٦٠ - التربية في اواخر القرون الوسطى . تباشر النهضة في اواخر القرن الثالث عشر . المدارس الجديدة في اواخر القرون الوسطى ٢٠ - مدارس الاوقاف ٣ - مدارس النقابات ٤٠ - الطلبة المتجولون . الخلاصة

الحركة الفكرية وقت انتشار النصرانية

اقتشرت الديانة المسيحية بسرعة في العالم المعروف فغيرت المجرى الفكري والاخلاقي الذي نتج عن امتزاج المبادئ اليونانية الوثنية بالمبادئ الرومانية ، وفي الوقت نفسه

اقتبست كثيراً من ثقافة العصر فتطورت بدورها تطوراً محسوساً . ولا بد لنا من تقديم كلمة موجزة عن تلك الحركة الفكرية التي كانت سائدة حين ظهور الديانة المسيحية وانتشارها حتى نأخذ فكرة عامة عن موقف الكنيسة ازاء التربية الوثنية القديمة . ولا يسعنا في هذا المقام ان نأتي على تطور الفكرة المسيحية بالتفصيل وإنما نكتفي بذكر بعض النقاط الجوهرية التي تهتم الباحث في تاريخ التربية .

وصل اليونان بفضل فلاسفتهم الى مقدرة عظيمة في الابحاث المجردة الفلسفية والقوا فيها كتباً قيمة ثم انتشرت هذه المبادئ والتعاليم بين افراد الطبقة المتنورة في بلاد اليونان والرومان فلما ظهرت التعاليم المسيحية المخالفة لكثير من هذه الاراء الوثنية نشأ هذا التطور الذي سنبحث عنه في هذا الفصل .

أوجه الخلاف بين الآراء الوثنية والمسيحية

اهتمت التربية الوثنية كما شاهدنا في ايماننا السابقة بالعلوم والاداب والفنون الجميلة و من اهم النقاط التي تباينت فيها مبادئ التربية المسيحية عن التربية الوثنية ازدراء التعاليم النصرانية لتلك العلوم والاداب والفنون الرفيعة التي كان لها ذلك المقام السامي في نظر اليونان والرومان . وما ازدرت التربية المسيحية بتلك الامور الا لسبب واضح وهو ان هدفها في الحياة يختلف عن هدف التربية اليونانية ، فغاية اليوناني في الحياة تنتهي بموته . اما غاية التربية المسيحية فهي الاستعداد للعالم الثاني وعدم الاكتراث بهذا العالم الفاني . وهناك نقطة خلاف اخرى هي على جانب من الاعمية وتلخص في ان احراز امثل الاعلى الذي وضعه اليونان وفلاسفتهم لا يتسنى الا لقسم او لطبقة من الناس بخلاف الهدف الاعلى المسيحي الذي يتمكن كل فرد من الوصول اليه ، مهما كانت الطبقة التي ينتمي اليها ، وهو تطهير الروح بتذليل الجسم استعداداً للعالم الثاني الازلي الخالد . ولا يخفى ان الغرب كان بحاجة ماسة الى تربية خلقية شديدة على اثر ضعف الاساليب الرومانية ودخول البرابرة والفوضى التي نشأت عن ذلك فقامت التربية المسيحية بتلك المهمة وهكذا حلت تربية جديدة ، قصدها الترويض الخلق والروحي والعقلي ،

مكان التربية اليونانية الحرة والتربية الرومانية العملية ، فاندurst الابحاث الفلسفية العقلية وحلت مكانها المناقشات الجدلية في العقيدة الدينية واحملت التمارين على الخطابة والبلاغة وظهرت عوضاً عنها رياضة خلقية ترمي الى قهر النفس وتطهير الروح .

نظر المسيحيين في بادئ امرهم الى العلوم الوثنية

تضاربت آراء قادة الكنيسة في العلوم الوثنية وموقفهم ازاءها فانقسموا الى فئتين : فئة قالت بان الثقافة الوثنية لا تنافي تعاليم الكنيسة وان الفلسفة اليونانية اليونانية كالديانة المسيحية غايتها الحقيقة ، ولذلك يجب قبول تلك الثقافة والاستفادة منها لان تعاليمها لا تناقض تعاليم الكتاب المقدس في نظرهم . وخالفتهم في هذا الرأي فئة اخرى قالت بوجود نبت تلك التعاليم وتحملت عليها لان اربابها امتنوا المسيحيين واضطهدوهم في اثناء بث الدعوة وجاهرت هذه الفئة بان مزج التعاليم الوثنية الفلسفية بالمبادئ المسيحية يولد الكفر والزندقة . وصرحت بان درس اساطير هوميروس وخرافات زفس يث الفسق والدعارة والفساد في نفوس الجمهور . ونجد بوجه عام ان اتباع الفكرة الاولى كانوا من اليونان المقيمين في الشرق فهم الذين عطفوا على التعاليم الوثنية واما الذين عاكسوها فكانوا في الغرب . وبسبب تحمل هؤلاء على الثقافة اليونانية ، اجتاز الغرب عدة قرون خبت فيها نار العلوم ولذلك فقد سميت تلك المدة « بالعصور المظلمة »

ما هي الاسباب التي دعت مسيحيي الغرب اللاتين الى الاعراض عن تلك الثقافة ؟ ذكرنا في مقدمة البحث بعض الاسباب ولكن هنالك اسباب اخرى منها الاعتقاد الذي شاع في الغرب بقرب عودة المسيح وانتهاء العالم ولذلك كان درس العلوم والفنون من الامور التافهة في نظرهم اذا قيس بتطهير الروح والاستعداد للعالم الثاني واهم من ذلك فكرة التنسك التي عمت في تلك العصور كما سنرى في بحثنا عن الرهبنة ونشوءها زد على ذلك نظر الكنيسة الى التربية كترويض خلقي لا كتدريب عملي كما اعتبرها الرومان .

المدارس المسيحية الاولى

اهتم اتباع الكنيسة في الشرق والغرب بنشر تعاليم الدين المسيحي فانشأوا مدارس خاصة لتدريب المتصيرين على الدين وتعاليم الكنيسة . كانت هذه المدارس على نوعين :

اولا : المدارس التنصيرية

أسست هذه المدارس في الغرب وكان يدخلها الذين اعتنقوا النصرانية حيث يتلقون المبادئ المسيحية ولا يتخرجون منها ما لم يتقنوا تلك التعاليم وينجحوا في عدة تجارب واسئلة تطلب منهم قبل ان تعتبرهم الكنيسة من اتباعها المخلصين .

ثانياً : المدارس الاستجوابية

وهي مدارس دينية تنصيرية لا تختلف عن الاولى سوى في كونها أسست في الشرق وخاصة في مدينة الاسكندرية وطريقة التعليم في هذه المدارس هي طريقة الاستجواب او المحاطبة وفيها امتزجت العلوم اليونانية بالمبادئ المسيحية حتى انهم كانوا يدرسون فيها الخطابة والفلسفة .

مدارس الكهنة

قضت الكنيسة على الافراد الذين يودون الانتظام في سلك الكهنة ان يدخلوا مدارس خاصة منذ الصغر وكانت هذه المدارس تحت رعاية الاساقفة ومقرها عادة الكنائس وغايتها اعداد كهنة يديرون المراسم الدينية ولا يجب ان يغرب عن بالنسبة ان هذه المدارس هي غير مدارس الرهبان التي سنبحث فيها .

٢ — الرهبنة

التربية كترويض خلقي

اهمية الرهبنة

تطلق الرهبنة على الافراد الذين اخذوا على انفسهم عهداً دينياً بان يتقضوا حياتهم في الدير مقيدين بقوانين خاصة تدير اطوار حياتهم بجميع فروعها ودقائقها . واما لقب الكهنة او طعمة الاكايوس فيطلق على الذين يخدمون الكنيسة ويكونون حلقة الاتصال بينها وبين رعاياها المسيحيين .

للرهبنة اهمية عظيمة في تاريخ التربية لسببين أولاً : لان الدير كانت المساهم التهذيبية الوحيدة في الغرب المسيحي في اثناء « العصور المظلمة » وثانياً : لان التربية في الدير تشمل هذا الابحاث الدينية المسيحية علوماً وفنوناً نظرية وعملية كان لها أثر كبير في النهضة الاوربية .

مذشأ الرهبنة

فكرة التنسك والتعشف قديمة جداً نجدها في عقائد العبريين والفرس والمصريين القدماء وخصوصاً لدى اتباع زينو اليوناني « Stoics » وغاية هذه الفكرة ان تسمو روح المرء وتتجرد عن ملذات العالم الفاني بقهر الميول الجسدية وتذليلها باستعمال الصوم والسكوت وقلة التغذية والزهد والافراد . وبما ان التربية المسيحية خلقية فقد قبلت فكرة التنسك فنشأت الدير ، فنشأ الرهبنة اذن من التنسك وغايتها ترويض المرء رياضة خلقية بمقتضى طرق واساليب معينة . ولنشوء الرهبنة سبب آخر وهو ان الكنيسة المسيحية لبست ثوباً دنيوياً على اثر امتزاجها بالثقافة الرومانية فادى ذلك الى استياء بعض اتباع الكنيسة فانفردوا في الدير تخلصاً من تلك الحال فنشأت الرهبنة .

قوانين الاديرة

عملت الرهبنة على قهر النفس وتذليلها بابتكار وسائل واساليب لترويض الجسم وقد شعر الرهبان على اثر انشاء الاديرة بحاجة ماسة الى نظام خاص يسرون بموجبه فقام القديس بنديكيت بهذا العمل سنة ٥٢٩ ب . م . وسن قوانينه المشهورة التي نظم بها حياة الرهبان في الاديرة وقسم اوقاتهم ونظم اعمالهم ففرض عليهم تعاطي الصناعات والاعمال اليدوية اوقات فراغهم وامرهم بوجوب الاشتغال مدة ساعتين كل يوم بقراءة الكتاب المقدس حتى انه عين لهم الفصول التي ينبغي لهم ان يقرأوها . ولهذه القوانين اهمية في التربية لانها سبحت للرهبان بتعاطي الصناعات فاشتغلوا بالتجارة والحدادة وصناعة الجلود وحرثوا الاراضي وزرعوها فكانوا مثالا في الزراعة والصناعة لسواهم من بقية الطبقات . ولانظمة بنديكيت فائدة اخرى وذلك لكونها فرضت على الرهبان قراءة الكتاب المقدس فترى انها فتحت لهم مجالاً للاشتغال بالعلوم والاداب فنسخوا المخطوطات وانشأوا المكتبات العديدة كما سترى في بحثنا عن نسخ المخطوطات في الاديرة .

الاداب والعلوم في الاديرة

• بما ان الغاية الاساسية من تأسيس الاديرة دينية فلا يجب ان يغرب عن ثلثنا ان اشتغالهم بالعلوم والاداب كان ايضاً تحت تأثير ذلك العامل الديني ولذا نجد ان ابحاثهم المهمة كانت دينية لاهوتية . وكل من يتجاوز تلك الحدود باحثاً في الفلسفة والعلوم بخطة تخالف التعاليم الدينية كان يتهم بالكفر والزندقة . وقد اوصلهم اهتمامهم بالمباحث اللاهوتية الى درس لاداب اللاتينية فبحثوا في اللغة والنحو وتطرقوا منها الى بقية العلوم التي تفيدهم في حياتهم المسلكية . فما درسوا الاداب الا لفهم الكتاب المقدس وما درسوا الفلك واخذسة الا لضبط الاعياد والمراسم الدينية باوقاتها المفروضة وكذلك اقبلوا على الموسيقى لما لها من الشأن في الاحتفالات الدينية .

النزول السبعة الحرة

اقتصرت التربية في الدير على درس العلوم السبعة الالهية : الغراماتيقي و الخطابة و الجدل ثم الحساب و الهندسة و الفلك و الموسيقى ولم يتوسعوا في هذه العلوم وانما بحثوا فيها من وجهة محدودة تحت تأثير العوامل الدينية

النسخ

من اهم الاعمال التي قام بها الرهبان في الدير نسخ المخطوطات، فانشأ رؤساء الدير غرفة خاصة لهذا الغرض تدعى (Scriptorium) وكانوا ينسخون فيها المخطوطات على نوع من الرق يدعى [Parchement] ومن المؤسف انهم مسحوا الكتابات عن بعض المخطوطات القديمة واستعملوا ورقها للنسخ فاصاعوا بهذه الصورة عدداً لا يستهان به من المخطوطات القديمة الثمينة ويعمل المؤرخون هذا العمل بقله الرق في تلك العصور . اما مواضيع الكتب التي استنسخوها فمعظمها عن حياة القديسين وسيرهم وتري الرهبان في دير واحد ينسخون من كل كتاب نسخاً عديدة فلا يحتفظون الا بنسخة منها . اما البقية فيبادلون بها كتباً اخرى من بقية الدير وبهذه الوسيلة توصل الرهبان الى انشاء مكتبات تحتوي على كتب عديدة متنوعة .

مدارس الدير

فرض القديس بنديكت على اترهبان قراءة الكتاب المقدس فكانه فرض عليهم تعلم القراءة والكتابة ، فلبست لهذه الغاية مدارس في جميع الدير تسعى لتعليم الرهبان مبادئ القراءة والكتابة ، ثم لم تلبث هذه المدارس ان اصبحت عامة يدخلها غير الرهبان وذلك في ايام شارلمان

٣ — الانتعاش التعليمي في عهد شارلمان

عمل شارلمان . حكم من (٧٧١ - ٨١٤ ب م) :

استغرق تنصير البرابرة الجرمانيين مدة طويلة اقتبسوا في اننائها الثقافة المسيحية الرومانية ولكن بشكل اسمي ظاهري والحقيقة انهم لم يمتزجوا تمام الامتزاج الا بعد ما قام شارلمان واتخذ اللاتينية لغة رسمية واقتبس الثقافة الرومانية المسيحية وعمل على نشرها في الامبراطورية الرومانية المقدسة التي اعلنها سنة ٨٠٠ ب . م وقد توصل الى ذلك بانشاء المدارس فاستدعى الراهب الكوين الايرلاندي وعينه رئيساً لمدرسة اسبها في قصره تخرج منها عدد من الرجال الذين اعتمد عليهم شارلمان في ادارة امبراطوريته ثم لم يلبث ان اصدر قوانينه المشهورة التي يأمر فيها « بانشاء مدرسة في كل دير يتعلم فيها الصبيان المزامير والمبادئ المسيحية والموسيقى والغناء والحساب والفرماطيق » وامر بان يعطى الاولاد كتباً خالية من الاغلاط والهفوات واثار بوجوب تعويد الاطفال الاعتناء بتلك الكتب والحفاظ علىها في اثناء استعمالها . وكان لشارلمان موظفون يدعون « Misni Dominici » وظيفتهم تفتيش الاديرة ومدارسها ومراقبة تنفيذ القوانين التي اصدرها .

الكوين (٧٣٥ - ٨٠٤) Alcuin

يعد الكوين من اشهر المربين في القرون الوسطى لما كان له من الاثر في اعمال الامبراطور شارلمان ففي سنة ٧٩٤ اقطعه شارلمان مقاطعة تورس Tours فاس هذا الراهب فيها ديره المشهور الذي كان مركزاً عظيماً للعلوم في فرنسا يقصده الطلاب من كافة انحاء الامبراطورية المقدسة .

اما افكاره وآراؤه التهذيبية فقد كانت ضيقة ولذلك اعمل درس الاداب العالية في الاديرة وقيد الرهبان بمبادئ الرهبنة القديمة التي تأمر بالنقش والتنسك وحضهم على وجوب الاشتغال بالمباحث الدينية فقط واذا قضي عليهم ان يشتغلوا بسواها فليخدم

الدين والكنيسة . وكتب الكوين مؤلفات في النحو والحساب والفنون السبعة الحرة
الا ان كتابانه كانت كلها تحت تأثير نظره الديني الضيق المحدود .

الطريقة الكلامية الجدلية Scholasticism « المدرسية »

التربية كرياضة عقلية

معنى الفلسفة المدرسية وهدفها

يطلق هذا الاسم على الحركة الفكرية التي سادت في القرون الوسطى على اثر
اختلاط الغرب بالشرق في اثناء الحروب الصليبية اي من اوائل القرن الحادي عشر الى
اواخر القرن الخامس عشر ودعت بالفلسفة المدرسية لان قادتها كانوا من رجال
المدارس والجامعات . ولهذه الطريقة الفضل الاكبر في تأسيس الجامعات الغربية فقد
كانت روحها منتشرة في تلك الجامعات وفي اكثر المؤلفات التي كتبت في تلك المدة
لهذه الطريقة غايتان : غاية عامة وغاية تهذيبية . اما الغاية العامة التي رمت اليها
الطريقة المدرسية فهي المدافعة عن الهجمات العنيفة الموجهة ضد العقيدة المسيحية
باستعمال العقل والمحاكمات المنطقية الكلامية ، ومن هذه الوجهة فهي تشبه السفسطة
اليونانية . اما الهدف التهذيبي الذي سعت الطريقة « المدرسية » للوصول اليه فهو :

- ١ — تنمية قوة المناقشة والجدل .

٢ — تنسيق المعلومات والمعارف بشكل علمي منطقي .

٣ — اعطاء الافراد ملكة البحث في تلك المعلومات المنسقة .

محتويات الفلسفة المدرسية

كان للابحاث الدينية الشأن الاكبر بين المباحث التي طرقها اتباع الفلسفة المدرسية
والمهم انهم حاولوا تطبيق مبادئ منطق ارسطو في اثبات العقائد الدينية حتى ان بعض
المتأخرين يعرفون الفلسفة بقولهم انها عبارة عن اتحاد المعتقدات المسيحية بمنطق المعلم
الاول وما مهمة المدرسين سوى اخذ العلوم التي لا تنافي في التعاليم المسيحية وتنسيقها

بشكل منطقي . اما ابخات فلاسفة الطريقة المدرسية فقد اقتصررت على دعم المبادئ المسيحية ووضعها بشكل فلسفي مقتبس عن الفلسفة اليونانية . وبهذا الاعتبار انقسم الفلاسفة المدرسيون الى فئتين :

قسم قبل آراء افلاطون بان الافكار والمشاهدات هي التي تشكل الحقيقة دون سواها ، ويعرف هؤلاء بالواقعيين وقسم آخر قبل آراء ارسطو وهي ان هذه الافكار عبارة عن اسماء ، اما الحقيقة فتجدها في نفس الاشياء ويعرف هؤلاء بالاسميين وقد استمر الجدل بين هؤلاء قرونا عديدة وكتبوا في هذه الفلسفة المجلدات الضخمة العديدة وما كنا لنبحث في هذه الفلسفة العقيمة لولا علاقتها العملية بالدفاع عن العقيدة المسيحية فقد اتخذت الكنيسة الفلسفة الواقعية سلاحها في الدفاع عن مبادئها الذي يقول بان القربان المقدس المركب من خبز وخمر يتحول الى لحم المسيح ودمه وقد اثبتت ذلك كما يأتي :

قال افلاطون بان الافكار او الجوهر هي حقائق فاذن هي مستقلة عن الاعراض التي ترافقها ومن الممكن ان يتغير جوهر الشيء بدون ان تتغير اعراضه وكذلك يتحول جوهر الخبز والخمر في القربان المقدس الى لحم ودم بدون ان تتغير الاعراض المألوفة في الخبز والخمر .

وهذا مثال من امثلة كثيرة نذكره لنتكسب فكرة عامة عن الفلسفة المدرسية في القرون الوسطى .

طريقة الفلسفة المدرسية

اتبع الفلاسفة المدرسيون طريقتين مختلفتين في ابخاتهم : الاولى طريقة التحليل المنطقي والثانية طريقة التفسير والشرح اما الاولى فكانت كما يأتي : يأخذ الباحث الموضوع ويجزئه الى اقسامه ثم يأخذ كلا من تلك الاقسام ويحلله ايضاً الى اجزائه وهكذا الى ان يصل الى ادق تلك الاقسام وحينئذ يتناولها ويبحث في الاسباب والمعاني والعلاقات مراعيًا منطق ارسطو واما طريقة التفسير فكانت على الشكل الاتي

يضع الباحث اولاً نص القضية التي ينوي درسها ويأخذ بتفسيرها من جميع الاوجه الممكنة ويختار اخيراً التفسير الصحيح ولقد كانت الطريقة الاولى اكثر شيوعاً من الثانية .

محاسن الفلسفة المدرسية ومساوئها

- ١ — ان اول انتقاد يقدمه العلماء في وقتنا الحاضر لرجال الفلسفة المدرسية هو انهم لم يتحققوا صحة المادة التي كانت بين ايديهم وذلك لانهم لم يتبعوا الاستقراء في ابحاثهم بل سلموا بصحة المادة بلا تنقيب وتمحيص ولذلك فقد ارتكبوا اغلاطاً فادحة.
 - ٢ — دارت ابحاثهم حول نقاط مجردة خيالية عقيمة الفائدة واليك بعض الابحاث التي كانت تستغرق اوقاتهم فيقتضون الايام الطويلة في الجدل والمناقشة : « كم ملكاً يتمكن من الرقص على رأس الابرّة ؟ » ، « هل يوسع الله خلق جبلين بلا واد بينهما » « ماذا يحدث اذا اكلت الفأرة القربان المقدس او العشاء الرباني ؟ »
- هذه هي الانتقادات المهمة التي توجه الى الطريقة المدرسية على انه لا تخلو الفلسفة المدرسية من ابحاث فلسفية عالية نفيسة نجدها مبعثرة بين تلك المواضيع التافهة التي قدمنا مثالا منها

٥ — الجامعات

اصل الجامعات

- لتطور الحركة الفكرية في اواخر القرن الحادي عشر اسباب عديدة ادت الى تأسيس الجامعات في الغرب انما يكفي لبحثنا المختصر ذكر بعض هذه الاسباب المهمة :
- ١ — الحروب الصليبية والروح الفكرية الجديدة التي تسربت الى الغرب على اثر اختلاط الغربيين بالشرق العربي .
 - ٢ — انتشار الثقافة العربية وما حوته من العلوم والفنون عن طريق الاندلس .
 - ٣ — زوال الاعتقاد السائد برجوع المسيح بعد الف عام على ولادته .
 - ٤ — تحسن الاحوال التجارية والاقتصادية خصوصاً في المدن الايطالية .

تأسيس الجامعات

استت اول جامعة غربية مسيحية عام ١٠٥٠ في مدينة سالرنو (Salerno) في جنوبي ايطاليا بالقرب من نابولي . وكان تأسيسها على اثر اختلاط سكان جنوبي ايطاليا بالعرب فقامت هذه الجامعة في بناء دير سالرنو في باديء الامر وكانت غايتها تعليم الطب ثم لم تلبث ان توحدت مع مدرسة نابولي واصبحت معروفة باسم مدرسة نابولي .

اما في شمالي ايطاليا فقد كان النزاع شديداً بين المدن الايطالية وقياصرة الامبراطورية الرومانية المقدسة بشأن حقوقهم وواجباتهم تجاهه فادى ذلك الى الاهتمام بالمباحث الحقوقية فاستت عدة مدارس لتلقين تلك الابحاث واهم تلك الجامعات جامعة بولونيا « Bologna »

اما جامعة باريز فقد اعترف بها بصورة رسمية لويس السابع عام ١١٨٠ وكانت غايتها المباحث الدينية ثم تعاقب افتتاح الجامعات فاستت جامعة بادوا في شمالي ايطاليا (Padua) ١٢٢٢ وجامعة اكسفورد عام ١٢٤٩ وجامعة كمبرج عام ١٢٨٤ وجامعة سامنكا في اسبانيا المسيحية ١٢٤٣ وجامعة مونتبلية (Montpellier) للطب .

انظمة الجامعات :

تتماز الجامعات عن مدارس الاديرة المنفردة بكونها استت في المدن المختشدة بالسكان فنشأ من جراء هذا الاحتكاك امتيازات خاصة منحتها السلطات المحلية للجامعات واليك اهم هذه الامتيازات :

١ — حازت الجامعات على نفس الامتيازات التي منحت سابقاً للمؤسسات الاكبرية فالطلاب والمدرسون في الجامعات مستثنون من الخدمة العسكرية ومن الرسوم والضرائب وكما انه كانت الكنيسة تحاكم رجالها في محاكمها الخاصة فكذلك كان المجرمون من الطلاب يحاكمون في محاكم خاصة شكلتها الجامعات .

٢ — للجامعات الحق باعطاء شهادات ورتب للذين يكملون تحصيلهم وينجحون في



المناقشة بعد المحاضرة في
احدى جامعات اوروبا في
العصور الوسطى

١



محاضرة في الحقوق المدنية في جامعة باريس قديماً

الامتحانات . ولهذا الرتب ميزة مهمة وهي انها تخول الذي ينالها الحق بتعاطي احدى المهن بعد خروجه .

٣ — لم تعط كل هذه الحقوق والامتيازات بقرارات من الحكومات ولذلك ابتكر رجال الجامعات مؤيداً لهم اذا مست حقوقهم فكانوا يلجأون الى الاضراب عن العمل (Cessatio) واحياناً يلجأون الى سلاح آخر وهو المهاجرة فيهددون الحكومة بنقل الجامعة من تلك المدينة الى مدينة اخرى كما حدث عام ١٢٢٩ لما رحل قسم من مدرسي جامعة باريز وطلابها الى اكسفورد على اثر تدخل السلطة في شؤون الجامعة الباريزية . وحدثت ايضاً اضطرابات في جامعة اكسفورد عام ١٢٠٦ ادت الى مهاجرة قسم من رجال الجامعة الى كمبرج .

كانت هيئة الطلاب والمدرسين في الجامعات مقسومة بحسب الجنسية الى جماعات تربطهم رابطة القومية وتشبه هذه الجمعيات النقابات في عصرنا الحاضر ولكل من تلك الفئات حقوق وامتيازات تختلف عن حقوق بقية الجمعيات وامتيازاتها، ووظيفتها ادارة شؤون المتعلمين اليها ومراقبة سلوكهم والمدافعة عن حقوقهم انما زال هذا التفريق في اواخر القرن الرابع عشر واتحدت هذه الجمعيات واصبحت كلها كتلة واحدة .

وكما كانت الجامعات محتوية على اقسام عديدة بحسب جنسيات الطلاب والاسانذة فكذلك كانت تضم شعباً مختلفة باعتبار تعدد انواع الدروس والابحاث فنجد مثلاً شعبة لتدريس الحقوق واخرى للابحاث اللاهوتية واخرى للاداب ولا يزال هذا التقسيم شائعاً ومستعملاً في جامعاتنا الحديثة .

رتب الجامعات

يدخل الطالب الى الجامعات بعد ان يتم تحصيله الابتدائي في مدرسة او على معلم خاص، وعمله في الجامعة يقتصر على سماع المناقشات والمجادلات وتدريس الصغار تحت اشراف كبار الاسانذة ، واخيراً يطلب منه تقديم رسالة او اطروحة (thesis) في

الموضوع الذي درسه وبعد ان يناقش الطالب في ذلك الموضوع بحضور الاساتذة يعطى لقب معلم او استاذ اذا نجح في الدفاع عن اطروحته .

طريقة التعليم في الجامعات ✓

كانت اللغة اللاتينية لغة التدريس في جميع الجامعات ولذلك فالكتب المدرسية كانت ايضاً في اللاتينية واما طريقة التدريس فقد كانت على الشكل الآتي : يقرأ المعلم النص الموجود في كتابه وكتب التلاميذ ، ثم يقرأ بيان الشروح الموجودة بهامش كتابه، وواجب الطلاب ان يدونوا تلك الشروح في ذيل كتبهم، على ان الجامعات منعت التدريس بهذا الشكل في القرن الرابع عشر ، فحاول الطلاب ارغام المدرسين على استعمال الحراز القديم بمقاطعتهم بالصفير والضحك العالي في اثناء الدرس وبرهيم بالحجارة فقررت الجامعات طرد الطلاب الذين يقومون بمثل هذه الاعمال ، وهكذا تمكنت من تغيير الشكل القديم واصبح التدريس بشكل محاضرات تلقى على الطلاب . اما اسلوبهم في البحث فلا يختلف عن اسلوب الطريقة المدرسية « راجع صفحة ٦٩ » واما المادة التي كانت تدرس في الجامعات فالقسم الاكبر منها مقتبس عن مؤلفات المعلم الاول ارسطو التي اضيفت الى الفنون السبعة الحرة .

أثر الجامعات

نما يدلنا على المركز الادبي العظيم الذي نالته الجامعات في القرون الوسطى ، ان الحكومات خصت بعض الجامعات بعضو يمثلها في المجالس النيابية ولا يزال هذا الحق باقياً حتى الآن في بعض الجامعات الحديثة . وكانت الجامعات مرجعاً عالياً يرجع اليه في القضايا المهمة كما حدث في القضية المهمة بين الكنيسة وهنري الثامن بخصوص طلاقه من زواجه وكيف ان الطرفين قبلًا بحجامة باريز حكماً له القول الفصل في تلك المشكلة .

كانت الجامعات من جملة العوامل المعدة للنهضة الكبرى ومع انها بدأت صغيرة

وقليلة العدد فانها تمت وتوسعت وتكاثرت فزاد عددها على المائة في اواخر القرن السادس عشر وهكذا فقد عملت على انازة العقول في تلك القرون المظلمة فكانت منها صافياً يستقي الطلاب منه الفنون والمعارف واوجدت محيطاً دائماً ترعرع فيه رجال كروجر باكن ودانت وبتارك وكوبرنيكوس وسواهم من مؤسسي النهضة العلمية الحديثة .

٦ — التربية في اواخر القرون الوسطى ✓

تباشير النهضة في القرن الثالث عشر

اعتمد المؤرخون ان يعدوا القرن الخامس عشر والسادس عشر عصري الانتقال من القديم الى الجديد ، من القرون القديمة الى العصور الحديثة . والحقيقة ان هذا الانتعاش الفكري ابتداءً قبل القرن الخامس عشر وظهرت تباشيره في القرن الثالث عشر كما ان العوامل التي كانت تعمل على تبديد ظلمات القرون الوسطى ، بدأت بعملها قبل ذلك التاريخ ، ولا يخفى انه يستحيل على المؤرخ تعيين تاريخ محدود للنهضة والحركات التاريخية . ولهم حقيقة التربية في القرون الوسطى وفي عصر النهضة ، يجب ان ندقق قليلا في تاريخ التربية في اثناء القرن الثالث عشر ، فهو في نظرنا حلقة الاتصال بين القرون الوسطى والنهضة الاوربية الكبرى .

نجد ان الحركة الفكرية قد انتقلت تماماً من الاديرة الى الجامعات ونرى ان زمام هذه الحركة قد انتقل من ايدي الكهنة ورجال الكنيسة الى ايدي اساتذة علمانيين كما ان الابحاث العلمية التي كانت دينية لاهوتية قد اكتسبت صبغة جديدة فاصبحت فلسفية منطقية زد على ذلك ان العلم اصبح محترماً عند الناس فعاد الى مكانته القديمة من الاعتبار . ويمتاز هذا العصر ايضاً بكثرة المدارس ونشوء انواع جديدة منها كما سنرى في هذا البحث . وفي هذا العصر اخذت تنتشر العلوم العربية ! تنشرها المشهور في اوروبا وقد افرزنا للتربية العربية فصلاً خاصاً بحثنا فيه بتفصيل أثر

العرب في الغرب (راجع الفصل السادس) • وزبدة القول ان ظواهر الحركة الفكرية في القرن الثالث عشر كانت كلها تدعو الى الاعتقاد بقرب اوان عصر النهضة والتجدد والانتعاش .

المدارس الجديدة في اواخر القرون الوسطى

١ — الاخوان Friars او ارهبان الشحاؤون

قامت فئة من الرهبان في اائل القرن الثالث عشر تريد اصلاح الكنيسة وخدمتها عن طريق التعليم فأست فرقة خاصة واختارت لنفسها لقب الاخوان او الرهبان الشحاؤون مظهره بهذه التسمية رغبتها بالزهد والتشف ولم تلبث ان انقسمت الى قسمين : طغمة الفرنسيسكان (١٢١٢) وطغمة الدومينيكان (١٢١٦) . انتشرت الطائفة الاخيرة خصوصاً وأست اديرة لها في اغلب المدن وهناك عملت على تعليم الفقراء وابناء الطبقة الوسطى مبادئ العلوم التي تتفق مع التعاليم المسيحية .

٢ — مدارس الاوقاف

جرت العادة بان يهب المحسنون هبات عظيمة للكنيسة مقابل صلوات وادعية يقوم بها القس عن ارواح الواهبين وكثيراً ما كانوا يقطعون الكهنة اقطاعات عظيمة يعيشون من خيراتها ولقاء ذلك يصلون عن ارواح المحسنين . وبما ان هذه الصلوات كانت تستغرق قسماً من اوقات القساوسة فقد انصرف هؤلاء الى تعليم الصغار فنشأت مدارس الاوقاف المسيحية .

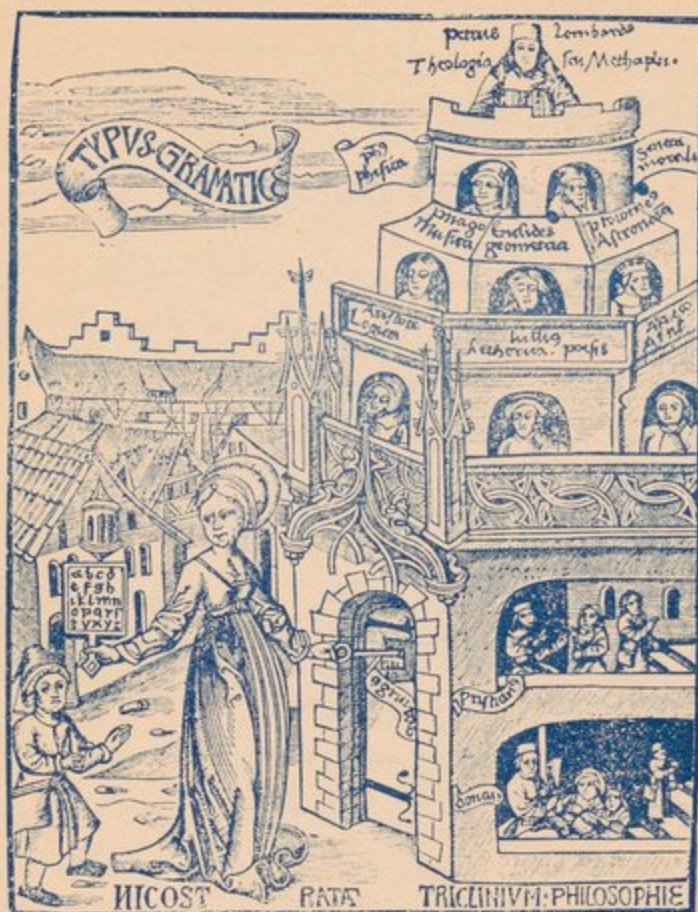
٣ — مدارس النقابات

نجد ايضاً ان نقابة التجار والصناع كانت تنفق على الاكابر وس فنشأت مدارس خاصة باولاد الطبقة الوسطى وانتشرت انتشاراً عظيماً في المدن التجارية الصناعية .



أحدى مدارس الرهبان الشعاذين

(راجع صفحة ٧٦)



صورة رمزية لتدرج العلوم في العصور الوسطى

بعد ان يتقن الشاب مبادئ القراءة والكتابة يدخل هيكل الحكمة فيتعلم في الطبقة الاولى والثانية دروس قواعد اللغة ثم في الطبقة الثالثة منطق ارسطو والخطابة والشعر (راجع الصورة) والحساب . اما في الطبقة الرابعة من الهيكل فيدرس الموسيقى والمهندسة والفلك ثم يتدرج الى دراسة الفلسفة فيتعلم الطبيعيات والاخلاق والالهيات . وهذه الالهيات هي الهدف النهائي (راجع بحثنا عن الفنون السبعة الحرة ص ٦٧)

ولقد تطورت مدارس الاوقاف والنقابات فيما بعد فاصبحت تعرف بمدارس المدن
واخذت تدرس الابحاث التي تهتم الطبقة التجارية الصناعية .

٤ — الطلبة المتجولون

اغرب ما نجده في اواخر القرون الوسطى ، فئة من طلبة العلم يجوبون الافاق
ويستعطفون ليعيشوا وكانوا يحملون على ظهورهم سلالا كبيرة مزينة برسوم القديسين
وينتقلون من بلدة الى اخرى وكثيراً ما كان هؤلاء من المنتمين الى الجامعات وانما
كانوا مدفوعين الى هذا العمل بدافع الزهد والتسك .

الخلاصة

قضت الديانة المسيحية في بدء انتشارها على الحركة الفكرية اليونانية والرومانية
واهتمت بالتربية الخلقية وكانت ترمي بذلك الى تطهير الارواح استعداداً للعام الثاني
وتوصلاً الى ذلك انشأت الاديرة ونظمتها بقوانين عديدة فكانت التربية رياضة خلقية
ثم لم تلبث ان اهتمت بالابحاث الكلامية المنطقية دفاعاً عن العقيدة المسيحية فنشأت
الفلسفة المدرسية المبنية على المنطق اليوناني والجدل فاصبحت التربية عبارة عن رياضة
فكرية وعلى اثر تحسن الاحوال الاقتصادية في المدن واختلاط الغربيين بالشرق
العربي في اثناء الحروب الصليبية وعن طريق الاندلس استجست الجامعات فانتعشت الحركة
الفكرية وكان للعرب الفضل الاكبر في ذلك . ثم جاء القرن الثالث عشر فكان عصر
انتقال وتهيئة للنهضة الاوربية الكبرى والتربية « الانسانية »



الفصل السادس

التربية العربية الاسلامية

« وهل ينفع القرآن الا بالعلم » حديث شريف

التربية في العصر الجاهلي - جزيرة العرب - نظام العرب
السياسي - اثر الدين في التربية الجاهلية - التربية الجاهلية
- العلوم الجاهلية - اسواق العرب وعلاقتها بالتربية - التربية
الاسلامية - الدين الاسلامي - القرآن - غاية التربية الاسلامية
- خدمات المسلمين للحضارة - العلوم الاسلامية - معاهد العلم
- طرق التعليم - اشهر المكتبات - اشهر المربين المسلمين -
الغزالي - آراؤه - ابن خلدون وآراؤه التهذيبية - الخلاصة

١ - التربية في العصر الجاهلي

التربية عملية تدرب الفرد على محيطه المادي

ينقسم بحثنا في التربية العربية الاسلامية الى طورين كبيرين الطور الاول يبحث
عن التربية قبل ظهور الدين الاسلامي او التربية في العصر الجاهلي والطور الثاني وهو
يبحث عن التربية بعد ظهور الدين الاسلامي وانتشار المدنية العربية الاسلامية في
اقطار العالم القديم

نبدأ بالتربية عند العرب قبل الاسلام ولا بد لنا من كلمة تمهيدية عن احوال شبه
جزيرة العرب الطبيعية لما لها من العلاقة بالحالة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية .
بلاد العرب شبه جزيرة متسعة الارحاء يقدر العارفون مساحتها بثلاثة ملايين كيلو

متر مربع ويقدر عدد سكانها بنحو عشرة ملايين وفيها سلسلة من الجبال الجرداء تسمى جبال السراة وهي تمتد من العقبة الى جهات اليمن ثم تنعطف شرقاً الى عمان موازية للساحل وتمتد الى جهات البحرين ، واما مياهها فشحيحة وجداولها صغيرة تنحدر من الجبال وقليل منها يصب في البحر . واقليم بلاد العرب معتدل فهو حار في السهول وقليلة المياه وقللة الاراضي الصالحة للزراعة لم يشتغل العرب بحرث الارض وانما اقتضت بلادهم المجدبة ان يتجولوا بالمواشي فتغلبت عليهم البداوة فكانوا ينتقلون من مكان الى آخر في طلب الماء والكلاء ، ولما لم يكن لهم مورد كاف للارتزاق تغلب عليهم حب الغزو والنهب فكانت الحرب نظاما لهم وهم مع كل ذلك يكرهون الخضوع يتقدون كرما وحمية وشهامة ووفاء ويحافظون على اعراضهم وانشابهم محافظة شديدة وقد حملهم ذلك على وأد بناتهم . وجزيرة العرب صافية الجو وهذا ولد في العرب صفاء الذهن وجودة الخيال واكسبهم ولعاً بالبساطة وتجنب التكلف

نظام العرب السياسي

ولد الغزو في نفوس العرب العصبية فتألفت الاحزاب . وللمحافظة عليها اعتنوا بالانساب واما قبائلهم « فكان ولا يزال يسوسها الشيوخ والامراء ويحكمونها حكماً قريياً من المطلق . والحكم عندهم وراثي للارشد لكنهم لا يراعون في ذلك الا القوة وكانوا اذا اعتدى فرد من قبيلة على آخر من قبيلة اخرى يرفع المظلوم ظلامته الى رئيس القبيلة التي منها خصمه . فاذا انصفه فيها والا قامت الحرب بين القبيلتين فسفكت الدماء اشهرأ وربما دامت سنين » (١)

أثر الدين في التربية الجاهلية

كان دين العرب قبل الاسلام على العموم وثنيّاً فقسم منهم كان يعبد الشمس والقمر والنجوم وقد نصبوا لاهتهم تماثيل واصنام منها اللات وهو اسم للزهرة واشهر اصنامهم هبل والعزة ومناة . وكان بينهم فريق يعبد الله على دين ابراهيم الخليل وبينهم كثير

من القبائل اليهودية والنصرانية . ولم يكن للدين أثر مهم في تربيتهم كما رأينا في تأثير الدين على الرومان وذلك لعدم علاقته بحياتهم اليومية العملية وإنما كان الاثر الاكبر في تربيتهم لانظمتهم الاجتماعية وحالتهم الاقتصادية .

التربية الجاهلية

كان العرب قبل الاسلام اميين لا يكتبون ولا يقرأون فلا نجد لديهم مدارس تلقن العلوم المعروفة وإنما كان يكتبها الطفل من محيطه ومن تجاربه الخاصة من مخالطته لافراد قبيلته . ولو دققنا النظر في ما وصل اليه عن طائفة العرب الفكرية لوجدنا ان التربية لديهم كانت عملية تعتمد الامور التي يحتاجونها في حياتهم اليومية . ولا بد لنا من كلمة عن علوم العرب قبل الاسلام اثباتاً لما قدمناه .

العلوم الجاهلية

قلنا ان العرب كانوا عمليين فلم يطرقوا سوى العلوم التي كانت تفيدهم في حياتهم المادية فاشهر العلوم التي تداولها العرب علم النجوم والانواء والكهانة والعرافة والقيامة والطب والشعر والخطابة وسنرى عندما نتناول كلاً من هذه العلوم بمفرده انها كانت كلها لغاية عملية لا مجرد البحث في ذلك العلم .

اي ان العلم — اذا حق لنا ان ندعوه علماً — كان لمنفعة لا لمجرد العلم . فعلم النجوم افادهم لانهم كانوا يهتدون بالنجوم في رحلاتهم وتقلهم من صقع الى آخر فعولوا عليها في الاهتداء الى السبل في تلك الصحاري الواسعة . اما علم الرياح والانواء فاعتمدوا عليه للتنبؤ عن حالة الجو قبيل القيام برحلة او غزو واما الكهانة والعرافة فالتكهن يرمي الى كشف المستقبل والعرافة تختص بالامور الماضية وكانوا يتقاضون الى الكهنة والعرافين في خصوماتهم ويطلبون منهم النصح والارشاد قبيل القيام بعمل ذي شأن وكذلك علم القيافة فانهم كانوا يستخدمونه لتتبع آثار اعدائهم وللإهتداء الى مواشيهم الضالة وقد اتقن العرب هذا الفن حتى فرق بعضهم بين اثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل والمرأة والبكر والثيب (١) . واما علم الطب ففائدته

(١) جرجي زيدان تاريخ التمدن الاسلامي ج ٣ ص ١٨

العملية محسوسة لا تحتاج الى شرح واما الشعر والخطابة فقد كان لهما الشأن الاكبر بين العلوم الجاهلية لما لهما من التأثير في النفوس وقد كان للشعراء والخطباء المنزلة الاولى فهم امراء الكلام وفرسان الحروب واهل الحل والعقد وكانت القبيلة تتباهى اذا نبغ فيها شاعر وتقيم له الاحتفالات الكبيرة تقديراً له .

اسواق العرب وعلاقتها بالتربية

ذكرنا في كلامنا عن التربية اليونانية ان اليونان كانوا يجتمعون في مواسم خاصة للالعاب الرياضية وكانت تعرف هذه الالعاب بالالعاب الاولمبية وكانت لديهم مجالس تعرف بالجناسيوم يجتمع فيها الاولاد للتمرين على الالعاب الرياضية ولكنها كانت تلبس احياناً شكلاً علمياً ادبياً وكذلك كان للعرب اسواق كبيرة يجتمعون فيها للتجارة فيغتنمون اوقات هذه المواسم ويقيمون مجالس البحث والمناشدة والمفاخرة فتتلى القصائد والخطب وتنشط الروح الفكرية والادبية واشهر هذه الاسواق سوق عكاظ وهي قرية بين نخلة والطائف وسوق ذي الحجاز قرب عرفات وسوق مجنة وغيرها من الاسواق وقد اعانت هذه الاسواق الادبية على تهذيب اللغة العربية وتوحيد لهجاتها .

واشهر ما وصلنا من آثار الجاهليين المعلقات والخطب القصيرة وكثير من الاشعار المتفرقة التي لم تدون الا بعد ظهور الدين الاسلامي .

التربية الاسلامية

التربية ترمي الى سعادة الفرد في الدارين

الدين الاسلامي

ظهر الدين الاسلامي والعرب في دور انحطاط اخلاقي واجتماعي وعلمي فوضع لهم نظاماً خلقياً واجتماعياً فهو دين عمراني، والاصلاح الذي قام به المصلح الكبير صاحب الرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصلاح عام شامل تناول جميع شؤون العرب

ونظمها . ومن يعمن النظر في محتويات القرآن الكريم يجد انها تناول الاخلاق وتحللها ثم تأمرهم بالتحلي بالحصل والمزايا الشريفة وتنذر المخالفين بعذاب اليم . وقسم منها يتناول القانون فيحدد علاقة افراد العائلة ويضع للمرأة حقوقاً وواجبات . وقسم منها يحض على طلب العلم ويضع العلماء في منزلة سامية وايك بعض هذه الآيات : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقوله تعالى : « رفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » وقوله : « قل رب زدني علماً » .

واحاديث صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام طافحة بالحض على تعلم العلم منها قوله : « اذا اتى علي يوم لا أزداد فيه علماً يقربني الى الله عز وجل فلا بورك لي بطلوع شمس ذلك اليوم » « لان تغدو فتعلم باباً من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة » « باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وما فيها » « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » « لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه » وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه « حضور مجلس عالم افضل من صلاة الف ركعة وعبادة الف مريض وشهود الف جنازة » فقيل : يا رسول الله ومن قراءة القرآن ؟ فقال : « وهل ينفع القرآن الا بالعلم ؟ »

وللرسول عليه الصلاة والسلام مئات من الاحاديث التي تحض على طلب العلم . ولسيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه اقوال ماثورة في الحض على طلب العلم وفي شرف اولى العلم اشهرها قوله « العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه التفقة والعلم يزكو بالاتفاق » ولسيدنا علي كرم الله وجهه قول ماثور ينطبق على أحدث الآراء التهذيبية وهو : « لا تقسروا اولادكم على تربيتكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم »

فبخلاف الديانة المسيحية التي قضت على الحركة الفكرية وكانت غايتها خلقية بحته نرى ان الدين الاسلامي حض على طلب العلم وبين مكاتته السامية وعلاوة على هذا نظم الاخلاق والاجتماع . واستدللاً على اهمية العلم في نظر صاحب الشريعة الاسلامية نستشهد بحادثته المشهورة لما اطلق سراح الاسرى في غزوة بدر وطلب

منهم فدية ان يعلموا الاطفال القراءة والكتابة .
دعا الدين الاسلامي الى تلقي العلوم على اختلاف انواعها بلا تعيين ولا تحديد
ولا صحة لاقوال البعض الذين يدعون بان الاسلام اراد بالعلوم العلوم الشرعية اذ لا
يخفى ان هذه العلوم قد نشأت بعد وفاة الرسول وجمع القرآن ولم يكن لها اثر في بدء
انتشار الاسلام .

القرآن الكريم

القرآن الكريم اول كتاب دون في اللغة العربية وله الفضل الاكبر في انتشار
التعليم والتهذيب بين العرب والمسلمين عموماً وما اقبل الناس على دراسة اللغة
العربية والتوسع فيها الا توصلا لقراءة القرآن الكريم وفهم ألفاظه واتقان تعاليمه ،
واللغة العربية مدينة للقرآن في محافظتها على ثوبها الفصيح بالرغم من اختلاط اعلمها
بالاعاجم ولولا عناية المسلمين بالمحافظة على نص القرآن لتسرب الى اللغة كثير من
التشويهات ولما بقيت للان بثوبها القديم الجميل

غاية التربية الاسلامية

ترمي التربية الاسلامية الى هدف مزدوج وهو سعادة المرء في الدنيا والاخرة فمع
انها اعترفت بان عالمنا هذا مرحلة تستعد فيها الروح للحياة الثانية فانها صيحت لاشرد
بالنعم في الدنيا ولم تعمل على تذليل النفس وقهرها وما اصدق القول الاسلامي المأثور
الذي ينطبق تماما على غاية التربية الاسلامية : « اعمل لدنياك كانك تعيش ابداً واعمل
لاخرتك كانك تموت غداً »

وفي القرآن الكريم نص صريح يؤيد هذه الفكرة وهو قوله تعالى : « وابتغ فيما
آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا »

الحضارة العالمية وفضل المدنية العربية الاسلامية عليها

يعرف كل من درس التاريخ الاسلامي ان المأمون اشتهر بميله الى العلم وبعطفه

على العلماء فهو الذي طلب منهم نقل الكتب اليونانية والفارسية والهندية والعبرية وسواها فلم يكتب العرب بنقل هذه العلوم بل توسعوا فيها وزادوا عليها ووضعوا علوماً جديدة سواء كان ذلك في بغداد أو في الاندلس فقد نقل العرب كتب افلاطون وارسطو وكتب ابقرات في الطب وكتب جالينوس ومؤلفات اقليدس في الهندسة وارشيدس في الطبيعيات وكتب بطليموس واهمها المجسطي وتجد اسماء هذه الكتب مع اسماء مترجميها في كتاب الفهرست. والغريب ان العرب تمكنوا من نقل هذه الكتب في مدة لا تزيد على قرن ونصف في حين ان الرومان مع سعة اطلاعهم في اللغة اليونانية لم يتمكنوا من نقل جميع هذه المؤلفات. وللعرب الفضل الاكبر في حفظ هذه المؤلفات التي ترجمت عن العربية الى اللغات الاوروبية فهم حلقة الاتصال بين اليونان وفلسفتهم وعلومهم وبين علوم اوربا الحديثة هذا عدا مؤلفات فلاسفة العرب والمسلمين كالكندي الذي الف ما يزيد على ٢٣١ كتاباً في العلوم المتنوعة وابن سينا الذي وضع اكثر من مائة كتاب ٢٦ منها في الفلسفة وابن رشد والفارابي وابن الطيفيل وابن باجة والرازي والغزالي وسواهم من كبار المؤلفين وفلاسفة العرب

العلوم الاسلامية

اتفق علماء الاسلام في تصنيفهم للعلوم على تقسيمها الى قسمين كبيرين: العلوم العقلية والعلوم العقلية. اما العلوم العقلية فهي التي تستند الى الوضع الشرعي « ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلبي بمجرد وضعه فتحتاج الى الالحاق بوجه قياسي » (١) واصل هذه العلوم العقلية كلها الشرعيات من الكتاب والسنة ومنها تتفرع بقية العلوم العقلية فلفهم القرآن وضع علم التفسير ثم باسناد الاحاديث الى صاحبها والكلام عن الرواة الناقلين نشأ علم الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من وجه قانوني يفيدنا العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو علم اصول الفقه ثم لا بد من اثبات

(١) ابن خلدون ج ٢ ص ٣٨٥

المعتقدات الدينية بالأدلة والبراهين ومن ثمة نشأ علما الكلام والجدل ثم لا بد من فهم لغة القرآن والحديث فوضعت العلوم اللسانية وهي اصناف فنها علم اللغة وعلم النحو والبيان وعلم الادب .

اما العلوم العقلية وهي كما قال ابن خلدون « العلوم الحكمية الفلسفية التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها وانحاء براهينها وواجه تعامها » وتحتوي هذه العلوم العقلية على اربعة فروع اساسية : الاول علم المنطق وهو كما نظر اليه العلماء المسلمون علم « بعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومه » . والثاني العلم الطبيعي وهو النظر في المحسوسات من الاجسام المعدنية والنباتية والحيوانية والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية او النفس التي تنبعث عنها هذه الحركات . والثالث العلم الالهي وهو يبحث عن الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات . والرابع يشتمل على اربعة علوم وهي التي تسمى بالتعاليم وهي علم الهندسة والارتماطيقي والموسيقى وعلم الهيئة فمجموع العلوم العقلية سبعة ولكل واحد منها فروع تتفرع عنه واذا قلنا بين هذه العلوم السبعة والفنون السبعة الحرة التي تكلمنا عنها في بحثنا عن التربية الرومانية لوجدنا انها هي نفسها ما عدا علم الخطابة الذي لم يكن له ذلك الشأن الكبير بين العلوم العقلية الاسلامية . قلنا ان العلوم السبعة المذكورة هي الاساس ومنها تتفرع بقية العلوم فالعلوم العددية تشمل الحساب والجبر والمقابلة والمعاملات الحسابية واما العلوم الهندسية فتشمل الهندسة السطحية والكربية والمساحة واما الطبيعيات فانها تحتوي على علوم كثيرة منها علم الطب وعلم النبات وعلم الكيمياء وهناك علوم اخرى كانت منتشرة بين المسلمين كعلم الجغرافيا والتاريخ وسواها .

معاهد العلم الاسلامية

قلنا عن التربية الاسلامية انها دينية بالدرجة الاولى ولذلك فمن الطبيعي ان تلقن مبادئ هذه التربية في المعاهد الدينية الاسلامية واعني بها المساجد فكما ان الاديرة والكنائس كانت مقراً للحركة التهذيبية المسيحية فان المساجد كانت مركزاً للحركة

الفكرية الإسلامية. فحينما يتكلم المؤرخ عن جامعة قرطبة او عن جامعة بغداد فإنه يقصد بذلك الحلقات التي وجدت في مسجد قرطبة ومساجد بغداد ويراد بالحلقة عدد من الطلبة يلتفون حول استاذ يتلقون منه علومهم ولا يزال هذا النمط من التدريس شائعاً في الازهر المصري . وبما ان قسماً كبيراً من الطلبة في تلك المساجد كانوا غرباء يبيتون في الاروقة فقد كانت المساجد مقسمة إلى اروقة وكل رواق خاص بطائفة من المسلمين ولا يزال هذا التقسيم مستعملاً في الازهر فتجد هناك رواقاً لاهل الشام وآخر لاهل الغرب واليمن وسواهم . وكانت تدرس في هذه المساجد العلوم الإسلامية التي فصلناها آنفاً واما طريقة التدريس فلا تختلف كثيراً عن طريقة الوعظ الشائعة الآن في المساجد فالعلم يشرح معتمداً على كتبه والطلبة يصنعون الى محاضراته . واما عدد الطلبة فقد كان يختلف باختلاف شهرة المدرسين وقد جاء في كتاب الفهرست ان العالم الكبير ابا بكر الرازي الطبيب كان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ اخر فكان الرجل يجيء فيصف ما به لاول من يلقاه فان كان عندهم اجابوه والا تعادى الى غيرهم فان اصابوا انصرف والا تكلم الاستاذ الرازي .

هذا وقد كان العلماء يجلسون في مجالس خاصة اما في منازلهم او في المارستانات وهناك يجتمع عليهم الطلاب وتلقى عليهم الدروس كما مر .

اما المدارس المستقلة عن المساجد فحدثت العهد واقدمها يرجع الى زمن الوزير نظام الملك الطوسي (٤٥٧ هـ) على انه يروي بعض المؤرخين وجود مدارس قبل ذلك العهد . وقد اسس نظام الملك مدارس عديدة تعرف بالمدارس النظامية اشهرها نظامية بغداد ونظامية نيسابور ووقف لهذه المدارس اسواقاً واملاكاً تقوم بنفقاتها . وقد كان لهذه المدارس أثر عظيم في الحركة الفكرية فهي التي درس فيها الغزالي والسهروردي والانباري وسواهم . وكانت تعلم فيها العلوم الشرعية واللسانية وقد تعاقب على اثر ذلك افتتاح المدارس في الاقطار الإسلامية فقد روى الرحالة ابن جبير الذي جاب بعض اقطار العالم الإسلامي في القرن

السادس للهجرة انه شاهد ٢٠ مدرسة في دمشق و ٣٠ في بغداد وتروي كتب الافرنج ان العرب انشأوا المدارس الكثيرة في الاندلس وقالت بان مدارس غرناطة الكبرى بلغت ١٧ مدرسة والصغرى ١٢٠ مدرسة وكل هذا دليل على شغف العالم العربي الاسلامي بالعلم واقباله على تلقيه . ويقول دوزي ان الاندلسيين عموماً كانوا يعرفون القراءة والكتابة سوى القليل منها بينما كانت اوروبا المسيحية امية اذا استثنينا رجال الدين والكهنة . وقد اسس الحكم المستنصر في قرطبة ٢٧ مدرسة مجانية لتعليم اولاد الفقراء ودفع رواتب الاساتذة من جيبه الخاص وأم جامعة قرطبة الوفاء الطلاب ممن درسوا الفقه والشريعة ويغلب على الظن ان الدروس كانت تعطى في المسجد الجامع ومن اسانذتها اذ ذاك ابو بكر بن معاوية القرشي وابن القوطيه امام النحو والقالي استاذ الاداب (١)

✕✕ مادة التربية الإسلامية وطريقتها ✕✕

عثرنا في مقدمة العلامة ابن خلدون على وصف الحالة التهذيبية في العالم الاسلامي في اواخر القرن الرابع عشر للميلاد تنقله لنكتسب فكرة حقيقية عن الحركة الفكرية التهذيبية في ذلك العصر :

✓ طرق تعليم الولدان واختلاف مظاهر الامصار الاسلامية فيها

كان للعلوم الدينية الشأن الاكبر في المعاهد التهذيبية الاسلامية واليك ما قاله العلامة ابن خلدون (٢) : اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم وصار القرآن اصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل بعده من الملكات . «

(١) الدولة الاموية في قرطبة للاستاذ انيس النصولي ص ٢٢

(٢) مقدمة ابن خلدون الجزء الثالث ص ٣٦٠ « طبعة باريس »

طرق التعليم في المغرب

اما اهل المغرب فذهبهم في تعليم الولدان الاقتصاد على تعليم القرآن فقط واخذهم اثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان يحذف في ذلك او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قراء البربر ائمة المغرب في ولدانهم الى ان يجاوزوا حد البلوغ في الشبيبة وكذا في الكثير اذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم .

طرق التعليم في الاندلس

واما اهل الاندلس فذهبهم تعليم القراءة والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعى في التعليم الا انه لما كان القرآن أصل ذلك وسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه اصلا في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للوالدان رواية الشعر في الغالب والترسل واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب ولا تختص عنايتهم فيه بالخط اكثر من جميعها ، الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرز في الخط والكتابة وتعلق باذبال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم لكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم ولا يحصل بايديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول .

طرق التعليم في المشرق

ذكرنا ما قاله ابن خلدون عن طرق التعليم في افريقيا والاندلس وابن خلدون مصدرنا المهم في تتبع هذه الابحاث واليك ما قاله عن طرق التعليم في المشرق : هـ واما اهل المشرق فيخلطون في التعليم ، كذلك على ما يبلغنا ، والذي ينقل لنا ان عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ، ولا يخلطونه بتعليم الخط بل لتعليم الخط



مدرسة ابتدائية في القرن السادس عشر



مدرسة ابتدائية في القرن السادس عشر

عندهم قانون ومعلمون له على انفراد كما تتعلم سائر الصنائع ، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان . واذا كتبوا لهم على الألواح فبخط قاصر عن الإجابة ومن اراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من المهمة في طلبه ويبتغيه من اهل صنعته »

مقابلة بين الطرق المذكورة

قابل ابن خلدون بين الطرق المذكورة فقال : « اما اهل افريقيا والمغرب فافادهم الاقتصاد على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة وذلك لان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة ، فكما ان البشر مصروفون عن الاتيان بمثله ، فهم مصروفون كذلك عن الاستعمال على اساليبه والاحتذاء بها فلا تحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي . وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام . اما اهل الاندلس فافادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من اول العمر حصول ملكة صاروا بها اعراف في اللسان العربي ، وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث فكانوا لذلك اهل خط وادب بارع او مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا » (١)

ولقد ذهب القاضي ابو بكر بن العربي الى ناحية غريبة في وجه التعليم وهي انه قدم تعليم العربية على سائر العلوم كما هو مذهب اهل الاندلس ثم يأتي بعده درس الحساب فيتمرن الطفل على القوانين المضبوطة ثم ينتقل الى دراسة القرآن واليك ما قاله هذا القاضي : « يا غفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الطفل بكتاب الله في اول عمره يقرأ ما لم يفهم »

مدة الدراسة في مدارس ذلك العصر

ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس في المغرب ست عشرة سنة وهي بتونس

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٢٦٣

خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي اقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية فظال امدها بالمغرب لقلّة الجودة في التعليم .

اشهر المكتبات الاسلامية

دفع العرب اهتمامهم بالعلم الى جمع الكتب فنشأت المكتبات الكبيرة في كافة الاقطار العربية واليك اهم هذه المكتبات العظيمة :

المكتبات في سوريا

يروى المؤرخ الكبير كيون (Gibbon) ان الافرنج نهبوا مكتبة مدينة طرابلس الشام في اثناء الحروب الصليبية وقدر الكتب التي ضمنها جدران هذه المكتبة بثلاثة ملايين مجلد وفي هذا الرقم شيء من المبالغة انما يدلنا على مدى انتشار العلم واهتمام المسلمين به .

المكتبات في بغداد

ذكرنا في بحثنا عن التربية في الاديرة ان الرهبان افرزوا محلا خاصا لنسخ المخطوطات يدعى (Scriptorium) وقد انشأ الرشيد في بغداد مكتبة للترجمة والنسخ والتأليف سموها بيت الحكمة وفي هذه المكتبة نقل كبار المؤلفين العرب التأليف السريانية واليونانية والفارسية الى اللغة العربية . واشتهرت في بغداد دار كبيرة للكتب اسمها وزير بهاء الدولة سابور بن اردشير عرفت بالمكتبة السابورية وكانت تضم الالوف من المجلدات الا انه ذهبت هذه المكتبة الثمينة فريسة للنار وقت مهاجمة السلاجوقيين لبغداد بقيادة رئيسهم طغرل بك .

دور الكتب في مصر

اسس الخليفة الفاطمي العزيز بالله مكتبة كبرى في القاهرة كانت تحوي على ما يقال اكثر من مليون ونصف مجلد .

المكاتب الاندلسية

مع ان الامويين في دمشق لم يهتموا الاهتمام الكافي بجمع الكتب لحدائهم في العلوم فقد ولعوا بجمعها في الاندلس فاسسوا خزائن الكتب العظيمة في قرطبة واشبيلية وغرناطة وسائر المدن ويروى عن الحكم بن الناصر الذي حكم من (٣٥٠-٥٣٦٦هـ) انه كان مولعاً بجمع الكتب فانشأ في قرطبة مكتبة في قصره ضمت مئات الالوف من المجلدات ويذكر ابن خلدون ان فهارس الدواوين كانت اربعة واربعين فهرساً وفي كل فهرس عشرون ورقة . وقد لعبت بهذه المكاتب ايدي الافرنج والبربر فحرقوا اكثرها وسلم قسم منها فتخاطفته مكبات اوروبا الكبيرة ويشاهد عدد كبير من المخطوطات الان في مكاتب اوروبا كالمكتبة الوطنية في باريز ومكتبة روما وفي المتحف البريطاني وفي مكتبة برلين حتى انه يوجد عدد منها في مكاتب امريكا . ومن اراد الاطلاع على تفاصيل طريقة عن المكتبات في الاندلس فعليه ان يرجع الى كتاب حضارة العرب تأليف العلامة الفرنسي غوستاف لوبون .

اشهر المرابين المسلمين

طرق المسلمون مواضيع التربية والتعليم في معرض ابحاثهم الخلقية والدينية والاجتماعية واشتهر منهم جماعة كثيرون نذكر منهم اخوان الصفاء وابن سينا والغزالي وابن خلدون وسنقتصر في هذا الفصل على دراسة بعضهم بإيجاز آملين ان نوفي هذا الموضوع حقه في كتاب خاص نضعه عن التربية العربية الاسلامية في مختلف عصورها .

الامام الغزالي

ترجمة الامام الغزالي

ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ - ١٠٥٦ م وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس . نشأ الغزالي يتيماً وقرأ في صباه طرفاً من الفقه في بلده ثم سافر الى جرجان

ودرس على احد أئمتها وبعد ذلك قصد نيسابور ولازم امام الحرمين وجد واجتهد حتى برع في المذهب والجدل والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة واحكم كل ذلك وفهم كلام ارباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وصنف في تلك العلوم كتباً قيمة اهمها: مقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة والمنقذ من الضلال . ثم ان الوزير نظام الملك ولاء التدريس في مدرسته في بغداد المعروفة بالنظامية فاقام على التدريس وتعليم العلم وهو ابن خمسة وثلاثين عاما فتعاطى مهنة التعليم مدة اربع سنوات ثم قصد مكة للحج وعاد منها لبيت المقدس ومنها لدمشق حيث اعتكف بجامع بني امية وكتب في اثناء اقامته في سوريا كتاب احياء علوم الدين المحتوي على اكثر آرائه الدينية والتهذيبية. ثم رجع الى بغداد وعقد بها مجلساً للوعظ ومنها عاد الى خراسان ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور مدة يسيرة ثم رجع الى مسقط رأسه طوس واتخذ الى جانب داره مدرسة للفتهاء والصوفية وتوفي بطوس سنة ٥٠٥ هـ - ١١١٠ م واهم مؤلفاته: « البسيط والوسيط » و « الوجيز » و « الخلاصة » و « احياء علوم الدين » وغير ذلك من التصانيف النفيسة .

آراءه التربوية

للإمام الغزالي آراء تهذيبية جمة تتفق مع احداث الاراء في التربية ولا يسمح لنا بحثنا الموجز بتدوينها كلها ولذلك فنحن نقصر على اهمها ليأخذ القاري فكرة اجمالية عن مبادئ الغزالي (١)

واجبات التعلم

قال الامام الغزالي: « اما المتعلم فادابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تقاريقها عشر جل :

الوظيفة الاولى

تقديم طهارة النفس على رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب

(١) راجع كتاب احياء علوم الدين (للغزالي) الجزء الاول من صفحة ٤ - ٤٨

وصلاة السجدة الباطن الى الله تعالى والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقن والحسد والكبر والعجب فان قلت : كم من طالب رديء الاخلاق حصل العلوم فيمها ما ابعده عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة وقد قال ابن مسعود : «ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في القلب »

الوظيفة الثانية

ان يقلل المتعلم علاقته من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الامل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك والفكرة المتوزعة على امور متفرقة كجدول تفرق مأؤه قد شفت الارض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يمتنى منه ما يجتمع .

الوظيفة الثالثة

على المتعلم ان لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على العلم بل يلقي اليه زمام اموره بالكلية في كل تفصيل ويدعن لنصيحته اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق . وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته . ولا يجب على المتعلم ان يستنكف عن الاستفادة الا من المرقومين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطالب مهرباً من سبع ضار لم يفرق بين ان يرشده الى الحرب مشهور او خامل . فالحكمة ضالة المؤمن يغتمها حيث يظفر بها ويتقلم المنة لمن ساقها اليه كائناً من كان .

الوظيفة الرابعة

ان يحتز الحائض في العلم في مبدأ الامر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الحميدة الواحدة المرضية عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه .

الوظيفة الخامسة

ان لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحموده ولا نوعاً من انواعه الا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم منه واستوفاه فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعداء ما جهلوا . قال الله تعالى : « واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم »

الوظيفة السادسة

ان لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة بل يراعي الترتيب ويتبدى بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالباً فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف تمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة وغايته معرفة الله تعالى .

الوظيفة السابعة

ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله فان العلوم مرتبة ترتيباً ضرورياً وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدرج .

الوظيفة الثامنة

ان يعرف السبب الذي به يدرك اشرف العلوم وان ذلك يراد به شيان : احدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة احدهما الحياة الابدية وثمره الاخر الحياة الفانية فيكون علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب اشرف لوثاقه ادلته وقوتها وان نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته ، وملاحظة الثمرة اولى ولذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين .

الوظيفة التاسعة

ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه وتعالى ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقدارة الى سائر العلوم كعلم الفتاوي وعلم النحو واللغة .

الوظيفة العاشرة

ان يعلم نسبة العلوم الى القصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره .

بيانه وظائف المرشد المعلم

- ١ — الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه
- ٢ — ان يقتدي بصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام فلا يطلب على افادة العلم اجراً ولا يقصد به جزاء ولا شكراً بل يعلم لوجه الله تعالى .
- ٣ — ان لا يدع من نصح المتعلم شيئاً وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي .
- ٤ — من دقائق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار .
- ٥ — ان المتكفل ببعض العلوم ينبغي ان لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كعلم اللغة اذ عاداته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عاداته تقبيح علم الحديث والتفسير ، وانما يجب عليه ان يوسع على المتعلم طريق التعلم في بقية العلوم مراعيًا سنة التدريج .
- ٦ — ان يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه ما لا يبلغه عقله فينفره ، اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام حيث قال :

« ونحن معاشر الانبياء امرنا ان نزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر

عقولهم . »

٧ — ان المتعلم القاصر ينبغي ان يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقاً وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه .

٨ — ان يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله ، لان العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالاخبار وارباب الابصار اكثر ، فاذا خالف العمل العلم منع الرشد ، وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك ، سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا انه اطيب الاشياء والذها لما كان يستأثر به .

طريقة الامام الغزالي في تأديب الصبيان

قلب الصبي جوهرة خالية عن كل نقش

« قال الامام الغزالي في كتاب احياء علوم الدين الجزء الثالث :

اعلم ان الطريق في رياضة الصبيان من اهم الامور واوكدھا ، والصبي امانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ، ومائل الى كل ما يمال به اليه . فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة ، وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب ، وان عود الشر واهمل اهل البهائم شقي وهلك ، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له . وقد قال الله عز وجل : « يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً . » ومهما كان الاب يصونه عن نار الدنيا فبان يصونه عن نار الاخرة اولى . وصيائته بان يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ، ويحفظه من القرناء السوء ، ولا يعوده التثنع ولا يحجب اليه الزينة واسباب الرفاهية ، فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ، فيهلك هلاك الابد . بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضائته وارضاعه الا امرأة سالحة متدينة ، تأكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه ، فاذا وقع عليه نشؤ الصبي انعجبت

طينته من الحب فيميل طبعه الى ما يناسب الحباث .

الاستعانة على تأديب الصبي بحياؤه

ومهما رأى فيه من مخايل التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته . واول ذلك ظهور اوائل الحياء . فانه اذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه ، حتى يرى بعض الاشياء قبيحاً ومخالفاً للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء . وهذه هدية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب ، وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي لا ينبغي ان يهمل ، بل يستعان على تأديبه بحياؤه وتمييزه .

آداب الطعام

واول ما يغلب شايه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه مثل ان لا يأخذ الطعام الا بيمينه ، وان يقول باسم الله عند اخذه وان يأكل مما يليه ، وان لا يبادر الى الطعام قبل غيره وان لا يحدق النظر اليه ولا الى من يأكل ، وان لا يسرع في الاكل ، وان يجيد المضغ وان لا يوالي بين اللقم ، وان لا يلطخ يده او ثوبه ، وان يعود الحبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتماً ، ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه كل من يكثر الاكل بالبهائم ، وبان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ، ويمدح الصبي المتأدب القليل الاكل ، وان يحجب اليه الاثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الحشن اي طعام كان .

لباس الاطفال

وينبغي ان يحب الى الصبيان من الثياب البيض دون الملون والابرسم ، ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والخشيش ، وان الرجال يستكفون منه ، ويكرر ذلك عليه . ومهما رأى على صبي ثوباً من ابرسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذمه ويحفظ الصبي

عن الصبيان الذين عودوا التمتع والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة ، وعن مخالطة كل من يسمعه ما يرغبه ، فان الصبي مهما اعمل في ابتداء نشؤه خرج في الاغلب ردياً الاخلاق كذابا حسوداً سروراً تماماً لحوماً ذا فضول وضحك وكيد ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب .

مواد الدراسة

ثم يشغل الطفل في المكتب فيتعلم القرآن الكريم واحاديث الاخبار وحكايات الابرار واحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ، ويحفظ من الاشعار التي فيها ذكر العشق واهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون ان ذلك من الظرف ورقة الطبع ، فان ذلك يغرس في الصبيان بذر الفساد .

الثواب والعقاب

ثم مهما ظهر من الصبي من خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويحازى عليه بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس ، فان خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك سره ولا يكشفه ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله ، ولا سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك عليه ربما يفيد جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك ان عاد ثانياً فينبغي ان يعاتب سرّاً ، ويعظم الامر فيه ، ويقال له : اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا ، وان يطلع عليك في مثل هذا ، فتفتضح بين الناس . ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ، ويسقط وقع الكلام من قلبه . وليكن الاب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه الا احياناً ، والام تخوفه بالاب وتزجره عن القبائح .

الخشونة في المفرش والملبس والمطعم

وينبغي ان يمنع عن النوم نهراً فانه يورث الكسل ، ولا يمنع منه ليلاً ، ولكن

يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب اعضاءه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التمتع ، بل يعود الحشونة في المفرش والملبس والمطعم . وينبغي ان يمنع عن كل ما يفعله في خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح ، فاذا ترك تعود فعل القبيح .

المشي والحركة والرياضة

وينبغي ان يعود الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل . ويعود ان لا يكشف اطرافه ولا يسرع في المشي ، ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره (؟)

آداب المعاشرة

ويمنع الصبي من ان يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والده او بشيء من مطاعمه وملابسه او لوحه ودواته ، بل يعود التواضع والا كرام لكل من عاشره ، والتلطف في الكلام معهم .

ويمنع من ان يأخذ من الصبيان شيئاً بدا له حشمة ان كان من اولاد المحتشمين ، بل يعلم ان الرفعة في الاعطاء لا في الاخذ ، وان الاخذ لؤم وخسة ودناءة . وان كان من اولاد الفقراء فيعلم ان الطمع والاخذ مهانة وذلة وان ذلك من دأب الكلب فانه يبصص في انتظار لقمة والطمع فيها .

وبالجملة يقبح الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ، ويحذر منها اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب ، فان آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما اضر من آفة السموم على الصبيان بل على الاكابر ايضاً .

وينبغي ان يعود ان لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتشاءب بحضرة غيره ، ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلاً على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ، ولا يعمد رأسه يساعد فان ذلك دليل الكسل . ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ويبين له ان ذلك يدل على الوقاحة وانه فعل ابناء اللثام .

آداب الكلام والحديث

ويمنع الصبي الصبي رأساً ، صادقاً كان او كاذباً ، حتى لا يعتاد ذلك في الصغر .
ويمنع ان يتدبّر بالكلام ، ويعود ان لا يتكلم الا جواباً وبقدر السؤال ، وان يحسن
الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر منه سناً . وان يقوم لمن فوقه ، ويوسع له المكان
ويجلس بين يديه ، ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة
قرناء السوء .

وينبغي اذا ضربه المعلم ان لا يكثر الصراخ والشغب ، ولا يستشفع باحد ، بل
يصبر ويذكر ان ذلك دأب الشجعان والرجال ، وان كثرة الصراخ دأب المماليك
والنسوان .

ضرورة اللعب للصبيان

وينبغي ان يؤذن للولد بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعباً جميلاً يستريح
اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فان منع الصبي من اللعب وارهاقه الى
التعلم دائماً يمت قلبه ويبطل ذكاءه وينقص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص
منه رأساً .

الحض على الطاعة

وينبغي ان يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤديه وكل من هو اكبر منه سناً من قريب
واجنبي ، وان ينظر اليهم بعين الجلالة والتعظيم وان يترك اللعب بين ايديهم .
ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ان لا يسامح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم
في بعض ايام رمضان ويحجب لبس الديباج والحريير والذهب ، ويعلم كل ما يحتاج اليه
من حدود الشرع ويخوف من السرقة واكل الحرام ومن الحيانة والكذب والفحش
وكل ما يغلب على الصبيان ، فاذا وقع نشؤه كذلك في الصبا فهما قارب البلوغ امكن

ان يعرف اسرار هذه الامور فيذكر له ان الاطعمة ادوية — وهنا تظهر نزعة الغزالي الصوفية تماماً — وان المقصود منها ان يقوي الانسان بها على طاعة الله عز وجل ، وان الدنيا كلها لا اصل لها ، اذ لا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها ، وانها دار ممر لا دار مقر ، وان الموت منتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ، ويتسع نعيمه في الجنان . فاذا كان النشؤ صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعاً مؤثراً ناجعاً يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر ، وان وقع النشؤ بخلاف ذلك حتى انب الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر ، نبأ قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس .

فاوائل الامور هي التي ينبغي ان تراعى فان الصبي بجوهره قابل للخير والشر جميعاً وانما ابواه يميلان به الى احد الجانبين . قال صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه . »

نرى مما تقدم ان الامام الغزالي ينزع في رياضة الصبيان نزعة صوفية ولا عجب فهو من اكبر المتصوفين المسلمين ، وانك لتلمس هذه النزعة في جميع المواضيع التي طرقتها .

ابن خلدون

ترجمة ابن خلدون

هو ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون التونسي ، ولد في تونس سنة ٧٣٢ هـ وحصل فيها علومه ثم غادرها الى هواره واقام عند صاحبها ابن عبدون فاعانه على السفر الى المغرب . وتنقل في بلاد كثيرة وهو لا يزال في مقتبل الشباب ثم استقدمه السلطان ابو عنان المريني صاحب تلمسان الى قاس سنة ٧٥٥ وقربه واستكتبه وقدمه فحسده اقرانه وسعوا فيه بتهمة المؤامرة فاعتقله وما زال معتقلاً حتى مات السلطان سنة ٧٥٩ هـ فاطلقه الوزير ابن عمرو خلع عليه واحتفظ به . واتفق ان السلطان ابا سالم المريني اقبل

من الاندلس يطلب مكة، فاستعان بابن خلدون لما بينه وبين شيوخ بني مرين من المحبة، ففاز ودخل فاس وابن خلدون في ركابه سنة ٧٦٠ هـ فجعله كاتب سره فاجاد وبرع. ثم بعد وفاة السلطان سافر الى الاندلس فاقام بها مدة كان فيها موضع الاجلال والاكرام. ثم رجع واستقر اخيراً في تلمسان وهناك ألف تاريخه المشهور فأكمل المقدمة وبعض الفصول ثم رجع الى تونس ونزل على سلطانها وهناك اشتغل بمؤلفه الجليل. وانتقل من تونس الى القاهرة وجلس للتدريس في الازهر ثم ولي قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ واشتهر امره وكثر المعجبون به فتكاثر حساده وكان قد بعث يستقدم اهله وولده من تونس فغرقوا كلهم في الطريق فاستقال من منصبه في القضاء وتفرغ للتأليف والتدريس وفي سنة ٧٨٩ هـ خرج من القاهرة للحج وعاد لمصر واقام بها الى ان مات سنة ٨٠٨ هـ

مؤلفاته

قضى ابن خلدون معظم حياته في تأليف كتاب واحد واسمه «العبر وديوان المبتدا والخبر في أيام العرب والبربر» والمشهور من هذا الكتاب مقدمته المعروفة بمقدمة ابن خلدون وقد ترجمت الى اكثر لغات العالم وفيها اجاد ابن خلدون كل الاجادة ولكنة مع الاسف لم يطبق تلك المبادئ التي ذكرها في مقدمته عندما شرع في تأليف تاريخه المطول. وهي تبحث ابحاثاً اجتماعية وسياسية واقتصادية وفلسفية ونجد فيها فصلاً خاصاً يتناول العلوم واصنافها والتعليم وطرقه واساليبه.

ابن خلدون مبسك شمس الاجتماع في العالم

يعتقد العلامة ابن خلدون ان التمييز بين الحق والباطل من الاخبار التاريخية يحتاج الى نظر عميق في «الاجتماع البشري الذي هو العمران» ويرى ان هذا علم مستقل بنفسه، «فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الانساني وذو

مسائل ، وهي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان او عقلياً » ثم يقول : « واعلم ان الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة ، غزير الفائدة . وليس هذا العلم من علم الخطابة ، ولا هو ايضاً من علم السياسة المدنية ، اذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل او المدنية بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه . فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفنين . وكأنه علم مستنبط النشأة ، ولعمري لم اقف على الكلام في منحاها لاحد من الحليقة . ولعلمهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل اليها ، فالعلوم كثيرة والحكماء في أئمة النوع الانساني متعددون ، وما لم يصل اليها من العلوم اكثر مما وصل »

ويقول : « ان هذا الفن الذي لاح لنا النظر فيه نجد فيه مسائل تجري بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم كذكر التعاون بين البشر في اثبات النبوة الخ ... ثم يذكر ان كتاب ارسطو في السياسة « يحتوي على جزء صالح من علم الاجتماع الا انه غير مستوفى ولا معطى حقه من البراهين ومختلط بغيره . » و « كذلك تجد في كلام ابن المقفع بعض مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما برهاننا نحن ، انما يحليها في الذكر على منحي الخطابة في اسلوب الترسل والبلاغة . »

ترى مما تقدم ان ابن خلدون كان يشعر تماماً وهو يكتب في مقدمته عن علم الاجتماع انه يضع الاسس لعلم جديد لم يتعرض له احد قبله من فلاسفة اليونان او العرب . ثم يذكر ابن خلدون آراءه في علم الاجتماع بشكل يكاد ينطبق على احداث الاراء في علم الاجتماع اليوم .

ابن خلدون بكتشف مذهب النشوء والارتقاء

يعتبر الباحث في رسائل اخوان الصفاء على اشارات واضحة لمذهب النشوء والارتقاء ولكن اول عالم عربي تعرض لهذه الفكرة بتفصيل هو ابن خلدون في المقدمة قال :

« انظر الى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريب آخر افق المعادن متصل باول افق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخرافق النبات مثل النخل والكرم متصل باول افق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لها الا قوة اللمس فقط .

ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد القريب ان يصير اول افق الذي بعده . واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدريب التكوين الى الانسان صاحب الفكر . »

انتهى كلام ابن خلدون ولا اعتقد ان هذه النظرية تختلف في شيء عن نظرية التطور والارتقاء التي اشتهر بها علماء العصور الحديثة وتشارلس دارون بصورة خاصة !

آراؤه التهذيبية

للعلامة ابن خلدون آراء ثمينة في علم النفس يحلل فيها العقل البشري تحليلاً جليلاً يكاد ينطبق على احدث الاراء العصرية ولا يسعنا في هذا المقام تفصيل هذه الاراء وانما نكتفي بذكر بعض اقواله التهذيبية النفيسة التي عثرنا عليها في مقدمته المشهورة :

وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته (١)

المرجع منه السمر الى الصواب

اعلم ان تلقين المتعلمين للعلوم انما يكون مفيداً اذا كان على التدريب شيئاً شيئاً وقليلًا قليلًا ، يلقي عليه اولا مسائل في كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها

قريبة وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هناك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى آخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا مبهماً ولا منقلباً الا اوضحه وفتح له مثقله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته .

فائدة المراجعات

هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض في اقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيراً من المتعلمين لهذا العهد الذي ادركنا يجولون طريق هذا التعليم وافادته ويحضرون للمتعلم في اول تعليمه المسائل المفضلة من العلوم ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم وصواباً فيه ويكلفونه وعي ذلك وتحصيله فيخلطون عليه بما يلتقون اليه من غايات الفنون في مبادئها وقبل ان يستعد لفهمها ، فان قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً ويكون المتعلم اول الامر عاجزاً عن الفهم بالجملة الا في الاقل على سبيل التقريب والاجمال وبالمثل الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالطة ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم في التحصيل ، ويحيط بمسائل الفن واذا القيت عليه الغايات في البداية وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعبارة اخرى الاستعداد له ، كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى في هجرانه وتلك نتيجة سوء التعليم .

انتقاء المعلم الواحد قبل الانتقال الى سواه

ولا ينبغي لمعلم ان يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي اكب على التعليم منه بحسب

طبقته وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان او متنبهاً . ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يعيه من اوله الى آخره ويحصل اغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره لان المتعلم اذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض الى ما فوقه حتى يستولي على غايات العلم . واذا خلط عليه الامر عجز عن الفهم وادركه الكلال وانطمس فكره ويئس من التحصيل وهجر العلم والتعليم

وكذلك ينبغي ان لا يطول على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحد بتقطع المجالس وتقريق ما بينها لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها عن بعض ، فيعسر حصول الملكة بتفريقها . واذا كانت اوائل العلم واواخره حاضرة عند الفكر مجانبية للنسيان كانت الملكة ايسر حصولا واحكم ارتباطاً واقرب صبغة للملكات ، لان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكرره واذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه . ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم ان لا يخلط على المتعلم علمان معاً فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الاخر ، فيستغلقان معاً ويستصعبان ويعود كل منهما بالحيلة . واذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسيله مقتصرأ عليه فربما كان ذلك اجدر بتحصيله .

الطوص الى فضاء الفكر الطبيعي

واعلم ايها المتعلم اني اتحفك بفائدة في تعلمك ان تلقيتها بالقبول وامسكتها بيد الضئالة ظفرت بكثرة عظيم وذخيرة شريفة ، وهي انك اذا وقف ذهرك في حجب الالفاظ بالمناقشات وعرض لك ارتياب في فهمك او تشعب بالشبهات ، فاطرح ذلك وابذ حجب الالفاظ وعوائق الشبهات واخلص الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه وشرح نظرك فيه .

السُّرَّةُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ مَضَرَّةٌ لِلْإِلَهِّ

ان ارهاق الحد في التأديب مضر بالتعلم سيما في اصاغر الولدان من سوء الملكة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعى الى الكسل وحمل على الكذب والحُبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والحديعة وصارت له هذه عادة وخلقا . لذلك ينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يشدوا عليهم في التأديب . وقد قال ابو محمد بن ابي زيد في كتابه الذي الفه في حكم المعلمين والمتعلمين ما يأتي : لا ينبغي لمؤدب الصبيان ان يزيد في ضربهم اذا احتاجوا اليه على ثلاثة اسواط !

المرحلة في طلب العلوم

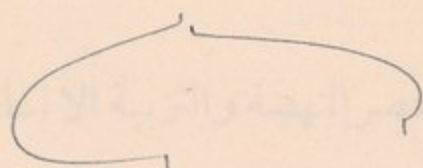
ان البشر يأخذون معارفهم واخلاقهم وما ينتحلونه من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وتارة محاسبة وتلقينا بالمباشرة الا ان حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشد استحكما واقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها . والاصطلاحات ايضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين . فلتقاء اهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم انها انحاء تعليم وطرق توصيل ، وتهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في الملكات . ولهذا فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لا اكتساب الفوائد والسكال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال « (١)

الخلاصة

كانت التربية في العصر الجاهلي عملية تدرب الفرد على محيطه المادي ولذلك كانت علومهم وادابهم نتيجة لاثـر محيطهم العملي وقد كانت الاسواق الادبية من اهم العوامل التـهـذيـبية . واما التربية الاسلامية فقد كانت عامة شاملة تناولت جميع شؤون العرب ونظمتها وقد حض الدين الاسلامي بصورة خاصة على العلم وطلبه . القرآن اول كتاب عربي وله فضل كبير على اللغة لانه حفظها كما انه كان له الفضل الاكبر على التربية لانه حمل الناس على تلقي العلوم التي تساعد على فهمه واتقان تعاليمه . وللعرب فضل كبير على المدنية لاجل اهمهم المهمة في كافة المواضيع ولتقلهم الاثار اليونانية والفارسية فـهـم حلقة الاتصال بين المدنية القديمة والحديثة . وقد انشأ العرب مدارس عديدة اقدمها النظامية كما انه كانت المساجد مركزاً مهماً للحركة الفكرية وكذلك جمعوا الكتب الكثيرة فاسسوا المكاتب الكبيرة في العراق وسوريا والاندلس ومصر واشهر المربين المسلمين الامام الغزالي والامام ابن خلدون ولهما اراء في التربية ينطبق القسم الاكبر منها على احداث الآراء المعاصرة في التربية والتـعـاـيم .



الباب الثالث



التربية في العصور الحديثة

الفصل السابع

عصر النهضة والتربية الانسانية

نظرة عامة في النهضة ، النهضة في ايطاليا ، براراك ، النهضة في شالي اوروبا ، معنى النهضة
التهذيبي ، انتعاش فكرة التربية الحرة ، التربية الانسانية الضيقة ، الشيشرونية ، فجوى التربية
الانسانية ، اشهر المربين في عصر النهضة ، فيتورينودافلتر ، المربون الامسان الانسانيون ،
اراسوس ، المربون الانسانيون الانكليز ، المدارس في عصر النهضة ، الخلاصة

نظرة عامة في النهضة

لنهضة اوروبا الكبرى خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، ميزة هامة
وهي انها كانت عامة شاملة فما اقتصرت على الحياة الفكرية فحسب وانما طرقت كافة
المواضيع فبشت روحا جديدة في ميادين الفكر والفن والاجتماع ، وحدثت انقلابات
مهمة بينة في كل ناحية من نواحي التربية والتعليم النظرية والعملية . فالاساليب الفكرية
والتهذيبية التي وصلت اليها القرون الوسطى عن طريق المنطق ، كانت جامدة لاتسمح
لروح الفرد بالظهور ، كما ان البنيان الكبير الذي شادته الاديرة والفلسفة المدرسية ظهر
للاملا كسجن قضي فيه على الحرية الشخصية ، فما انقضت مدة طويلة حتى سنحت الفرصة

لروح التجدد بالظهور فهدمت ذلك البنيان وقوضت دعائمه واقامت على انقاضه اسس المدنية العصرية الحاضرة . ومن اهم مميزات النهضة اهتمامها بتنمية روح الفردية التي كانت قد قضت عليها الاساليب التهديبية في القرون الوسطى .

مع ان اعمال النهضة كانت متنوعة ومختلفة فبوسعنا ان نلخصها في نزعات ثلاث طوي ذكرها في القرون الوسطى المظلمة الى ان جاء عصر النهضة فاتجهت الانظار الى عوالم جديدة كان قد اسدل عليها ستار الاهمال والفسيان . النزعة الاولى كانت ترمي الى البحث في ما تركه اليونان والرومان عن فلسفة الحياة ، وقد كانت تلك الابحاث مهملة في القرون الوسطى . اما النزعة الثانية فقد طرقت ميدان العاطفة فبحثت عن ملذات الحياة وانتجت الفنون والآداب . واما النزعة الثالثة فانها حولت انظار البشر الى ملكة الطبيعة تلك الملكة التي طالما نظر الملأ الى من درسها بازدياء واحتقار . ان القرون الوسطى المظلمة .

فاهتمام رجال النهضة بأثار العالم القديم ادى الى التعمق في دراسة اللغتين اليونانية واللاتينية والتوسع في آدابها وولاد فيسم الشغف بجمع المخطوطات القديمة ونسخها ونشرها . وهناك غلطة شائعة لا يجب ان تقع بها وهي ان جمع هذه المخطوطات ودرسها هو سبب النهضة . هذا القول فاسد لان اسباب النهضة الحقيقية ترجع الى طريقة تطور الفكر البشري في القرون الوسطى ، ولم تكن هذه المؤلفات سوى واسطة توصل بها رجال النهضة الى ذلك التقدم والرقى الفكري الذي تراه في عصر اليقظة والانتعاش . وقد ادى اهتمامهم بالاداب والفنون الى اشتعال نار الذوق الفخمي التي خبت في العصور الوسطى فظهرت روح جديدة في الشعر والتشيل والنحت والتصوير والموسيقى واما درسهم للطبيعة فقد ادى الى نتائج مهمة في ميدان العلوم الطبيعية يتجلى لنا ذلك في اثار (ييكن) و (ديكارت) وسواها .

وغني عن البيان ان الانتقال من القديم الى الجديد كان تدريجياً كما انه لم يمح اثر الافكار والمبادئ القديمة بانتصار المبادئ الجديدة وانتشار روح النهضة ، بل بقي قسم منها موجوداً وقسم منها لا يزال شائعاً حتى الان .

النهضة في ايطاليا

كانت ايطاليا المركز المهم لحركات الدينية والفكرية والسياسية قبل النهضة ولذلك فالنهضة فيها بدأت قبل سواها من بقية الاقطار وكان هذا الازدهار في النصف الاخير من القرن الرابع عشر وخلال القرن الخامس عشر ، والفضل في ذلك يرجع الى تأثير الجامعات وللانعاش الفكري الذي ظهر في القرن الثالث عشر ويمثل لنا الشاعر دانتي Dante (١٢٦٤ - ١٣٢١) عصر الانتقال من القديم الى الجديد فافكاره كانت رجعية وعصرية في الوقت نفسه وله فضل كبير في تهيئة الافكار لقبول المبادئ الجديدة التي قامت عليها النهضة الكبرى . وقد كان عند ارومان قبل النهضة بعض الامام بالاداب اللاتينية فكانوا يقرأون آثار (فرجيل) الشاعر اللاتيني الذي عاش في القرن الاول قبل المسيح ، ولكنهم لم يقدروها حق قدرها وانما كانوا ولعين بمجدييات ارسطو والفلاسفة المدرسين كما تقدم في بحثنا عن التربية في القرون الوسطى .

بترارك (Petrarch) ١٣٠٤ - ١٣٧٥ م

ثار بترارك على المبادئ التهذيبية الجامدة التي اتبعتها الفلسفة المدرسية وعلى مجدييات ارسطو واوجد في نفوس معاصريه رغبة جديدة في مطالعة الاداب العالية القديمة فحجب اليهم بشخصيته الكبيرة البارزة دراسة الاداب العالية مكان المجدييات الدينية الضيقة التي تناولتها الاديرة والفلسفة المدرسية والجامعات .

اعمال بترارك

لم يقتصر بترارك واتباعه على التثديد بالمبادئ الشائعة والحض على دراسة الاداب العالية وانما حلل النفسية البشرية وطالب بحقوقها في ان تأخذ حظها من الحياة والسعادة الدنيوية ، فكانه عاكس فكرة التنسك والزهد وعمل على نشر التعاليم الوثنية

القديمة اليونانية وتلك اعم مميزات النهضة في ايطاليا . ولم يضع بترارك مؤلفات في التربية فاعلم آثاره كانت في الاداب والشعر واشهر كتبه كتاب اسمه « تراجم الاقدمين » احيى فيه ذكر كبار اليونان والرومان واما « رسالاته » ففعممة بروح النهضة ، وليس لمحتويات كتبه قيمة كبيرة في تاريخ التربية وانما شغل بترارك هذه المكانة السامية في تاريخ التربية لنظراته الجديدة في الحياة التي تركت تأثيراً عظيماً في الاساليب والطرق التهذيبية .

لبترارك الفضل الاكبر في احياء الاداب اللاتينية العالية واما الفضل في احياء الاداب اليونانية القديمة فيرجع الى احد اتباعه المندعو مانويل كريزولوراس Chrysoloras الذي القى محاضرات قيمة عن آداب اللغة اليونانية القديمة في جامعة فلورنسا فعرف الناس بمدتها الثمينة فعمت دراسة الادب اليوناني . والخلاصة انه بفضل بترارك واتباعه انتشرت الاداب اليونانية واللاتينية انتشاراً عظيماً ، ومن ايطاليا اخذت روح النهضة تتسرب شمالاً مجتازة جبال الالب الى اوروبا الشمالية .

النهضة في شمالي اوروبا

تطورت النهضة تطوراً محسوساً في اواخر القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر وذلك كما قلنا لا انتقال مركزها من ايطاليا الى شمالي اوروبا فنرى ان الروح الجديدة التي عمت ايطاليا في بدء النهضة لم تدم مدة طويلة هناك بل اخذت تنحط فرجعت الحالة الفكرية في ايطاليا الى ما كانت عليه قبل القفزة . واما في بقية الاقطار فبالرغم من ان الافرنسيين كانوا اول من اقبل على اقتباس تلك الافكار الجديدة فالفضل في الترقى والتقدم الفكري يرجع الى الشعوب التبوتونية الجرمانية . ويرى الباحث في سير النهضة في البلاد التبوتونية انها كانت ترمي خاصة الى اصلاح اجتماعي ديني ولذلك فالنهضة في شمالي اوروبا امتزجت بالاصلاح الديني . فاراسموس Erasmus وهو اشهر رجال النهضة في الشمال كان يسعى في اعماله وراء غاية واحدة وهي ان يقضي على ذلك الجهل العام الذي سهل للكنيسة والحكومة ارتكاب الفضائح والاعمال الشائنة التي ثار عليها لوثر في اصلاحه الديني .

معنى النهضة التهذيبي

احياء فكرة التربية الحرة

لم يكن اهتمام رجال النهضة بدراس الاداب القديمة المظهر الرئيسي لروح النهضة فحسب وانما كان هذا الاهتمام العامل الاكبر في تطور الحياة الجديدة. وغني عن البيان ان الحركة الفكرية لم تنجد في ما تركته لها القرون الوسطى اساساً تبني عليه مبادئها الجديدة وهي النزوع الى فكرة الشخصية الحرة ، فرجعت الى القديم واستمدت من فكرة التربية الحرة التي وضعها ارسطو وافلاطون وكانتيليان ، روحاً تلائم الروح الجديدة التي عملت على نشرها فاصبحت غاية التربية في نظر رجال النهضة اعداد الرجل الكامل الذي يصلح للقيام باعمال محيطه الاجتماعية وكان مثلهم الاعلى في التربية ان يعدوا رجالاً كديمويستينس وارسطو وقيصر وخصوصاً شيشرون .

وقد كتب بولس فرجير بوس Paulus Vergerius الاستاذ في جامعة بادوا ككتاباً سنة ١٣٧٤ بحث فيه عن التربية الحرة وعن الهدف الذي تسعى اليه فقال : « ان العلوم الحرة التي تليق بالرجل الحر هي العلوم التي تدربه على الفضيلة والحكمة . والتربية الحرة هي التي تعمل على تنمية مواهب المرء السامية الجسمية والعقلية معاً » ولذلك يرى المدقق في التربية في اثناء النهضة عناصر جديدة لم يكن لها اثر ابان العصور الوسطى ، اهمها الاعتناء بالتربية الجسمية والاهتمام بتنمية الاقتدار العملي في المرء للقيام بشؤونه اليومية هذا عدا تقديرهم لروح الفن والادب التي كانت مفقودة تماماً في القرون الوسطى المظلمة .

التربية الانسانية الضيقة

اعطى رجال النهضة لمحتويات التربية الجديدة التي ضمت آداب اللغتين اليونانية واللاتينية العالية القديمة اصطلاحاً جديداً فاصبحت تعرف . « بالانسانيات » وقد قال

باتيستا كارينو (Battista Guarino) في مؤلف كتبه سنة ١٤٥٩ ما يأتي : « ان تلقي العلوم والتدريب على الفضيلة ملكة خاصة بالانسان ولذلك تدعى بالانسانيات لانها نتيجة جهود البشر واعمالهم » وبما ان الوصول الى هذه الغاية السامية يقتضي التوسع في درس آداب اللغات القديمة فقد كانت دروس اللغة والاداب اليونانية واللاتينية في بادىء الامر واسطة لا غاية . على انه لم تلبث الواسطة ان اصبحت غاية فاحذر رجال النهضة يعتنقون باللفظ والمظاهر اكثر من اهتمامهم بالفكر الجوهرية فتغير معنى « الانسانيات » واصبحت مرادفة للتربية اللغوية اللفظية . فالتربية الانسانية التي كانت ترمي الى غاية سامية شاملة اصبحت ذات هدف محدود ومعين . ولا يخفى ان هذا الانتقال كان تدريجياً وقد نشأت التربية الانسانية كما رأينا من فكرة التربية الحرة واتما هي اضيق واحصر من التربية الحرة . وفي بحثنا هذا نعي بالتربية الانسانية التعمق في مطالعة اللغتين اليونانية والرومانية والتبحر في آدابها فهي اذن تربية ضيقة كلامية انظمية ظاهرية . ولها اهمية في تاريخ التربية لان روحها قد سيطرت على مدارس اوروبا وجامعاتها من اوائل القرن السادس عشر الى اواسط القرن الثامن عشر .

قدنا ان التربية الانسانية تطورت على فكرة التربية الحرة ولكنها تختلف عن التربية الحرة في نقاط عديدة اهمها ان التربية الحرة كما ذكرنا آنفاً اعتنت بالتربية الجسمية وبروح الادب والذوق الفني والاجتماع ، واما التربية الانسانية فانها اهتمت بالابحاث الاجتماعية والعلمية والادبية ولم تعن بغير الادب والاسلوب والمباحث اللغوية اللفظية واما الذوق الفني فانها اهتمت في كفاية الميادين ولم تحتفظ به الا في ميدان الادب والخطابة فالتربية الانسانية اشبه شيء بالفلسفة المدرسية ، والفرق ان المعلم الاول ارسطو كان المسيطر بمنطقه في الفلسفة المدرسية ، والان اصبحت شيشرون السند الاكبر ببلاغته وفصاحته وحسن اسلوبه وتراكيبه .

الشيشرونية

لشيشرون (١٠٦ — ٤٣ م .) اهمية كبيرة في تاريخ التربية خلال القرنين

السادس عشر والسابع عشر لأن مؤلفانه كانت المرجع الأكبر في المدارس وذلك لجودة أسلوبها في اللاتينية ولبلاعتها وفصاحتها فكان الطفل يدرسها مدة سبع سنوات فيكاد يحفظها غيباً ولا يسمح له أثناء تلك المدة بقراءة كتب لغير شيشرون من كبار الكتاب، ولذلك كانت مادة التدريس محدودة. والغريب أنهم كانوا يعلمون الطفل اللاتينية القديمة التي كتب فيها شيشرون في القرن الأول قبل الميلاد وهم لا يتكلمونها وإنما كانت اللغة الإيطالية قد أخذت بالانتشار في ذلك العصر. فالتربية الانسانية في اضميق ادوارها تعرف بالتربية الشيشرونية وهي احسن مثال للتربية اللغوية الكلامية الجامدة

فحوى التربية الانسانية الضيقة

يرى المدقق في مادة التربية الانسانية انها كانت محدودة وهي عبارة عن تعمق في النحو اللاتيني وتدريب على حفظ اقوال شيشرون ومؤلفاته وتمارين على الخطابة والالقاء وربما درس الطفل قليلا من الادب اليوناني ومبادئ بسيطة في الرياضيات. واما طريقة المربين الانسانيين في التدريس فقد كانت سقيمة جداً اذ انهم كانوا ينظرون الى قوى الطفل العقلية كصورة مصغرة لقوى الرجل العظماء، وهذا خطأ فادح، ولذلك نرى ان الطفل في تلك العصور كان يدرس اللغة اللاتينية الغربية منه والتي لا يفهمها ولا يتكلمها. فتدريسهم عبارة عن تدريب قوتي الحافظة والذاكرة في بادئ الامر ثم بعد ان يتقدم الطفل يصبح التعليم ترويضاً ذهنياً قاسياً لا يختلف كثيراً عن طريقة الفلاسفة المدرسين. وكانوا يستعملون العقوبات الجسيمة القاسية كواسطة لتحمل الاطفال على الاجتهاد في دروسهم وكوسيلة لتحسين اخلاقهم.

اشهر المربين في عصر النهضة

لم يكن جميع المربين الذين قاموا في عصر النهضة من المدرسين مع ان قسماً كبيراً منهم تعاطى صناعة التدريس والتحق باحدى الجامعات او بمدارس البلاط ولكنهم مع كل ذلك فقد كان موردتهم من التعليم يكاد لا يقوم بنفقاتهم الضرورية ولهذا نرى انهم

كانوا يدرسون في بيوتهم دروساً خصوصية فانتشار نفوذهم وآرائهم لم يقتصر على الجامعات والمعاهد التهذيبية العامة وإنما كانوا يثون روح النهضة الجديدة في اجتماعاتهم الخاصة مع طلاب العلم في منازلهم .

اشهر رجال النهضة في ايطاليا — فيمتورينو دافلترا

ذكرنا آنفاً كلمة عن بترارك واعماله فبقي علينا ان نقدم كلمة مختصرة عن فيمتورينو دافلترا [Vittorino da Feltra] (١٣٧٨ — ١٤٤٦) الذي يعد من اشهر المربين الايطاليين في عصر التجدد . تعاطى دافلترا التدريس في جامعة بادوا في بادئ الامر ثم دعاه امير مانتوا (Mantua) الواقعة في شمالي ايطاليا وكلفه ان يتولى ادارة المدرسة التي اسسها في بلاطه عام ١٤٢٨ . وتعد هذه المدرسة اول معهد علمي طبقت فيه مبادئ النهضة الحقيقية ويرجع الفضل في ذلك لدافلترا الذي بث في هذه المدرسة روح التربية الحرة اليونانية . ومن اعماله في ذلك المعهد عنايته بدرس تاريخ المدينة الرومانية وآدابها عوضاً عن التعمق في درس نحو اللغة اللاتينية وصرفها وقد عني دافلترا بالالعاب الرياضية وقدر اهمية الرغبة في التربية والتعليم حتى انه سمي مدرسته « البيت البهيج » واعترافاً بتميزته في التربية دعتة الاجيال التي اتت بعده « المدرس العصري الاول » وقد كان له عناية خاصة بجعل العلوم عملية تنفع الطالب في مستقبله العملي .

المربون الانسانيون الالمان

لايسمح لنا المقام بذكر جميع رجال النهضة الالمان وإنما نكتفي بذكر اشهرهم وهو المربي الكبير اراسموس (١٤٦٧ — ١٥٣٦) Erasmus ومن دراستنا لاقواله التهذيبية نأخذ فكرة عامة عن بقية المربين الذين عاصروه .

اراسموس

ولد هذا المربي في روتردام ودرس في مدارس الكنيسة استعداداً للانخراط في

سلك الرهبنة ثم التحق باحد الاديرة مدة قصيرة ولكنه لم يلبث ان ترك ذلك السلك وتنقل بين باريس واكسفورد وكمبرج وعلم الآداب القديمة في جامعاتها . وقد كان له ولع عظيم بجمع الكتب والمخطوطات وكان كأكثر رجال العلم والادب — فقيراً بائس الحال ومع ذلك فلم يكن فقره ليمنعه عن الاهتمام بجمع المؤلفات ، فيروى عنه انه قال يوماً : « اذا حصلت على مال فاول شيء افعله هو ان اشترى كتباً يونانية وبعد ذلك اشترى الملابس الضرورية » . وقد توصل اراسموس الى شهرته التهذيبية بتدريسه في اشهر جامعات اوربا وبمراسلاته الكثيرة مع رجال العلم والادب وبطبعه الكتب اليونانية واللاتينية القديمة وبتأليفه العديدة في قواعد اللغتين اللاتينية واليونانية وباشعاره الانتقادية الكثيرة واخيراً بتأليفه العديدة في التربية والتعليم واهمها « طريقة الدرس » و « التربية الحرة للاطفال » . ومن اقوال اراسموس ان خير واسطة لاصلاح معاهد التربية والتعليم هي الاكتفاء بما كتبه الاقدمون وبما ورد في الاسفار الدينية ولكن يجب ان يقف الطالب على هذه المواضيع كما دونت لأول مرة ولذلك ينبغي الاعتناء باللغتين اليونانية واللاتينية . وقد كان لاراسموس اثر كبير في النهضة الدينية التي قام بها لوتر وذلك بفضل تعاليمه التي اعدت العقول لقبول الاصلاح الديني .

اشهر اراء اراسموس التهذيبية

- ١ — ان الام هي المربية الطبيعية للطفل في سنواته الاولى . فالوالدة التي لا تعني بتربية اطفالها هي نصف ام فقط .
- ٢ — لا ينبغي ان يطلب من الطفل الى ان يبلغ السابعة من عمره سوى اللعب حتى ينال الجسم حقه من النمو ولذلك يجب الا يطلب منه عمل جدي قبل تلك السن وانما على المربي ان يثبت فيه الاخلاق والاداب الصحيحة .
- ٣ — بعد السنة السابعة يتبدى العمل الجدي ويجب ان يدرس الطفل اللاتينية واليونانية معاً حتى يتمكن منذ الصغر من اتقان تالفظ اللغتين .

- ٤ — ان اول درس يجب على الطفل ان يتقنه هو علم النحو لان اللغة هي الوسيلة الوحيدة لاكتساب المعارف .
- ٥ — يجب ان يتقاضى المدرسون رواتب كافية ويجب ان تبني المدارس في اماكن مناسبة .
- ٦ — لا يجب اهمال التربية الدينية .
- ٧ — يجب الاعتناء بقوتي الحافظة والذاكرة هذا لا يكون الا بمرح الابحاث قبل حفظها وبالتفكير المنطقي وبالمقابلة والتمييز بين المواضيع المتنوعة .
- ٨ — كما ان النحلة تجمع العسل من ازهار عديدة فكذلك تجمع المعارف من منابع وموارد جمة .
- ٩ — التربية العائلية هي الاساس في التعليم ولذلك يجب ان يعرف الوالدون واجباتهم تجاه اطفالهم ويجب ان يعود الطفل الطاعة .
- ١٠ — ان اهم واجب في تثقيف البنات هو بث الشعور الديني في نفوسهن ويجب الاحتراز من تركهن بلا عمل لان هذا يدع مجالاً واسعاً لتسرب روح الفساد الى قلوبهن .

المربون الانسانيون الانكليز

ان اشهر المربين الانكليز في عصر النهضة هو روجر اسكام (1515-1578) (Roger Ascham) ولشهرته العظيمة سببان : الاول انه اول من كتب في التربية من الانكليز باللغة القومية والثاني اسلوبه الشائق الذي جعل له مكانة كبيرة في تاريخ اداب اللغة الانكليزية وفي تاريخ التربية والتعليم . تولى اسكام تدريس اللغة اليونانية في جامعة كمبريدج ثم عين مربيةً للملكة اليزابيث وبعده عين في البلاط ترجماناً للغة اللاتينية وهكذا نرى ان اسكام قد جمع بين السياسة والعلم . واشهر ما كتبه في التربية والتعليم كتابه « المدرس » (The Schoolmaster) الذي دون فيه آراءه التهذيبية واهمها اعتراضه على العقوبات البدنية ، ونظريته في « الترجمة المزدوجة » والمقصود من

هذه النظرية ان يترجم الطالب البحث من اللاتينية الى الانكليزية ثم يطلب منه ان يترجم ما كتبه بالانكليزية مرة ثانية الى اللاتينية . ومن اقوال اسكام المشهورة قوله المأثور « على المعلم ان يمدح الطالب اذا اجاز لانه لا يوجد شيء كالمدح والثناء يزيد الطالب رغبة واقبالاً على طلب العلم . » وآراء اسكام في التربية مثبته بآراء اراسموس وقد بالغ بالحض على تعلم الاداب القديمة ولذلك فهو لا يختلف كثيراً عن سواء من المربين الانسانيين .

انواع المدارس الانسانية

انتشرت روح النهضة في المدارس والجامعات وكانت ترمي كما ذكرنا آنفاً الى نشر التربية الحرة في بادىء الامر ولكنها انقلبت اخيراً الى تربية ضيقة محدودة فسيطرت في الجامعات وبقية المعاهد روح التربية الانسانية الظاهرية وقد بقيت هذه الروح مهيمنة على المعاهد التهذيبية الى اوائل القرن التاسع عشر وجميع ما سندرسه في الفصول المقبلة عن تطور الحركة الفكرية في القرون الاخيرة ان هو الا احتجاج كبار المفكرين على روح التربية الانسانية الضيقة .

ينقسم بحثنا عن اثر النهضة في المعاهد التهذيبية الى اربعة اقسام : اولاً اثر النهضة في الجامعات وثانياً مدارس البلاط ومدارس الاشراف وثالثاً الجنازيم ورابعاً المدارس اليسوعية . وسنقدم كلمة موجزة عن الاقسام الثلاثة الاولى ونرجى* البحث في المدارس اليسوعية الى الفصل المتبل عندما نأتي الى الاصلاح الديني واثاره في التربية والتعليم .

الجامعات

سيطرت روح النهضة على جامعات ايطاليا، وميزتها هناك انها كانت ترمي الى تقليد الاقدمين في اول الامر ولكنها تطورت الى الشبثرونية الفظية كما رأينا في بحثنا عن النهضة في ايطاليا وهكذا اعملت دراسة الحقوق والجدل وفلسفة الدين التي كانت

شائعة في اثناء القرون الوسطى وحلت مكانها دراسة الادب القديم . واشهر الاساتذة في جامعات ايطاليا بترارك وبوكاسيو (Boccaccio) .

اما في فرنسا فقد انتشرت دراسة اللغة اليونانية وادابها في اواسط القرن الخامس عشر ولا يخفى ان نهضة فرنسا شديدة بنهضة ايطاليا نظراً للرابطة اللاتينية التي تجمع الامتين ولنفوذ ملوك فرنسا في تلك البلاد . وقد لقيت روح النهضة معاضدة قوية في فرنسا فأسست كلية فرنسا Collège de France سنة ١٥٣٠ وأسست مطبعة كبيرة في باريس سنة ١٥٢٦ .

اما في المانيا فقد عمت جامعاتها روح النهضة في اواخر القرن الخامس عشر فانشئ فرع خاص في جامعة ارفورت وهيدلبرج وليزيك لدراسة الاداب والבלغة والشعر الا ان تأثير النهضة فيها كان دينياً كما سنرى عندما نأتي الى الكلام عن الإصلاح الديني . تسربت روح النهضة الى جامعات انكلترا من ايطاليا على ان الفضل الاكبر لنشر الافكار الجديدة يرجع الى اراسموس الذي تعاطى التعليم في جامعتي او كسفورد وكامبردج في اوائل القرن السادس عشر .

مدارس البلاط ومدارس الاشراف

لم تنتشر الافكار الجديدة بسهولة في الجامعات وانما صادفت مقاومة شديدة من رجال الجامعات ومن رجال الكنيسة والاديرة فادى ذلك الى افتتاح مدارس جديدة تحت رعاية الملوك والامراء والاشراف وقد كان هؤلاء يتزاحمون في جلب كبار العلماء واستخدامهم في مدارسهم، وساعدتهم على ذلك تجول العلماء وكثرة تنقلهم فأسست مدارس البلاط في فلورنسا وفيرونا وبادوا والبندقية وباويا ومانتوا وكانت خاصة بالامراء والاشراف فعملت على تربية القادة والنبلاء ولم ترم الى اصلاح الجماهير الجاهلة . وقد غنيت هذه المدارس بالتربية البدنية والادبية فكانها مزجت بين التربية اليونانية الحرة والتربية الانسانية .

وقد اهتم امراء الالمان بتربية اطفالهم فأسسوا مدارس خاصة تدعى مدارس

الامراء (Turstenschulen) وكانت هذه المدارس ليلية ولذلك كان الطلاب تحت المراقبة الشديدة وغايتها اعداد الفتيان للحكومة او للكنيسة واما منهجها التدريسي فيشبه منهج الجمنازيوم ويعادل الدراسة في الجامعات .

الجمنازيوم Gymnasium

يراد بالجمنازيوم المدارس الثانوية التي انتجتها التربية الانسانية في البلاد التوتونية (الجرمانية) واشهر هذه المدارس الجمنازيوم الذي انشاء جون ستورم (Sturm) سنة ١٥٣٧ في مدينة ستراسبورغ وتولى ادارته ما يقرب من اربعين عاماً وقد جعل مدة الدراسة في الجمنازيوم عشر سنوات واليك المنهاج الذي وضعه ستورم تقدمه بياناً لمادة التدريس في تلك المعاهد :

الصف العاشر : الالفبا ، القراءة ، والكتابة ، الاشتقاق والتصريف اللاتيني ، محادثات في الدين .

» التاسع : التصريف والاشتقاق ، مفردات لاتينية ، اصطلاحات لاتينية شاذة .

» الثامن : متابعة الدروس السابقة ، تركيب جمل لاتينية ، بعض رسائل شيشرون ، تمارين على الانشاء .

» السابع : الغراما طبق اللاتيني ، رسائل شيشرون ، ترجمة الى اللاتينية .

» السادس : ترجمة شيشرون ، تمارين في النحو والاعراب اللاتيني ، مبادئ اللغة اليونانية .

» الخامس : النظم والعروض في اللاتينية ، الميثولوجيا ، تمارين على الانشاء الترجمة المزدوجة .

» الرابع : قراءة مؤلفات الادباء الاقدمين ، اللغة اليونانية ، الكتاب المقدس عن اليونانية .

» الثالث : الخطابة ، خطب شيشرون وديموستنس ، تمثيل الروايات .

الصف الثاني : الخطباء اليونان والشعراء ، الجدل والخطابة .

» الاول : الخطابة والجدل ، فرجيل ، هوراس ، هوميروس وسواهم .
ف نجد اذا دققنا في منهج الجمنازيوم ان الهدف الذي كان يسعى اليه هو تنمية ملكة
التكلم والكتابة بلغة شيشرون الفصيحة فلم يعتنوا الاعناء الكافي باللغة القومية ولا
بالاجتماعيات والرياضيات . والجمنازيوم الحالي هو وليد القديم وانما يختلف عنه بادخال
الرياضيات واللغات الحديثة والتاريخ والعلوم الطبيعية بصورة تدريجية كما سنرى في
ابحاثنا عن النزعات الحديثة .

الخلاصة

كانت النهضة ترمي في الدرجة الاولى الى احياء فكرة الفردية واشهر مميزاتا محاولة
رجالها التخلص من السيطرة الموجودة سواء اكان ذلك في الكنيسة او الحكومة
او المؤسسات الاجتماعية والصناعية والفكرية وقد كانت تعمل على تحسين حال الفرد
في جنوبي اوربا واما في الشمال فقد سعت لانهاء العقول بالتعليم حتى تثور على فضائح
الحكومة والكنيسة . وقد نشأ من روح النهضة فكرتان مختلفتان في التربية والتعليم :
الاولى فكرة التربية الحرة والثانية وقد تفرعت من الاولى وهي التربية الانسانية
المحدودة وهي التي سيطرت على اكثر المعاهد التهذيبية . واشهر المربين في عصر
النهضة اراسموس واشهر انواع المدارس في ذلك العصر الجمنازيوم ومدارس الامراء
والاشراف والمدارس الانكليزية العامة واما مادة التربية في عصر النهضة فقد اقتصر
على آداب اللغتين اللاتينية واليونانية وگرامطيقها والمهم ان التربية الانسانية ، وليدة
التربية الحرة ، قد بقيت مسيطرة على الحركة الفكرية الى اوائل القرن التاسع عشر
وما سنجده في الفصول المقبلة من الاراء الجديدة هو احتياج المربين على التربية
الانسانية الضيقة .



الفصل الثامن

الاصلاح الديني وآثاره في التربية والتعليم

نظرة عامة في الاصلاح الديني ، اثر الاصلاح في روح التربية ، اشهر المربين في دور الاصلاح
انواع المدارس الدينية ، الجامعات والمدارس الثانوية ، الجمعيات التعليمية الدينية ، اليسوعيون ،
المدارس الابتدائية في الاقطار البروتستنتية ، في الاقطار الكاثوليكية ، الخلاصة .

نظرة عامة في الاصلاح الديني

ذكرنا في الفصل السابق ان النهضة في شمالي اوروبا امتزجت بالاصلاح الديني وانها
مهتد السبيل بافكارها الجديدة لتطور جديد في المعتقدات الدينية ، وقد ندم في بحثنا
عن النهضة انها كانت ادبية فنية في جنوبي اوربا فعنيت بالثقافة الشخصية واما في
الشمال فقد كانت دينية اجتماعية عامة . ويعزو المؤرخون هذا التباين في روح النهضة
الى سببين : الاول ان المدنية اللاتينية قامت مباشرة على انقاض المدينيتين الرومانية
واليونانية وبقيت تحت تأثيرهما في حين ان المدنية التيوتونية وليدة التوسع المسيحي
فكان من الطبيعي ان تهتم الائم التيوتونية باصلاح ذلك الدين . والثاني ان العقل
اللاتيني كان دنيوياً في ميوله ورغباته واما العقل الجرمانى فبطبيعته ميال الى الدينيات
والاخلاقيات . وهكذا نرى ان رجال القرن الخامس عشر تناولوا الابحاث الادبية

والفنية فاحيوا الاداب القديمة وقدروها حق قدرها واما رجال القرن السادس عشر فقد طرقوا ميادين الاخلاق والدين فاخذوا ينتقدونها ويفندونها ثم اصلحوها فكان اصلاح الديني نتيجة لاعمالهم وجهودهم .

ان الانتقادات التي وجهت الى الكنيسة كانت على نوعين : الاول انتقاد العقيدة الدينية والثاني انتقاد لاخلاق رجال الكنيسة واعمالهم وقد سلمت الكنيسة قبل انفجار بركان الثورة بزم طويل بوجوب القيام باصلاح داخلي تردع به رجالها عن الفضائح التي كانوا يرتكبونها فحاولت ذلك عدة مرات واخيراً عقدت مجمعا عام ١٤٤٥ في مدينة ترنت (Trent) دام ١٨ سنة ولكنه لم يأت بنتائج مهمة لان الانتقاد الاول في العقيدة كان قد انتشر وعم وكثر مناصروه . وهكذا خسرت الباباوية القسم الاكبر من شمالي اوروبا وحدث ذلك الانقسام الكبير في المذاهب المسيحية .

وهنا لا بد لنا من البحث عن السبب الذي ادى الى هذا الاختلاف : رأينا في ابائنا عن التربية المسيحية في القرون الوسطى ان الجدل في المعتقدات الدينية كان مستمرا طيلة تلك العصور ولكن لماذا لم ينشأ هذا الخلاف قبل انتشار روح النهضة ؟ السبب واضح لانه لم يكن لدى المتجادلين قبل النهضة مستندات قيمة يرجعون اليها في مناقشتهم ولذلك كانت تقف ابائهم عند حد معين واما بعد النهضة التي ادت الى ترجمة الاسفار الدينية القديمة من مصادرها الاصلية فقد اصبحت لدى المتجددين مصادر وثيقة يستندون اليها فالكاثوليك نظروا الى الدين كحقيقة كاملة اوحيتها القوة المقدسة وسلمتها لمؤسسات مقدسة بمنشأها وسلطتها وتركيبها (اي الكنيسة) ، واما المصلحون فنظروا الى الدين كحقيقة مقدسة ولكنها غير كاملة وعلى البشر ان يسبروا بهذه الحقيقة ويلفوها بها اوج الكمال . وبكلمة اوضح حصر الكاثوليك الحق بشرح الدين وتطبيقه في ايدي رجال الكنيسة ونظروا اليه كحق مقدس بخلاف المصلحين الذين سمحوا لكل فرد مسيحي عاقل ان يفهم الدين على قدر عقله وادراكه .

ولقد ولد الاصلاح الديني في نفوس الكاثوليك روحاً جديدة فقاموا بحركة رجعية غايتها معا كسة المراطقة المارقين (اي البروتستنت في نظرهم) واعادوا للوصول الى هذه الغاية

طريقتين : الاولى سلبية ارهاية فانشأوا مجالس التفتيش (Inquisition) والثانية
ايجابية عمرانية فاسسوا الجمعيات التعليمية الدينية واشهرها جمعية اليسوعيين وسذكر
كلمة عنها عندما تأتي الى المدارس الدينية في عصر الاصلاح .

أثر الاصلاح في روح التربية

من مميزات النهضة انها جعلت العقل حكماً في تفسير الطبيعة والحياة الدنيا وكان
من المنتظر منطقياً ان تتابع هذه النزعة سيرها في دور الاصلاح الديني فيسمح للفرد
بتفهم الكتاب المقدس مهدياً بنور عقله ولكننا نجد انه قد ضعف شأن هذه النزعة بعد
مرور سنوات قلائل على قيام لوثر حتى ان لوثر نفسه صرح في السنوات الاولى
في اثناء وجوده في ويتنبرج بقوله المأثور : « كل ما هو مخالف للعقل يخالف لارادة الله
فالعقل شيء مقدس » ولكنه لم يلبث ان جاهر قبل وفاته قائلاً : « العقل كالوحش
الضاري » وكما ازداد العقل دقة وتميزاً ازداد ذلك الوحش سما فهو ضد الاله ومخالف
لكافة اعماله » فيستنتج من ذلك ان لوثر نظر في اواخر ايامه نظرة في مكانة العقل
تناقض نظراته الاولى في بادىء الامر . ولهذا يجد الباحث ان مبادئ الاصلاح لم
تطبق في روح التربية الا بعد عصر الاصلاح باجيال عديدة .

من اهم نتائج الاصلاح الديني افتتاح المدارس وتعميم التعليم كوسيلة لفهم
التوراة والانجيل وله الفضل الاكبر في الخوض على التعليم الابتدائي ويجب الاحتراز
من الوقوع في الغلطة الشائعة وهي ان الاصلاح الديني كان السبب في نقل التوراة الى
اللغات القومية فقد كان يوجد في المانيا اربعة وعشرون طبعة مختلفة للتوراة باللغة
الالمانية قبل ان ينشر لوثر الكتاب المقدس باللغة القومية . وبما ان الاصلاح كان تنمة
لحركة النهضة فقد تقبل المربون في ذلك العصر مادة التربية الانسانية وادخلوا عليها
بعض الابحاث الدينية التي لم تكن موجودة سابقاً .

اشهر المربين في دور الاصلاح

يصعب علينا جداً ان نميز بين المربين الانسانيين والمربين الدينيين في القرن

السادس عشر لان التربية الانسانية كانت مهيئة للإصلاح الديني ولذلك نرى ان كثيرين منهم كراسموس ومور وراييلي الذين رفضوا الانشقاق عن الكنيسة الكاثوليكية ، كانوا بالرغم من كل ذلك من اعم دعاة الإصلاح .
اشهر المربين في دور الإصلاح الديني اربعة : كالفن وزونكلي ونوتر وملانكتون وسنكتفي بكلمة موجزة عن كل من هؤلاء .

كالفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤) زونكلي (١٤٨٤ - ١٥٣٢)

قضى جون كالفن (Calvin) معظم حياته بالمجادلات الدينية اللاهوتية الا انه تفرغ في اواخر حياته للتربية والتعليم فافتتح كلية في مدينة جنيف ومناج هذه المدرسة يطابق مناهج بقية المدارس الانسانية في مادتها واسلوبها . واما زونكلي (Zwingli) فقد كان انسانياً بأفكاره ومبادئه واشهر اعماله التهذيبية تأليفه كتاباً في التربية اسمه « اصول تربية الاطفال تربية مسيحية » . وليس لذين المربين شأن كبير في تاريخ التربية .

مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦)

اهتم لوثر بالتربية والتعليم قبل ان يقوم بإصلاحه الكبير فرمى الى ثلاث غايات :
انتشال التربية من ايدي رجال الكنيسة ، وتعميمها بين الطبقات المختلفة ، وجعلها دينية دنوية . وبنجاحه في حركته الإصلاحية الدينية تمكن من الوصول الى بعض هذه الغايات . والمشهور عن لوثر حملته الشعواء على التربية في الاديرة وخطبته في احدى المدن الالمانية قائلاً : « لا غنى لنا عن المدارس سواء أكان هناك جنة او جحيم فالعالم بحاجة ماسة الى رجال مثقفين ونساء مهذبات فالرجل المثقف يعمل على تحسين الحكومة والمرأة المهذبة تحسن ادارة بيتها وتقوم بواجبها التهديبي تجاه اطفالها »

وقد نظر لوثر الى العائلة كمعهد تهديبي لا تقل اهميته عن المدرس ودور العلم وادخل في مناهج المدارس دراسة اللغة العبرية والمنطق والرياضيات والتاريخ والعلوم

مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦)



المصلح الالماني مارتن لوثر يشرح تعاليمه

(راجع ص ١٢٨)



والموسيقى والرياضة البدنية . وقد شعر لوثر بالحاجة الى التعليم العام فكتب مراراً عديدة في هذا الشأن وقال ان المدارس يجب ان تقوم بتعليم الاشراف العامة والاغنياء والفقراء على السواء وواجب الحكومة ان تجعل التعليم الزامياً . واليك ما قاله لوثر في احدى خطبه : « انا لا امدح المدارس التي يبقى فيها الطفل عشرين عاماً وهو يدرس الاداب القديمة بلا استفادة فنحن على عتبة عصر جديد وهو يقضي علينا ان نغير الوسائل والطرق القديمة فباعترفاً خيراً لنا ان نرسل الطفل ساعة او ساعتين الى المدرسة كل يوم ونعلمه ايضاً في المنزل حرفة او صناعة ليستفيد منها في المستقبل » . على ان اقواله هذه كانت نظرية . واما الفضل في تطبيق قسم من هذه الاراء بصورة عملية فعائد الى اشهر اتباعه المدعو فيليب ملانكتون

فيليب ملانكتون (Melancthon) ١٤٧٩ — ١٥٦٠

لفيليب ملانكتون فضل على الاصلاح التهديبي في المانيا يعادل فضل لوثر في الاصلاح الديني ، ويلقبه المؤرخون مربي المانيا ولقد حاز على هذا اللقب عن جدارة واستحقاق اذ يندر ان نجد في المانيا مدينة لم يكن لهذا المربي فضل على مدارسها اما بنصائحهم وارشاده مباشرة أو بوجود احد تلاميذه في عداد مدرسيها . وقد كانت جامعة ويتنبرج ميدان عمله فبقى فيها مدة تقارب الاربعين عاماً فتحسن وتقدمت في ايامه واصبحت قدوة لبقية الجامعات الالمانية فأتم الجامعة الوف من الطلاب حباً بالاستفادة من ذلك الاستاذ الكبير . ومنها تخرج الوف من المعلمين الذين حملوا مبادئه الجديدة ونشروها بين الطبقات المختلفة . ولقد كتب وهو ابن ستة عشر عاماً كتاباً في الغراماتيق اليوناني استعملته اكثر المدارس الالمانية وله عدا هذا الكتاب كتب في الجدل والخطابة والاخلاق والطبيعيات والتاريخ .

انواع المدارس الدينية

وأينا في بحثنا عن ملانكتون اهمية الحركة التعليمية التي رافقت الاصلاح الديني

فعم الاهتمام بالعلم وانما اتخذ صبغة دينية بروتستنتية في الشمال فافتتحت المدارس الابتدائية البروتستنتية واما في البلدان الكاثوليكية فقد نشأت حركة قوية لمعاكسة رجال الاصلاح فأسست الجمعيات العديدة واشهرها جمعية الاباء اليسوعيين .

مدارس اليسوعيين

أسست جمعية يسوع سنة ١٥٤٠ وكانت لسان حال الحركة الرجعية المقاومة للاصلاح الديني. اما غايتها الاساسية فهي السعي وراء توطيد سلطة البابا ونشر نفوذ الكنيسة الكاثوليكية. وقد توصلت الى ذلك بالتبشير والدعوة الى الدين المسيحي بين الامم الوثنية وبمقاومة الدعاية التي بثها المراطقة (البروتستنت) بدعاية اشد منها وقد كان سلاحها الاكبر في بث دعوتها تلك المدارس العديدة التي انشأتها في مختلف الاقطار . ولفهم روح هذه المدارس لا بد لنا من كلمة موجزة عن انظمتها وطرقها ومناهجها التدريسية .

القانون الاساسي اليسوعي

اسس اغناطيوس لويولا [Loyola] هذه الجمعية ووضع لها دستوراً زاد عليه اتباعه ولم يكتسب شكله النهائي الا سنة ١٥٩٩ وهو مؤلف من عشرة اقسام : القسم الرابع منها يبحث عن خطة الدراسة وطرقها . ولم تقتصر غايتهم التعليمية على اعداد الشبان للانخراط في سلكهم وانما عملت على نشر العلم وتثقيف الشبان طبق مبادئ التربية الدينية المسيحية . ولقد كانت الدراسة مقسومة في مدارسهم الى قسمين : التدريس الابتدائي وهو يعادل الجنازيوم والتدريس العالي وهو يعادل الجامعات . وكانوا يعلمون الشبان مجانياً وهذا مما ساعدهم على مزاحمة المدارس البروتستنتية والاهلية .

بلغ عدد مدارس اليسوعيين في اواسط القرن السابع عشر ٣٧٢ مدرسة وزاد في وائل القرن الثامن عشر الى ان بلغ عدد الكليات ٦١٢ وعدد مدارس المعلمين ١٨٥ وعدد الجامعات اليسوعية ٢٤ وعدد الارشاليات التبشيرية اليسوعية ٢٠٠ وقد



جون كومينيوس

(٦٧٠ — ٥٩٢)

(راجع ص ١٤٧)



الفيلسوف الانكليزي

جون لوك

صاحب فكرة الترويض التهديبي

(١٦٣٢ — ١٧٠٤)

راجع ص ١٥٥





مدرسة داخلية انشأها جان باتيست دو لاسال في باريس سنة ١٦٨٨

(راجع ص ١٣٣)



بلغ عدد المنتهين الى هذه الجمعية اكثر من ٢٢٠٠٠ نسمة وقد قدر هذا الاحصاء حينما طردتهم فرنسا من بلادها سنة ١٧٦٤ وقد الغى البابا سلك اليسوعيين سنة ١٧٧٣ ثم عاد وسمح لهم بتشكيله مرة ثانية سنة ١٨١٤ .

نظام اليسوعيين الداخلي

من اسباب نجاح المدارس اليسوعية حسن ادارتها وكال انظمتها الداخلية هذا عدا المراقبة الشديدة التي اعتاد ان يقوم بها مديرو المدارس اليسوعية فكثيراً ما كانوا يدخلون الصفوف ويفتشونها . ولم تكن هذه المراقبة لتقتصر على المدرسين فقط وانما كان الطلاب عرضة لاشد انواع المراقبة والجالسوسية . والغريب انهم كانوا يقسمون الطلاب ازواجاً ازواجاً ، ويطلب من الطالب ان يتجسس ويراقب سير رفيقه حتى اذا ظهر عليه امر مريب اخبر الادارة بذلك . ولم يستعمل اليسوعيون العقوبات البدنية في حفظ النظام وانما ابتكروا طريقة المكافأة فوضعوا جوائز يمنحها المدرس للمجيد وهكذا ولدوا في الطلاب روح المباراة والمنافسة واستعملوها كواسطة لترغيب التلميذ في دروسه ولم يلجأوا للارهاب الا نادراً .

اعداد المعلمين

اهتم اليسوعيون باعداد معلمين اكفاء فاعدوا شعباً خاصة تشبه دور المعلمين العصرية وبهذه الطريقة تمكنوا من الحصول على مدرسين يقومون بالتدريس حسب طريقتهم وبمقتضى مبادئهم وتعاليمهم . اما مادة التربية اليسوعية فقد كانت انسانية بروحها انما اضافوا عليها بعض الدروس الدينية حسب التعاليم المسيحية الكاثوليكية .

الطريقة اليسوعية في التدريس

لطريقة التدريس اليسوعية ميزة هامة وهي كثرة المراجعات والخلاصات فلا يشرع المدرس اليسوعي بدرسه الجديد الا بعد تلخيص الدرس الماضي . وفي بدء

السنة الجديدة يلخص مادة السنة الماضية فيراجع معهم ما درسوه في العام المنصرم ولا تنتهي المراجعات بتخرج الطالب من المدرسة فانه يراجع الموضوع ايضاً مرة ثانية بتدريسه للطلاب اذا كان قد نوى التدريس في السلك اليسوعي وبكلمة واحدة تعرف طريقته بطريقتهم المراجعة والتكرار وقد نهجوا في تدريسهم على المبدأ الذي يقول : « اتقان مادة قليلة خير من درس مادة كثيرة درساً سطحياً بدون اتقان » .

مساوى المدارس اليسوعية وانحطاطها

قامت المدارس اليسوعية تسعى وراء غاية دينية تهذيبية في باديء الامر على انه لم تمض مدة وحيزة على تأسيسها حتى اخذ رجالها يتدخلون في شؤون السياسة فادى ذلك الى اضهادهم وطردهم من معظم الاقطار الاوروبية .

ولو نظرنا نظرة انتقادية في طريقة التعليم اليسوعية لوجدنا انها تقضي على روح الفرد وتعوده الخضوع والاستسلام وتقتل فيه حرية الفكر والاعتقاد وتميت فيه قوة الابتكار وقد قال اللورد ما كولي (Macaulay) « تمكن اليسوعيون من اكتشاف طريقة في التربية والتعليم ينمو بها الفكر ويتكامل دون ان يصل المرء الى درجة الاستقلال الفكري » وقد قال (Leibnitz) « ان الطرق والاساليب التهذيبية اليسوعية لم تنتهي الضعف والانحطاط » . وقال فولتير : « علني اليسوعيون قليلاً من اللاتينية وكثيراً من الكلام الفارغ » .

مدارس بور رويال (١)

على اثر انتشار الجمعيات اليسوعية نشأت في فرنسا مدارس جديدة غايتها معاكسة المعاهد اليسوعية ومقاومتها بالرغم من قصر المدة التي ازدهرت فيها هذه المدارس من (١٦٣٧ — ١٦٦١) نجد انها اكتسبت شهرة عظيمة وفيها ترعرع رجال مشهورون كبسكال (Pascal) ولافوتين الشاعر الافرنسي الكبير (La Fontaine)

(١) يعود السبب في تسميتها الى (port Royal) ناحية من باريس وفيها اسست اول مدرسة من هذا الطراز .

وسوام . على ان نفوذها لم يتجاوز مملكة فرنسا . ومن اشهر مميزات هذه المدارس انها جعلت محبة الطفل اساساً في التربية والتعليم وكان المدرسون يتولون العناية بتعليم الطفل وتربيته بمرافقته وتمهيد جميع شؤونه الشخصية بانفسهم ولقد كانت لهم عناية خاصة باللغة القومية والمشهور عنهم انهم استعملوا الطريقة الصوتية عوضاً عن الطريقة المحاثية كما انهم اعتنوا بتنمية قوة الادراك لاقوة الحفظ والذكر كما كان يفعل اليسوعيون . ولهذه المدارس مكانة كبيرة في تاريخ آداب اللغة الافرنسية .

المدارس الاولى في الاقطار البروتستنتية

من جملة الفوائد التي جاء بها الاصلاح الديني افتتاح المدارس الاولى بكثرة في الاقطار البروتستنتية وجعل هذه المعاهد التهذيبية تحت عناية الحكومة وتكليفها بقسم من نفقات تلك المدارس . فاصبح من واجب الحكومة ان تجعل هذا التعليم الاولي عاماً في كل الطبقات بصورة تكاد تكون الزامية وهكذا كثرت المدارس في المانيا وبريطانيا وهولندا وامريكا الشمالية وبقية الاقطار البروتستنتية .

المدارس الاولى في الاقطار الكاثوليكية

اختص اليسوعيون كما رأينا بالتعليم الثانوي واما التعليم الاولي في الاقطار الكاثوليكية فقد كان في ايدي جمعية الاخوان المسيحيين (١) التي اسست سنة ١٦٨٤ ومؤسسها جان باتيست دي لاسال (Jean baptiste la Salle) وقد انتشرت مدارسها انتشاراً عظيماً في القرن التاسع عشر واسست لها فروع في معظم البلدان الكاثوليكية والبروتستنتية . وتجلى لنا في هذه المدارس فكرة التنسك القديمة وقهر النفس والاكثار من العقوبات والضغط على نفسية الاطفال . وقد كانت لهم عناية خاصة بتدريب المعلمين ففتحوا دور للمعلمين ينال المتخرج منها رتبة

معلم في المدارس الاولى ولهذه المدارس الفضل في طراز التعليم المشترك فقد كان طراز التعليم قبل ذلك منفردا اي ان الطالب كان يتلو الدرس على معلمه بصورة انفرادية فلا يشترك معه بقية الطلاب .

الخلاصة

لم يكن الإصلاح الديني سوى تمة لعصر النهضة في شمالي اوروبا في ايطاليا كانت النهضة تجديداً في الاداب والفنون الجميلة واما في المانيا فانها ادت الى اصلاح ديني اجتماعي سياسي . ومن اهم ميزاتها انها منحت قوة المحاكمة في الفرد استحقاقها من الاحمية والاعتبار وسمحت للفرد بفهم الدين حسب اقتداره العقلي الشخصي وادى ذلك الى فرق عديدة بين البروتستنت انفسهم على انها قدرت اهمية الاصول الدينية القديمة وقالت بوجوب قراءتها كما وردت لأول مرة قالت الحال الى نشوء روح شكلية تقليدية ظاهرية تختلف قليلا عن الفلسفة المدرسية . اما مادة التدريس فقد كانت مادة التربية الانسانية نفسها وانما اضيف عليها دروس في الدين . ومن اهم النتائج التهذيبية المباشرة التي ولدها الإصلاح الديني: انتقال التعليم الابتدائي اسماً من الكنيسة الى ايدي الحكومة وتعميمه بين كافة الطبقات لكي يتمكنوا من قراءة الكتب الدينية وفهمها . واشهر المربين في عصر الإصلاح لوثر وملائنكتون . والامم الغربية مدينة للإصلاح الديني في فكرة التعليم الاولي العام .



الفصل التاسع

التربية « الواقعية » (Realism)

- 1 - humane realism - ~~Erasmus~~
- 2 - Societ - ~~Montaigne~~
- 3 - Sense - ~~Bacon~~ - ~~Descartes~~ - ~~Comenius~~

ما هي التربية الواقعية - التربية الواقعية الانسانية - اشهر ممثلها - اراسموس - رايبليه - ميلتون - اثرها في المدارس - التربية الواقعية الاجتماعية - مونتيني - افكاره التهذيبية - التربية الواقعية الحسية - ميزتها العمومية - اشهر ممثلها - مولكاستر - فرنسيس بيكن - رتلك - كومينوس - نتائجها في المدارس - الخلاصة .

ما هي التربية الواقعية

من اهم نتائج الثورة الفكرية التي ولدها عصر النهضة والانتعاش ، التربية الواقعية ويعدها مؤرخو التربية اساساً للحركة العملية الحديثة حتى ان قسماً كبيراً منهم يدعوها بالحركة العملية الاولى . فالنهضة الكبرى كانت ادبية فنية في القرن الخامس عشر ، ودينية اجتماعية سياسية في القرن السادس عشر واما في القرن السابع عشر فانهما اصبحت فلسفية علمية . ففي الدورين الاولين اتجهت الانظار الى اللغات وآدابها والى الدين واصلاحه واما في القرن السابع عشر فقد تحولت انظار رجال النهضة عن اللغات والاداب والفنون الى البحث عن الحقيقة وعن مظاهر الحياة الطبيعية الواقعية واخذوا يهتمون بجعل الاساليب التهذيبية موافقة لمخيطهم وزمنهم الحالي لا كما كانت عند اليونان

والرومان . وبما ان هذه الحركة الجديدة وليدة عصر النهضة والتربية الانسانية فانما نجدها جامعة بين القديم والجديد في بدء انتشارها، وجديدة علمية في ادوارها الاخيرة وعلى هذا الاساس تنقسم التربية الواقعية الى ثلاثة اطوار مختلفة : طور التربية الواقعية الانسانية وطور التربية الاجتماعية وطور التربية الواقعية الحسية ولا بد لنا من كلمة مختصرة عن هذه الاطوار وعن كبار المربين الذين كانوا قادة لافكارها ومبادئها :

التربية الواقعية الانسانية

ذكرنا سابقاً ان التربية الواقعية الانسانية نشأت من فكرة التربية الانسانية الضيقة الاولى والان لنرى كيف حدث هذا الانتقال . جعل المربون الانسانيون الاقدمون اللغات القديمة وآدابها غايتهم القصوى من التربية فاعتنوا بادبيات شيشرون واسالييه واما المربون الانسانيون الواقعيون فانهم سلموا باهمية اللغات القديمة وآدابها ولكنهم نظروا اليها كواسطة لا كغاية اي انهم اعتبروا اللغات القديمة وآدابها العالية وسيلة يصلون بها الى تطبيق تلك المبادئ والافكار التي جاء بها الاقدمون في حياتهم الحاضرة . فالانسيون الاقدمون جعلوا مثلهم الاعلى ان يعدوا في الحرب رجالا كتيصرو وفي الفلسفة رجالا كافلاطون وفي البلاغة والاجتماع رجالا كشيثرون واما الانسانيون الواقعيون فانهم وافقوا على وجوب الاهتمام بدرس سير هؤلاء الابطال وآدابهم ولكن بشرط ان تكون هذه المعلومات سلاحاً بايدي الشبان يعالجون به مشاكلهم الحاضرة ومفتاحاً يفتحون به نوافذ عقولهم لفهم حقائق الاشياء ومظاهر الحياة الواقعية .

اشهر المربين الواقعيين الانسانيين

بعد ان قدمنا كلمة عن معنى التربية الواقعية الانسانية نتقدم الى ذكر اشهر المربين الذين يمثلون هذه النزعة الجديدة وهم ثلاثة: اراسموس وراييلي ومياتون . اما اراسموس

فقد تكلمنا عنه بتفصيل في بحثنا عن النهضة الكبرى ولقد وضعناه في عداد هؤلاء
 لشرحه مبادئ هذه النزعة الجديدة في كتابه «طريقة الدرس» حيث يقول :
 « المعرفة على نوعين : معرفة لفظية ومعرفة حقيقية او معرفة الكلمات ومعرفة الاشياء
 ولا شك ان معرفة الاشياء وحقيقتها اهم بكثير من معرفة الكلمات والالفاظ »

فرنسوا راييليه (١٤٨٣ — ١٥٥٣) Rabelais

لفرنسوا راييليه اهمية كبيرة في تاريخ التربية ولم تأنه هذه الشهرة لتأثيره مباشرة
 على المدارس والمعاهد التهذيبية وانما اكتسب راييليه هذه المنزلة السامية بين المربين
 بالنظر للآثر الذي تركته كتاباته في آراء مونتاني وروسو ولوك واعظم ما قام به هذا
 المربي انتقاداته الشديدة لاساليب حياة البشر في عصره سواء أكان ذلك في الحكومة
 او الكنيسة او المدرسة . ولقد وجه راييليه سهام نقده بصورة خاصة الى التربية
 الكلامية وصرح «جوب الاستغناء عن اللغات القديمة والمباحكات الكلامية اللفظية
 واستبدالها بتربية اجتماعية طبيعية اخلاقية دينية تبث في الطالب روح الحرية الفكرية
 والعلمية وتنشله من ايدي رجال الدين والعلم المحافظين . تدرب راييليه على صناعة الطب
 ولذلك نجد كتاباته مفعمة بروح العلم والخض على درس العلوم الطبيعية . ومن اقوال
 راييليه ان التعليم يكون بقراءة الكتب ولكنه قيد قوله هذا بشرط مهم وقال يجب على
 الطالب ان يتقن مادة الكتاب ومحتوياته وافكاره لا الالفاظ والتراكيب التافهة في نظره
 وعليه بعد ذلك ان يطبق ما درسه في حياته العملية . ومن اقواله ايضا : « يجب ان
 تكون المدرسة مشوقة جذابة وذلك باستعمال الالعب الرياضية التي تفيد الطفل في نموه
 الجسمي وتساعد على القيام بواجباته في حياته المقبلة » واثار راييليه باستعمال الوسائل
 المرغبة ومنع استعمال وسائل الشدة والضغط والصرامة .

ولكي نفهم روح هذا المربي الكبير نذكر بعض اقواله نقلا عن احد كتبه

المشهورة (١) : « اريد منك يا ولدي ان تتعلم اللغات وتقتنها فتدرس اولا اللغة اليونانية كما اتقنها كوتليان وبعد ذلك تدرس اللاتينية والعبرية توصلنا لفهم التوراة ويجب ان تدرس اللغة العربية والسكندانية ايضا. وعليك ان تكتب باليونانية كما كتب افلاطون وباللاتينية كما كتب شيشرون. ولا تترك فرعاً من فروع التاريخ الا وتدرسه وعليك بدروس الرياضيات والفلك والحقوق والشريعة والفلسفة. اما العلوم الطبيعية فاود ان تدرسها بدقة وامعان فلا تترك بحراً ولا نهراً ولا نبعا الا وتتعرف الى أسمائها ولا تدع طائراً الا وتتعلم اسمه ولا نباتاً الا وتقتن وصفه، وكذلك عليك بدروس المعادن وجميع انواع الحجارة الكريمة. ولا تنس ان تحيط بما كتبه كبار الاطباء من عرب ولا تين، وكذلك يجب عليك ان تهتم بقراءة الكتاب المقدس فاقراً التوراة بالعبرية والانجيل باليونانية وبالاختصار يجب عليك ان لا تترك باباً من العلوم والمعارف الا وتطرقه حتى يساعدك ذلك في حياتك المقبلة » .

جون ميلتون (Milton) ١٦٠٨ — ١٦٧٤

للشاعر الانكليزي جون ميلتون مكانة سامية في آداب اللغة الانكليزية، واشهر ما نظمه القصيدة الخالدة « الفردوس المفقود » . يمثل لنا هذا الشاعر روح التربية الواقعية الانسانية في رسالة كتبها في اصول التربية والتعليم دون فيها آراءه التهذيبية وانتقد الاساليب والطرق التي كانت شائعة في مدارس عصره فوجه سهام نقده الى ثلاث نقاط : الاولى اهتمام المدرسين بالگرامطيق الظاهري الشكلية، الثانية اهتمامهم بالاسلوب اكثر من اعتنائهم بفحوى الاداب ومادتها، الثالثة وهي المهمة ان التربية لا تكون فقط بدرس آداب اللغتين اليونانية والرومانية (مع انه يسلم باهمية درس هاتين اللغتين وادابهما) وانما يطلب التعمق في درس المادة وجعلها مطابقة للحياة الواقعية .

(١) امتاز هذا الكتاب بأسلوبه الهزلي التهكمي الانتقادي وفي هذه الرسالة يتصور الكاتب أباً يوصي ولده ويبين له الدروس التي يجب ان يدرسها .



جون ملتون
(١٦٠٨ — ١٦٧٤ م)
(راجع ص ١٣٨)



فرانسوا رايليه
(١٤٨٣ — ١٥٥٣ م)
(راجع ص ١٣٦)



ميكائيل مونتاني
(راجع ص ١٤٠)

منهاج المدارس في نظر ميلتون

حلل ميلتون مادة التدريس في دور العلم ورتبها ترتيباً يشابه ترتيب رابليه الفرنسي ونظم تربية الطالب من السنة الثانية عشرة الى السنة الحادية والعشرين على الشكل الآتي : يدرس الولد في الثانية عشرة من عمره النحو اللاتيني مع مبادئ الحساب والهندسة ويضاف الى ذلك دروس الاخلاق . ثم يدرس بعد ذلك الزراعة كما كتب فيها الرومان الاقدمون وبعده تأتي دراسة علم وظائف الاعضاء في كتب ارسطو ثم يدرس الفلسفة الطبيعية في مؤلفات سنيكا والجغرافيا في كتب سولينوس ومبادئ الطب في كتب الاقدمين . وتتم هذه الدراسة قراءة آثار كبار الشعراء ولا تدرس اللغات القديمة الا واسطة لفهم هذه الكتب والاستفادة منها . وتأتي بعد ذلك دروس في الاقتصاد والاخلاق والسياسة والتاريخ والدين والمنطق والانشاء والخطابة والبلاغة وكل هذه العلوم تدرس في كتب مشاهير علماءها . ولا يكتفي ميلتون بدراسة اليونانية واللاتينية بل يفرض على الشاب دراسة العبرية والسكلدانية والعبرانية والايطالية في اوقات الفراغ .

تعريف ميلتون للتربية

وضع الشاعر ميلتون في القرن السابع عشر تعريفاً خالداً للتربية ينطبق على روح التربية في كل العصور واليك هذا التعريف : « التربية الصحيحة الكاملة هي التي تعد الرجل للقيام بوظائف الحياة الخاصة والعامة ، في السلم والحرب ، بشرف وعقل وبراعة »

نتائج التربية الواقعية الانسانية في المدارس

لم تحدث التربية الواقعية الانسانية أثراً يذكر في انظمة المدارس بل بقيت السيطرة المطلقة للتربية الانسانية الضيقة مع ان روح التربية الجديدة قد ظهرت بصورة ضعيفة في بعض الجامعات العالية . والحقيقة المهمة التي يجب ان نذكرها عن التربية

الواقعية الانسانية انها مهدت السبيل للتربية الواعية الحسية العلمية التي لعبت دوراً مهماً في مناهج المدارس واساليبها وطرقها .

٢ — التربية الواقعية الاجتماعية

يراد بالتربية الواقعية الاجتماعية تثقيف المحاكاة وتنمية الاستعداد في الطفل ليعيش بسعادة ونجاح في حياته المقبلة ، اي ليكون رجل عمل يحسن الاستفادة من محيطه العملي . ولقد ندد اصحاب هذه الفلسفة بمحتويات التربية الانسانية وقالوا عنها انها لا تصلح لتهيئة المرء لحياة العملية الحقيقية ، واليك ما قاله زعيم المربين الواقعيين الاجتماعيين مونتاني في نقد التربية الانسانية : « اذا لم تقم التربية بواجبها المقدس وهو تنمية قوى العقل وتوليد المحاكاة الصحيحة فاننا افضل ان يلعب ولدي بالكرة فذلك خير له وانفع . راقبوا اولادكم بعد تخرجهم من المدارس حيث يبقون خمسة عشر او ستة عشر عاماً ودققوا في احوالهم النفسية تجدوا انهم لا يصلحون للعمل والخدمة وجل ما اكتسبوه واستفادوه من تلك المدارس هو الغرور بمعلوماتهم السطحية في اللغتين اليونانية واللاتينية » فيفهم مما تقدم ان المربين الواقعيين الاجتماعيين نظروا باحتقار وازدراء الى مبادئ التربية الانسانية ووضعوا عوضاً عنها تربية صريحة عملية مبنية على التجارب فاشاروا بوجود الرحلة في طلب العلوم والاختلاط بالناس . واشهر المربين الواقعيين المربي الافرنسي مونتاني واليك كلمة عن مبادئ وآرائه في اصول التربية والتعليم .

ميكائيل مونتاني (Montaigne)

ذكرنا في بحثنا عن التربية الرومانية ان الرومان اعتادوا ان يرسلوا اولادهم الى بلاد اليونان لتحصيل العلوم على كبار اساتذتها . وقد اشار كوتيليان الى وجوب الرحلة في طلب العلم وشاركه في هذا الرأي كثيرون من مربي الاسلام اشهرهم ابن خلدون والغزالي . الا انا نجد في القرن السادس عشر نزعتين مختلفتين : الاولى لا تستحسن

الرحلة في طلب العلم وزعيمها المربي الانكليزي روجر اسكام والثانية تحض على السفر والتغرب في تحصيل العلم ورؤسها المربي الافرنسي موتاني واليك ما قاله موتاني في هذا الصدد : « لو كان لي ولد لارسلته منذ الصغر الى البلدان المختلفة فيكتسب من تجاربه واختباراته فكرة الرجولة الحقيقية » . ولقد نظر هذا المربي الى العلوم كلها كواسطة لغاية سامية وهي الفضيلة ولذلك لم يهتم بالتوسع في العلوم واهمل دراسة الاداب القديمة وقال بوجوب درسها درسا سطحياً وأشار الى ذلك في احدى رسالاته عن التربية حيث قال : « ما هي الفائدة العملية من استهادنا باقوال الاقدمين؟ وما هي البراعة في قوانا: هكذا قل شيشرون ، وهذه افكار افلاطون ، وهذه كلمات ارسطو؟ البيغاء يتمكن من اعادة هذه الكلمات واكثر منها ايضاً ، ولكن المهم ان نجيب على هذا السؤال : ما هي مقدرتنا العملية ؟ كيف يجب ان نحكم ونميز ؟ فالتربية المفيدة هي التربية العملية . »

الفضيلة هدف التربية في نظر موتاني

جعل موتاني الفضيلة هدفاً للتربية وقد ذكر ذلك في رسائله حيث قال : « يجب على المعلم ان يث روح الفضيلة في نفوس الطلاب وعليه ان يبين لهم طرق اكتسابها فهي ام السررات البشرية وهي التي تجلب للمرء الصحة والمجد والسعادة وهي التي ترشده الى كيفية الاستفادة من الاشياء الحسنة . » ولموتاني رأي مشهور في المادة التي يجب على الطالب درسها فيحض على دراسة العلوم التي تفيد المرء في حياته المقبلة فقط فهو مادي نفعي بارائه وقد استشهد موتاني بقصة اليوناني اجيسيلوس لما سألوه عن العلوم الجديرة بالدرس فاجاب ذلك اليوناني يجب ان يدرس الشاب العلوم التي يعمل بها عندما يصبح رجلاً . ومن اقوال موتاني التهذيبية : « يجب الاعتناء بفهم الدروس لا استظهارها ولا تكون هذه الدروس مفيدة الا اذا تمكن الطالب من تطبيقها بصورة عملية . »

تأثير التربية الواقعية الاجتماعية في المدارس

كان موتاني من طبقة الاشراف ولذلك نجد ان افكاره ارسطوقراطية لا يتمكن

من تطبيقها الا الاغنياء والاشراف وهكذا نرى ان تأثيرها في المدارس وسيرها كان ضعيفاً جداً، ووغاية ما هناك ان موتاني يمثل لنا فكرة جديدة في التربية كان لها بعض الاثر في آراء كبار المربين المتأخرين في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر .

٣ - التربية الواقعية الحسية

نظرة عامة

نجد في هذه النزعة تبشير الحركة العلمية الحديثة، ومن الآراء التهذيبية التي كتبت في هذا العصر نشأت الفكرة الحديثة في التربية والتعليم . والسبب في تسميتها بالتربية الواقعية الحسية ان قادة هذه الحركة قالوا بان معرفة الاشياء تأتينا عن طرق الحواس ولذلك فهمة التربية الاساسية تدريب المرء على حسن استعمال هذه الحواس وتنمية قوتي الاطلاع والادراك حتى يتمكن العقل من درس المظاهر الطبيعية وتعليلها . ولا شك ان الفضل الاكبر في هذه النزعة الجديدة عائد الى العالم الانكليزي فرنسيس بيكن . ولقد كانت التربية الواقعية الحسية ترمي الى امرين : اولا تطبيق طريقة الاستقراء التي وضعها بيكن للعلوم في اصول التدريس واساليه، وثانياً استبدال اللغة اللاتينية باللغات القومية، ومحتويات التربية الانسانية اللغوية بالعلوم الطبيعية والاجتماعية الجديدة . فالقرن السادس عشر كان عصر انتقال مهد السبيل للأعمال الكبيرة التي قام بها المصلحون المربون في القرن السابع عشر ولقد دعا المؤرخ الالماني كارل فون رومر Karl von Raumer هذه الفئة الجديدة بالمجددين (Innovators) واليك اشهر الآراء التهذيبية التي وضعها هؤلاء في طريقتهم التدريسية الجديدة :

- ١ - يجب المير من السهل الى الصعب ومن المحسوس الى المجرد .
- ٢ - تأتي الامثلة والشواهد قبل القواعد .
- ٣ - يجب تعويد الطلاب التحليل قبل التركيب .
- ٤ - يجب الاهتمام بتعويد الطلاب البحث والتقصي فلا يجب ان يتقبلوا الشيء الا بعد ان يجربوا صدقه بانفسهم .

- ٥ — يجب الاهتمام بتفهم الدروس قبل استظهارها .
- ٦ — يجب الاعتناء برغيب الاطفال وتحريك شوقهم الى الدرس ولا يستحسن استعمال الضغط والاجهاد معهم .
- ٧ — ينبغي استعمال اللغة القومية كواسطة لدراسة كل العلوم .
- ٨ — يجب ان يقدم درس الشيء نفسه على درس الكلمات التي تصفه .
- ٩ — يجب ترتيب الدروس بصورة تناسب البيئة والزمان كما انه يجب الاستفادة من الميول الطبيعية التي تولدها الحوادث .
- ١٠ — يجب الاعتناء بالالعاب الرياضية وذلك حفظاً لصحة الطفل .
- ١١ — يجب ان يعطي المجال لكل فرد بان يحصل على تربية اولية على الاقل .
- ١٢ — تدرس اللغتان اليونانية واللاتينية في التحصيل العالي فقط .
- ١٣ — من الممكن وضع علم في اصول التربية والتعليم يسهل على المدرسين هذه الصناعة الشريفة .

اشهر ممثلي التربية الواقعية الحسية

ان الذين تجلت فيهم هذه الفكرة العلمية الجديدة لكثيرون ولما كان المقام لايسمح لنا بشرح افكار كل منهم فسنقتصر على ذكر اشهرهم . وهم اربعة : مولكاستر، بيكن، رذك وكويمنيوس .

مولكاستر (١٥٣٠ — ١٦١١) Mulcaster

لهذا المربي الانكليزي شهرة في تاريخ التربية لانه اول من طالب بوجوب استعمال اللغة الانكليزية في كتابة العلوم وفي المدارس عوضاً عن اللغة اللاتينية . وبما انه تعاطى مهنة التعليم مدة ثلاثين سنة فان اقواله مبنية على تجاربه واختباراته من هذا نرى انه قد جمع بين الاراء النظرية والتطبيقات العملية . وله اسلوب طلي في اللغة الانكليزية حتي انه جاهر بصراحة غريبه وقال ان كتاباته تصلح لان تكون انموذجاً

ينهج عليه طلاب اللغة الانكليزية كما يتلذذ طلاب اللاتينية اسلوب شيشرون . ومن اهم اعماله مطالبته باشادة مدارس خاصة غايتها تحضير معلمين قديرين فهو اذن اول من اقترح فتح دور المعلمين .

فرنسيس بيكن (١٥٦١ - ١٦٢٦) Francis Bacon

ترجمته

حصل بيكن علومه في جامعة كمبردج وخرج منها ناقماً على طرقها التدريسية وعلى مادة الدروس ثم دخل في عالم السياسة وعين مرافقاً لسفير انكلترا في باريز ولم يلبث ان رجع الى انكلترا ودخل في سلك المحاكم الى ان عين رئيساً للعدلية وكان مبذراً فاضطر الى قبول الرشوة ثم اكتشف امره وحكم عليه بالسجن وبغرامة مالية عظيمة واخيراً خرج من السجن وانتقل عالم السياسة وتفرغ لاجنائه العلمية وكتب كتابه المشهور « القوانين الجديدة » *Novum Organum* وفيه دون طريقته الاستقرائية التي بني عليها العلم الحديث وحدثت ذلك الانقلاب العظيم الذي ادى الى الاكتشافات والاختراعات الحديثة . ولا يخفى ان بيكن لم يبتكر هذه الطريقة فقد رأينا في اجائنا عن التربية القديمة ان سقراط وارسطو توصلا اليها ولكن لا يجب ان ينقص هذا من قدر بيكن ومنزله العلمية كما ان اكتشاف النورمان لامريكا لا يحط من مكانة كولومبوس وفضله .

آثار بيكن في التربية والتعليم

لم يهتم الفيلسوف الانكليزي بيكن بامور التربية والتعليم مباشرة وانما كانت العلوم ميداناً لاجماله الجديدة فوضع لها هدفاً جديداً مخالفاً للهدف القديم وقال ان الغاية من العلوم ان تكون عملية نافعة لا ان تبقى نظرية مهمة فيجعلها العلوم عملية نافعة تنطبق على احتياجات المحيط ، جعل التربية — وهي الطريقه التي تكتسب بها هذه العلوم —

عملية مشمرة . ومن اقوال بيكن ان الحياة الفكرية لا تكون مشمرة الا اذا بنيت على اساس جديد وهو الطبيعة . فانتقد الحياة الفكرية القديمة المبنية على العلوم اللاهوتية والماورائية وقال ان العلوم الطبيعية وخصوصاً الفيزياء هي ام العلوم على اختلاف انواعها — اخلاقية كانت او اجتماعية او فلسفية . ولقد قسم بيكن اعماله في خطته الجديدة الى قسمين كبيرين : القسم الاول منها تفرغ فيه لتدوين ما وصل اليه البشر في ميادين العلوم من اقدم العصور الى وقته ، والقسم الثاني من خطته يختص بالطريقة الجديدة التي ينبغي ان يطرقها في عمله الشاق . فكتب كتابين : الاول « تقدم العلوم » دون فيه العلوم الموجودة في زمنه ، والثاني « القوانين الجديدة » التي سار بموجبها في تأليف كتابه الاول .

الطريقة الاستقرائية

قال بيكن « هناك طريقتان للبحث والسعي وراء اكتشاف الحقيقة . الاولى ان يطير الباحث رأساً من المعاني الجزئية الى القواعد العامة مكتشفاً من فحصه للقواعد العامة الدرجات المتوسطة التي توصل بها الى المعاني العامة . وهذه هي الطريقة المستعملة والثانية وهي الطريقة المثلى فتكون بفحص المعاني الخاصة فحصاً دقيقاً والانتقال بصورة تدريجية الى المعنى العام المحتوي على الحقيقة الكاملة . » وقد سلم بيكن بالمبدأ الذي يقول « بانتهاء الاستقراء يتبدى الاستنتاج » ومن ذلك قوله ان العلوم لا تكون عملية نافعة الا اذا طبقت المبادئ العامة التي يتوصل اليها الباحث عن طريق الاستقراء في الحياة العملية بصورة استنتاجية . وهنا لا بد لنا من القول بان بيكن لم يأت بشيء جديد فالانسان يستعمل الطريقة الاستقرائية في اعماله اليومية دون ان يشعر بذلك وانما له الفضل الا كبر في تدوينها بصورة علمية عملية .

رتك (Ratke) (١٥٧١ — ١٦٣٥)

ولد هذا المربي الالماني في مقاطعة هولستين (Holstein) وبعد ان اتم تحصيله

عني بوضع طريقة جديدة في التربية والتعليم وادعى انه يستطيع تعليم اية لغة قديمة كانت او حديثة في مدة لا تزيد على ستة اشهر واخيراً وضع برنامجاً جديداً دون فيه آراء التهذيبية وعرضه على مجمع الامبراطورية الجرمانية الذي عقد في مدينة فرانكفورت سنة ١٦١٢ ويتألف منهاجه هذا من ثلاث نقاط رئيسية : (١) تعهد رتك بانه يتمكن من تعليم اللغات القديمة والحديثة بمدة وجيزة اذا طبقت الطريقة الجديدة التي وضعها . (٢) وجه انظار المجمع الى وجوب جعل اللغة القومية اللغة الرسمية الاساسية في جميع المدارس . (٣) وجوب التخلص من اللغات الجرمانية المتعددة وتوحيدها بلغة المانية مشتركة عامة . وقد حولت هذه الخطة الى جامعتين كبيرتين كلتاهما بدرسها فوافقتا عليها . ثم عرض طريقته الجديدة على امراء المانيا فاستحسنوها وقرر فريق منهم مساعدة هذا المصلح وكافه بتطبيقها بصورة عملية . والمؤسف انه فشل فشلاً مريعاً وتمادى بخيبة الفشل والخذلان مع الجميع . من ذلك ان امير كوتن سلمه ادارة مدرسة تضم ٥٠٠ طالب ومجهزة بمطبعة متقنة ولكنه لم يتمكن من النجاح بالرغم من ان طريقته حسنة جداً وموافقة لفن التربية والتعليم كما سنرى بعد ان ندرسها . وسبب فشله انه لم يكن من ذوي الشخصيات البارزة، وهنا ايضاً يتجلى لنا صدق القول المأثور « ان المعلم مخلوق غير مصنوع » . ولما قنط من نجاح افكاره النظرية عملياً جمع حوله اتباعه واصدقاءه ودون افكاره في كتب وتآليف كان لها الاثر الكبير في اصلاح التهذيبي الذي قام به المصلح جون كومينيوس وسنرى كيف ان كومينيوس اقتبس آراء رتك والبسها ثوباً جديداً ونجح في تطبيقها بصورة عملية .

طريقة رتك

نذكر باختصار اهم المبادئ الجوهرية التي ذكرها رتك في طريقته الجديدة :

- ١ — يجب ان نسير في الدروس سيراً يوافق سير الطبيعة .
- ٢ — لا تمزج بين اشياء كثيرة في وقت واحد .
- ٣ — على المدرس ان يعنى بمراجعة الموضوع مرات عديدة .

- ٤ — لا تطلب من التلاميذ ان يستظفروا شيئاً مطلقاً .
- ٥ — يجب ان يتعرف الطلاب الى الشيء قبل ان يتعرفوا الى اوصافه .
- ٦ — يجب الاكثار من التجارب العملية .
- ٧ — ينبغي استعمال الرغبة اي تحريك شوق الاطعام ولا يجوز استعمال القسوة والسدة .

جون كومينيوس (١٥٩٢ — ١٦٧٠) Comenius

يعد المربي الماني جون كومينيوس في طليعة مثلي التربية الواقعية من وجهتيها النظرية والعملية وله في تاريخ التربية مكانة سامية بالنظر لما قام به من الخدمات الجليلة في اصول التربية والتعليم . ولد هذا المربي في مقاطعة مورافيا (Moravia) سنة ١٥٩٢ وبعد ان اكمل تحصيله في مدارسها عين اسقفاً للكنيسة البروتستنتية في بلده وقد قاسى مشقة الاضطهاد في اثناء الحرب الثلاثينية ١٦١٨ — ١٦٤٨ فأحرق منزله مرتين ونفي الى بولندا ومن حملة المصائب التي نزلت به حرق قلموس كبير في اللغتين اللاتينية واليهودية اشغل في تأليفه مدة اربعين عاماً . ولقد قضى عمره غريباً عن بلاده مشتتاً بين انكلترا والسويد وبلاد المجر وبولندا ولا شك في ان هذا التغرب قد افاده وحياه نظرة واسعة في اصول التربية والتعليم .

آراؤه التهديبية

ثار كومينيوس على الطرق والاساليب التهديبية الشائعة وانتقدها وفندها في الكتب العديدة التي ألفها ويزيد عدد هذه الكتب على المائة كتاب . وقد كان للفيلسوف فرنسيس بيكن أثر عظيم في افكار كومينيوس ولا شك في ان الاخير استمد نظرياته من الاول وطبقها بصورة علمية . واشهر ما كتبه كومينيوس كتاب في اصول التربية والتعليم يدعى (The Great Didactic) ويعدده علماء التربية والتعليم في مقدمه الكتب التي كتبها المربون في جميع العصور . ويمتاز هذا الكتاب بالانسجام

المتين الذي يشعر به القاريء فيجد بين فصوله وحدة وارتباطاً يستدل منها على مقدرة الكاتب وعبقريته ، هذا عدا الطرق والاساليب التهذيبية التي دونها كومينيوس فيه بأسلوب واضح قريب التناول . وغاية ما قام به هذا المصلح اخذه اراء رتك ويمكن تطبيقها في التربية والتعليم بصورة عملية .

واليك خلاصة الاعمال التي قام بها كومينيوس في التربية والتعليم :

« ١ » استعمل كومينيوس الرسوم والاشكال في الكتب التدريسية وطبع كتباً عديدة للمدارس زينها بهذه الاشكال بالرغم من النفقات الباهظة التي كانت تستوجبها هذه الرسوم وبخصوصاً في تلك الاوقات .

« ٢ » قسم كومينيوس مدة التحصيل الى اربعة ادوار : دور الطفولة الاول من السنة (١ — ٦) ويشتمل هذا الدور على التربية في المنزل . ووضع للتربية في ذلك الطور انظمة تشبه انظمة فروبل في حدائق الاطفال . دور الطفولة الثاني ويمتد من السنة (٦ — ١٢) ويستغرق هذا الدور الدراسة في المدارس الوطنية (وفيها تدرس اللغة القومية) . دور المراهقة ويمتد من السنة (١٢ — ١٨) وفيه يدخل الطالب الجنائزيم . دور الشباب ويمتد من السنة (١٨ — ٢٤) وهو دور التحصيل العالي في الجامعات .

(٣) ذكرنا آنفاً مبادئ المجددين (١) وبهذه المناسبة نقول بان الفضل في وضع هذه المبادئ يعود الى المربي الكبير كومينيوس .

أثر التربية الواقعية الحسية في المدارس

غني عن البيان ان الاثر الذي تركه الحركات التهذيبية الجديدة في دور العلم يكون بطيئاً وتدرجياً وذلك لسببين : اولاً لان الرجال الذين يضعون النظريات لا يكونون عادة من المشغولين بإدارة المدارس وترتيب المناهج . وثانياً لان المعلمين لا

يميلون عادة الى تغيير العادات القديمة وتحمل مشقة التعود على الطرق والاساليب الجديدة . وهكذا نرى ان تأثير التربية الواقعية الحسية كان بطيئاً وتدرجياً ولم تظهر نتائجها تماماً الا في القرن التاسع عشر بعد ان تسربت اليها عوامل ومؤيدات جديدة . واهم المدارس التي طبقت مبدئياً روح التربية الواقعية الجديدة ، المدارس الواقعية الالمانية (Real - Schulen) التي أسست سنة ١٧٤٧ والمجامع العلمية الانكليزية (Academies) التي نشأت في انسكتراسنة ١٦٨٩ وفي هذه المعاهد المار ذكرها تمت لأول مرة المبادئ الجديدة الواقعية بصورة منظمة .

الخلاصة

ان النزعة الواقعية — باطوارها الثلاثة — حركة متممة للشورة الفكرية التي اشتعلت ابان النهضة الكبرى وتعد هذه النزعة اساساً للحركة العلمية الفلسفية الحديثة . للتربية الواقعية ثلاثة اطوار : (١) التربية الواقعية الانسانية او درس الاداب لاجل مادتها واشهر ممثلها اراسموس وراييلي وميلتون . (٢) التربية الواقعية الاجتماعية او التربية العملية التي تعد المرء للقيام بواجباته في حياته المقبلة بسعادة وسرور واشهر ممثلها مونتاني . (٣) التربية الواقعية الحسية وهي التي اهتمت بدرس الطبيعة على طريقة يمكن الاستقراية وهي الاساس للنزعة العلمية في التربية والتعليم من الوجهتين البسيكولوجية والاجتماعية . وضع يمكن هذه الطريقة واكسبها كومينيوس صبغة عملية ومن اهم نتائج التربية الواقعية الحسية المدارس الواقعية الالمانية والمجامع العلمية الانكليزية .



الفصل العاشر

جون لوك وآرائه

في التربية والتعليم

فكرة التربية الترويضية الحديثة - نظرية الترويض العقلي - محاسنها ومساوئها - جون لوك -
آراؤه في التربية الجنسية - في التربية الخلقية - في التربية الفكرية - أثر التربية الترويضية
في المدارس - في انكلترا - في ألمانيا - الخلاصة .

فكرة التربية الترويضية الحديثة (١)

من نتائج الإصلاح الديني احمال اللغة اللاتينية في الكنائس ، ومن نتائج التربية
الواقعية استعمال تلك اللغة كأداة مساعدة في المدارس واهتمام رجال المعاهد التهذيبية
باللغات القومية . وكذلك نرى ان لغة السياسة أصبحت اللغة الافرنسية وهكذا
فقدت اللغة اللاتينية مكانتها السامية التي تمتعت بها خلال النهضة الاوروبية الكبرى
وبعدها . ولكننا تركت في مناهج المدارس مادة كلامية انتجتها التربية الانسانية
وأصبحت راسخة القدم في دور العلم بالرغم من زوال سيطرة اللغة اللاتينية فيجد
الباحث في مادة المدارس في اثناء القرن السابع عشر انها انسانية بروحها وغير ملائمة

(١) يقابل هذا الاصطلاح باللغة الانكليزية Disciplinary Conception of Education .

لمطالب الحياة العملية وهذا دليل على ان المصلحين لم يتمكنوا تماماً من تطبيق نظرياتهم الجديدة وذلك لان وراء التربية الانسانية ماضياً مجيداً وغني عن البيان انه يصعب على البشر ان يقضوا دفعة واحدة على طرق واساليب انتجتها جهودهم خلال ثلاثة قرون .

رأى المفكرون تلك الحالة التعيسة في مادة الدروس ومحتوياتها واقنعوا انها لا تلائم مطالب المحيط العملية وشعروا بانهم لن يتمكنوا من محوها دفعة واحدة ، فعنوا بوضع نظرية تبرر وجود هذه المادة الجامة المتعبة فوضعوا نظرية الترويض العقلي في التربية والتعليم .

مميزات هذه الفكرة الجديدة

بوسعنا ان نلخص هذه الفكرة الجديدة بعبارات موجزة . فالتربية الترويضية الجديدة تقول ان الفائدة المهمة من التربية والتعليم تنحصر في سير التعليم وما ينتج عنه من النضج العقلي واما اهمية الذي الذي يدرس فثانوية في نظر اصحاب هذه الفكرة الجديدة . ول هذه النظرية اشكال عديدة وانما تتفق كلها على النقطة الجوهرية الآتية وهي ان العمل الفكري — اذا احسن انتخابه — يولد ملكة او قوة عقلية تفوق باهميتها القوة والنشاط اللذين يصرفهما المرء في سبيل توليدها . وهذه الملكة الجديدة صالحة للاستعمال في مواضيع وابحاث جديدة قد لا يكون لها علاقة بالموضوع الذي انتجها . ويقول اتباع هذه النظرية الجديدة ان اتقان فرع او فرعين بصورة حسنة يكفي ولا حاجة للتوسع في بقية الفروع والمباحث لان القوى العقلية التي تنمو بانقان هذين الموضوعين — تتمكن من سبر غور بقية الابحاث بسهولة ونجاح . وهكذا برر اصحاب هذه النظرية وجود اللغات القديمة في مناهج المدارس وقالوا انها تفيد الطالب لانها تولد فيه ملكة تساعد على القيام ببقية الامور العقلية كما ان التوسع في درس المنطق والجدل والرياضيات يولد في العقل قوة المحاكاة الصحيحة التي تساعد في بقية الاعمال العقلية وكذلك درس اللغات والآداب القديمة ينمي قوتي الحافظة والذاكرة وان لم يكن للآداب فائدة حيوية محسوسة .

العوامل التي أدت الى نشوء هذه الفكرة

نجد اذا دققنا في هذه النظرية انها عبارة عن انتعاش فكرة الفلسفة المدرسية الظاهرة الجامدة ليس غير . وهناك عوامل كثيرة أدت الى نشوء هذه الفكرة ولقد ذكرنا في اول البحث بعض هذه العوامل والآن نتقدم الى ذكر بقية الاسباب المهمة التي عملت على اعادة تلك الفكرة القديمة بهذا الشكل الجديد :

وجد المحافظون الرجعيون في هذه النظرية سلاحاً يمكنون به من خاصة اصحاب التربية الواقعية التي حصرت الاهمية كما ذكرنا آنفاً في الشيء المقصود بتدريسه واحملت الاسلوب والطريقة وكذلك نجد ان الكنيسة المسيحية التي نظرت الى التربية كترويض خلقي (١) والتي نظرت الى اعمال ييكن وديكارت بنفور وازدراء قابلت هذه الفكرة بماء السرور والارتياح وعضدتها واستخدمتها كسلاح اتوطيد نفوذها . وكذلك صادقت هذه النظرية اقبالا عظيماً من قبل اتباع ارسطو ومنطقه والمعتقدين بعلم النفس القديم الذي يقضي بوجوب تدريب قوى العقل واجهادها بدروس جامدة صعبة — كاللاتينية مثلاً — فترى ان هذه العوامل العديدة ناصرت هذه الفكرة الجديدة بشكلها والقديمة بمنشأها واكسبتها قوة قاومت بها الهجمات العنيفة التي وجهت اليها والتي لاتزال توجه اليها في وقتنا الحاضر .

آراء العلماء المعاصرين في هذه النظرية

اليك ما قاله الكاتب فوييه (Fouillé) انتصاراً لهذه النظرية وسنداً له بعد ذلك رد الاستاذ هاكسلي المعارض للنظرية في آرائه . قال فوييه : (يقترح الاستاذ هاكسلي ان نجعل العلوم الطبيعية اساساً للتربية والتعليم وكذلك يندفع سبنسر مع التيار العصري الذي يميل الى العلوم الطبيعية ويقول بان العلوم الطبيعية هي وحدها

(١) راجع ص ٦٣ من هذا الكتاب

المفيدة في الحياة العملية واما انا فاعتقد ان هذه العلوم — كالشعر — لا تأتي من درس اصولها وقواعدها فقط . فلا يتمكن كل من درس الشعر ان يكون كـفـرجـيل وراسين وكذلك لا يربى رجل العلم بدرس هذه العلوم لان العلوم الحقيقية — كالشعر — نتيجة الاختراع . فاذا درسنا اصول العلوم الطبيعية فانا نتوصل الى معرفة صنع السكك الحديدية والقطار البخاري ولكن الذي اخترع هذا القطار لم يتوصل الى اختراعه بدرس العلوم ولكن بمقدرته العقلية وقوته الفكرية ، وهذه القوى لا تتولد بتعلم طرق العلم الحديث وانما تنشأ بتنمية قوى العقل وملكاته وتدريبها . وهذه يجب ان تكون الغاية من التربية والتعليم .

فاجاب الاستاذ هاكسلي في كتابه « التربية والعلم » بجواب تهكمي يتجلى فيه عداؤه لنظرية الترويض العقلي التي ناصرها فوبيه : « يدعون ان العلوم الطبيعية لا تصلح لتدريب قوى العقل ولا تقوم بذلك الواجب كما تقوم به اللغات القديمة وآدابها فاجيب على ذلك انه بوسعي ان ادرس الطالب في السنة الاولى من التعليم الابتدائي الحيوانات القديمة المتحجرة فادرب قوة الحفظ فيه وتأكدوا ان هذا العلم يأتي بنفس النتيجة التي تنشأ من درس اللغات القديمة وآدابها ولكن اذا دخل الصف اختصاصي بهذا العلم (اي علم المتحجرات Fossils) فانه يسخر من الطلاب كما يسخر شيشرون من طلاب هذا القرن اذا سمعهم يتشدقون بتصانده الخالدة » .

محاسن نظرية الترويض العقلي ومساوئها

ذكرنا آنفاً ان نظرية الترويض العقلي تقول ان القوة العقلية التي تنمو من اجهاد العقل في موضوع ما — صالحة للاستعمال في تنمية المواضيع فاذا شحذت « فأس » العقل فهي صالحة لقطع جميع انواع الحشب واذا دربت « مضلات » الفكر فهي قادرة على نقل جميع الاحمال والاثقال . ولقد كانت هذه النظرية — ولا تزال — موضوعاً للبحث يتناقش فيه علماء النفس والتربية فنقسم يسلم بها وقسم آخر يتحامل عليها ولذلك رأينا

من المناسب ان ننظر فيها نظرة انتقادية فنورد محاسنها ومساوئها كما دونتها كتب التربية والتعليم .

واليك اهم الانتقادات التي وجهها المعارضون لهذه النظرية :

(١) قال المعارضون ان هذه النظرية مبنية على مبادئ علم النفس القديم الذي يقسم العقل الى قوى عديدة كقوة الاطلاع وقوة الحفظ والذكر وقوة الحكم والمحكمة الخ ... فتقول النظرية ان تدريب قوة من هذه القوى باجهادها بدرس من الدروس يجعلها قادرة على طرق بقية المواضيع المختلفة فالرياضيات مثلاً تدرب قوة المحكمة واللغات وآدابها تدرب قوة الحفظ والذكر، ولكن علم النفس القديم لم يعلم بان تدريب قوة المحكمة يعني ايضاً قوة الاطلاع . واما علم النفس الحديث فانه ينظر الى العقل كوحدة لا تتجزأ فهو يعمل ككتلة واحدة وتدريب قوة من هذه القوى يؤثر على نمو بقية القوى ايضاً ولا يتصور علماء النفس في وقتنا الحاضر قوة من هذه القوى منفردة عن بقية القوى او بالاحرى عن العقل الذي يتشكل منها .

(٢) ان الانتقاد الثاني الذي وجه الى هذه النظرية هو انها لم تنشأ على اساس علمي وانما تطورت لتبرير وجود دروس جامدة غير عملية في مناهج الدروس ليس غير . وكذلك يدعي اعداء هذه النظرية ان التجربة والاختبار لا يثبتان صدقها فكثيرون من الناس يكونون اقوياء في المحاكات الرياضية ولكنهم قد يكونون ضعفاء المحكمة في الجدل والمنطق مثلاً .

وبالاختصار لانكون من المغالين اذا قلنا ان اكثر العلماء في وقتنا الحاضر لا يسلمون بصحة هذه النظرية كما وردت في نصها التايخي القديم على ان قسماً منهم يسلم بصدقها بعد ادخال بعض التعديلات عليها ويضع النظرية كما يأتي : « ان الملكة العقلية الناشئة من اجهاد الفكر في موضوع ما — تصلح للاستعمال في موضوع آخر وانما يتوقف ذلك على درجة الشبه بين الموضوعين فكلما كان الشبه شديداً بين الموضوعين كان صدق هذه النظرية واضحاً ومحسوساً »

(٣) والانتقاد الثالث والاعم هو انه اذا سلمنا جدلاً بان هذه النظرية بشكلها

التاريخي صحيحة فهي مضرّة من حيث كونها طويلة ومضیعة للوقت وغير عملية فاذا كان درس الآداب القديمة يعني قوة الحفظ فان هذه الفائدة لا تعادل الوقت الثمين الذي يصرفه الطفل في سبيل تحصيل هذه الآداب الميتة التي لا علاقة لها بالمحيط الحيوي العملي .

جون لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) Locke

والان بعد ان قدمنا كلمة اجمالية عن نظرية الترويض العقلي نتقدم الى البحث عن واضع هذه النظرية في شكلها التاريخي القديم الا وهو الفيلسوف الانكليزي جون لوك . لهذا العالم الكبير آراء فلسفية مهمة لا يسمح لنا ضيق المقام بذكرها وانما يرى الباحث المدقق في هذه الآراء ان العقل كان رائده ومسيره الاكبر كما ان حب الحقيقة كان هدفه الاسمي ، فن اقوال لوك « ان ادراك الحقيقة غاية الانسان ولا يتمكن المرء من الوصول الى هذه الحقيقة الا بالعقل ، ولا يصل العقل الى فهم الحقيقة الا اذا درب تدريباً شديداً قاسياً » وعلى هذا الاساس توصل لوك الى وضع الفكرة الترويضية في التربية والتعليم .

قسم لوك التربية الى ثلاثة اقسام : التربية الجسمية والتربية الخلقية والتربية الفكرية وقال ان الغاية من التربية باقسامها الثلاثة هي الصحة والفضيلة والمعرفة الا انه جعل صحة الجسم اساساً تبني عليه التربية ولا تقوم بدونه ثم تأتي الفضيلة بعد ذلك واخيراً الحكمة والمعرفة وسند كر آراءه في كل من هذه الاقسام الثلاثة :

آراء لوك في التربية الجسمية

« العقل السليم في الجسم السليم » بهذا القول المأثور افتتح لوك كتابه « الافكار » وقد كرس فصولاً عديدة منه للتربية الجسمية فطالب بان تكون ملابس الاطفال خفيفة وواسعة ، وان يكون فراشهم خشناً قاسياً ، وان يكون طعامهم بسيطاً ، وطالب بتعريضهم للهواء الطلق وحرارة الشمس كي يعتادوا تحمل المشاق ، وخصوصاً اشار بوجود

تعويد الاطفال الاستحمام بالماء البارد حتى لا تؤثر الرطوبة في اجسامهم . وبالأحسان
حض على التربية الجسمية الشديدة القاسية وهنا ايضا تتجلى لنا مبادئه الترويضية في
التربية .

moral

آراء لوك في التربية الخلقية

من اهم الاراء التي جاء بها لوك تمييزه بين التربية والتعليم فقال ان التعليم يرمي
عادة الى تسمية القوى العقلية وهذا ثانوي في نظره واما الغاية الحقيقية في المدارس
فهي التربية التي ترمي الى تنمية الحُصَال والاخلاق الشريفة اولا وبعد ذلك ترمي الى
اعطاء المعارف واكتساب المعلومات . واليك كلام لوك بنصه : « الفضيلة هي الهدف
الاعلى في التربية، وتولدها في نفوس النشء من الامور الصعبة والمهمة، وبقية الغايات
ثانوية اذا قيست بالفضيلة . » وتتجلى لنا نزعة لوك الترويضية القاسية اذا نظرنا في
الطرق التي اشار باتباعها في توليد الفضيلة وغرس الاخلاق السامية . قال لوك : « كما
ان قوة الجسم تأتي بتعويده تحمل المشاق فكذلك الفضيلة لا تأتي الا بترويض
النفس ترويضاً قاسياً اي بتعويد المرء قهر شهواته وميوله ووضعها تحت سيطرة
العقل . ولا تنشأ هذه القوة اي السيطرة على الشهوات والميول النفسية — الا
بتدريب الطفل منذ الصغر . فلو سئلت عن رأيي بهذا الصدد لقلت ان الواجب يقتضي
علينا ان لا نراعي رغبة الطفل وانما ينبغي ان نقهر ميوله وشهواته وهو في المهد ولا
نعطيه الشيء لانه يريد . ولكن لانه يجب عليه ذلك . »

وقال لوك في مكان آخر : « بما ان منشأ الخوف لدى الاطفال هو الالم فينبغي ان
نعوِّدهم تحمل الالم فتنشأ لديهم ملكة الازدراء بالالم وهذه تكسبهم قوة لها اثر
الكبير في تنمية الشجاعة والعزم في المستقبل . »

intellectual

آراء لوك في التربية الفكرية

قال لوك : « التعليم ضروري ولكنه يأتي بعد غرس الصفات الحميدة اي انه ثانوي
وقليل الاهمية اذا قيس بالفضيلة . » من هذا القول فتحقق انه نظر الى التربية الفكرية

كتمهة للتربية الخلقية. ومن اشهر اقواله في التربية الفكرية ان الغاية من العلوم تدريب العقل وتعويده التفكير الصحيح وذلك يكون بدرس الرياضيات لانها الوسطة المهمة في ترويض الذهن. واليك نص آراء لوك بهذه الصدد : « لا شيء يدرّب العقل ويظهر مقدّراته كدروس الرياضيات ولذلك يجب ان يفرض درسها على من يستطيع ذلك. وليست الغاية من هذه الدروس ان نعد رياضيين بارعين، لكنها سلاحنا الاكبر في اعداد رجال مفكرين عاقلين يتمكنون من استعمال محاضراتهم الصحيحة في كافة المواضيع »

التربية الترويضية في المدارس

سيطرت روح التربية الترويضية خلال القرون الثلاثة الاخيرة على المعاهد التهذيبية وخصوصاً في مدارس انكلترا والمانيا وبقي منهاج الدراسة محتوياً على كثير من الدروس الجامدة التي لا فائدة لها في الحياة العملية وكذلك بقيت الشدة والقسوة في المدارس (١) بالرغم من اقوال المصلحين الذين سندس مبادئهم في الفصول المقبلة

(١) يذكر مؤرخو التربية الاحصاء الاتي ليأخذ الطلاب فكرة عن الدرجة التي وصل اليها المربون في استعمال العقوبات البدنية خلال القرون الاخيرة وقد وضع المعلم الالماني هوبرل (Hauberle) الذي عاش في القرن الثامن عشر احصاء للعقوبات التي اترلها بطلابه فقال متباهياً : « اشغلت بصناعة التعليم خمسين سنة وسبعة اشهر واليك عدد الجلادات واللطات والكلمات التي ذاقها مني طلابي خلال تلك المدة :

٩١١٠٥٢٧ ضربة بالعصا

١٣٤٠١٠ بقبض من حديد

٢٠٠٩٨٩ بالمسطرة

١٣٦٠٧١٥ لطمة بالكف

١٠٠٣٣٥ » » على الفم

٧٠٩٠٥ لكمة بقبضة اليد على الاذن

١٠١١٥٠٨٠٠ لطمة على الرأس

٢٢٠٧٦٣ ضربة بالكتاب المقدس وبكتب الغراماطيق والغناء

ولقد استعملت «الفلق» ٧٧٧ مرة واعرف ثلاثة آلاف اصطلاح للتوبيخ ثلثها من وضي واختراعي !..

وبهذه المناسبة نكرر ما قلناه سابقاً وهو ان الاصلاح يكون تدريجياً لذلك لا يجب ان نستغرب ما نجده في مدارس بعض البلدان في عصرنا الحاضر من بقاء سيطرة الروح القديمة الجامدة .

الخلاصة

قضت التطورات الاجتماعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر على الفائدة العملية من التربية الانسانية الضيقة ولكنها بقيت مهيمنة في مناهج المدارس لمناصرة المحافظين من رجال المدارس والكنيسة لها فادى ذلك الى وضع نظرية الترويض العقلي تبريراً لوجود تلك المادة الجامدة وخلاصة هذه النظرية (١) ان قيمة التربية محصورة في سير التعليم والنضج العقلي الذي يرافقه لا في المادة التي يدرسها الطالب (٢) ان الملكة التي تنشأ من اجهاد الفكر في موضوع ما صالحة لان تستعمل في بقية المواضيع . (٣) العقل البشري مركب من قوى مختلفة اهمها المحاكاة والحافظة ولذلك يجب الاهتمام بتدريب هاتين القوتين . وقد كانت هذه النظرية عرضة للانتقاد ولا تزال لآن موضوعاً يتناقش فيه علماء التربية . اشهر المتحدين لهذه النظرية جون لوك الفيلسوف الانكليزي وله آراء مهمة في التربية الجسمية والحلقية والفكرية وقد كان لهذه الآراء أثر كبير في المدارس الانكليزية والالمانية ولا يزال أثرها جلياً في اوجه التربية والتعليم في معاهدنا التهذيبية الحالية .



الفصل الحادي عشر

جان جاك روسو

النزعة الطبيعية في التربية والتعليم (١)

علاقة النزعة الطبيعية بالنهضات السابقة - « عصر النور » الحركة الفكرية في القرن الثامن عشر ونشوء النزعة الطبيعية - جان جاك روسو - حياته - مذهبه في الرجوع الى الطبيعة - كتابه « الاميل » - التربية السليمة - تأويل التربية السليمة - التربية من السنة الاولى الى السنة الخامسة - من السنة (٥ - ١٢) - من السنة (١٢ - ١٥) - من السنة (١٥ - ٢٠) - تربية المرأة - مآثر روسو الخالدة - الرغبة والاجهاد - التربية كتدرج - الطفل هو العامل الايجابي في التربية - روسو يضع حجر الاساس لنهضة القرن التاسع عشر في التربية والتعليم - تأثير النزعة الطبيعية في المدارس - في فرنسا - في انكلترا - في المانيا - الخلاصة .

علاقة النزعة الطبيعية بالنهضات السابقة

رأينا في الفصول السابقة ان النهضة الاوروبية الكبرى ادت الى نشوء فكرة ضيقة في التربية والتعليم . وذكرنا ايضاً ان هذه الفكرة التي كانت ترمي الى دراسة الكتب والاعتناء بالاشكال والظواهر — بقيت مسيطرة على المعاهد التهذيبية بالرغم من

(١) يقابل هذا الاصطلاح في اللغة الانكليزية The Naturalistic Tendency in Education

الهجمات العنيفة التي وجهها المربون الواقعيون وسواهم وسنرى في هذا الفصل كيف ان النزعة الطبيعية لم تكن سوى ثورة فكرية جديدة ، غايتها تحطيم تلك الفكرة الجامدة التي ولدتها النهضة ، ووضع اساس جديد لمبادئ التربية والتعليم . ويعتقد الاستاذ مونرو ان نتائج النزعة الطبيعية لا تقل اهمية عن نتائج النهضة الاوروبية . ولا بد لنا من نظرة عامة في الاحوال الاجتماعية والفكرية في اثناء القرن الثامن عشر حتى ندرك كنه النزعة الطبيعية ومعناها الحقيقي .

يحد الناظر الى الحياة الاجتماعية في اوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر انها كانت تعنى بالمظاهر الخارجية الخلابة فبرى زهواً ورخاء ورغداً ولكنه يجد اذا دقق ان هذه السعادة الظاهرية محصورة بفئة من الشعب واما البقية وهي الاكثرية فانها كانت تنئن تحت نير الظلم والعسف وتشكو آلام الفقر والجوع . يجد باريس حافلة بالسكان ، عليها مظاهر البذخ والسعة والرخاء ، ولكنها توصلت الى ذلك ازهو بهضم حقوق بتيمة المقاطعات . يشاهد تهتك الملوك والاشراف الذين يكتسبون رضى الكنيسة بتعذيب من يتجاسر ويستنكر اعمال رجالها وقضاأهم . ينظر الى عاداتهم وآدابهم وتقاليدهم فيجد انها ستار يرتكبون من ورائه المنكرات والقبايح — كل ذلك والطبقة الفقيرة تنظر بعين الرضوخ منتظرة سنوح الفرصة للمطالبة بحقوقها المضومة . وبالاختصار نجد الاستبداد مسيطرأ في السياسة والدين والفكر والعمل ونجد ان القلوب صامتة حاقدة تنتظر قيام قادة حقيقيين لكي تندفع وتحطم تلك القيود الثقيلة التي رضخت تحتها قروناً طويلة .

سحنت الفرص ووجد من يقود الرأي العام فقامت ثورتان : الاولى فكرية ترمي الى كسر قيود الفكر وتعرف «بعصر النور» والثانية وهي متممة للاولى وهي النزعة الطبيعية التي قامت تطالب بحقوق الجماهير وستذكر كلمة عن النهضة الاولى توطئة لكلامنا عن النزعة الطبيعية في التربية والتعليم .

«عصر النور» The Illumination

يطلق هذا الاسم على النهضة الفكرية التي انتشرت في النصف الاول من القرن



الفيلسوف الفرنسي الكبير
جان جاك روسو
(١٧١٢ - ١٧٨٨)



جوهان بازدو

(١٧٢٣ - ١٧٩٠ م)

وهو الذي طبق نظريات روسو عملياً في ألمانيا

راجع ص ١٧٧



This chief changes

Cutbury - PB. 532 ing -
30 - 1

Crick

Crick - ch. XVI - p. ²³⁹⁻²⁷²_{240, 458,}

الثامن عشر وتشمل هذه الحركة عدداً من الفلاسفة والكتاب في المانيا وفرنسا وانكلترا وقد كانت من جملة العوامل المهيضة لنهضة روسو الطبيعية
 تار قادة الحركة الجديدة على التقديم وقالوا بوجوب تحكيم العقل فقط ووجهوا
 النقد المر الى الكنيسة والملكية واشهر قادة هذه الحركة فولتير الفرنسي (Voltaire)
 (١٦٩٤ — ١٧٧٨) ومن الاراء التي جاء بها فولتير واتباعه ان الطبقات المنحطة لا
 تصلح للتربية والتعليم وانها في مستوى اجتماعي يمتاز قليلا عن مستوى المتوحشين
 ولذلك فهي لا تتمكن من تحكيم العقل ، والدين ضروري لها ، واما الطبقة العالية
 الراقية فهي وحدها صالحة للحياة العقلية وهي في غنى عن الديانة . فترى مما تقدم ان
 نهضة فولتير واتباعه كانت ارسوقراطية في حين ان النزعة الطبيعية التي قام بها روسو
 كانت ديمقراطية واذا قارنا بين فولتير وروسو نجد ان الاول حكم العقل وخطب
 الاقلية المنورة واما الثاني فقد حكم العاطفة وخطب الجماهير الفتيرة وطالب بحقوقها
 الطبيعية .

جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨)

ان النزعة الطبيعية الديموقراطية بروحها لمدينة بانتشارها وتعميمها الى واضعها
 الفيلسوف الفرنسي الكبير جان جاك روسو . . ولهم الاراء التي جاءنا بها هذا المربي
 يجب ان نطرح جانباً ذلك التحامل الذي وجهه اليه اعداؤه وبنبغي ان ننظر بعين
 الانصاف الى رجل « ظل اربعين سنة يعالج الفقر والفقر يقعده ويترك ابواب
 التعليم والموسيقى وخدمة الحكومات المختلفة من غير نجاح او توفيق اذ به نطق في
 اول خطاب القاء بكلمة كانت تتردد في الصدور وتقف في الحناجر . تلك الكلمة
 هي القيامة في وجه الترف . ونطق بها صريحة قوية مرعبة حتى اهتزت لها عروش
 الاغنياء والمترفين هزة عنيفة بعدما كانت قد واجهت غيرها من الصيحات العنيفة
 بشيء ذير قليل من الثبات والطمأنينة . وعقب على كلمته هذه بكلمة في المساواة طعن
 فيها نظام ذلك العصر ونادى : ان الملكية الخاصة والترف والامعان في الشهوات هي

سبب كل التعاسات المكدسة التي تقع على رؤوس ملايين الفقراء والتي يحتملها الشعب لما طال إيهامه أنها اصلح الانظمة للوجود الاجتماعي . وانه لا سبيل لتخلص تلك الاغلبية من هذا الشقاء الا بعودة الانسانية الى حالها الطبيعية .

هذه هي الفكرة القائدة في كتب روسو كلها . وعلى اساسها وجه النقد المر لما اعتقده خروجاً على الطبيعة من علوم وفنون وملاذ وسوء تربية الناشئة وتحكم الاستبداد في رقاب البشر . وعلى اساسها كذلك وضع قواعد الاصلاح التي اعتقد وجوب الاخذ بها لاسعاد الانسانية . على ان فكرته في الاصلاح لم تكن فكرة تدريجية تبدأ عند الانظمة الحاضرة وتدعى لتحويرها رويداً رويداً في اتجاه معين ولكنها كانت فكرة متطرفة ثورية ترمي الى هدم نظام واقامة نظام جديد على انقاضه ويجب ان يقوم هذا النظام الجديد على مقتضى الهام الطبيعة ووحيا . والعيش على مقتضى الهام الطبيعي هو هذا العيش البسيط الذي كان الناس يعيشونه حين كانوا يزلون قبائل لا تعرف الملكية ولا تندس بينهم الفوارق الاجتماعية .

اتهدم نظم التربية اذن من اساسها ليحل محلها نظام طبيعي قائم على فكرة استقلال الفرد في حكم البساطة الطبيعية . ولتهدم النظم السياسية المبنية على اساس من الاثرة والتحكم والاستبداد ولتكن الفطرة الطبيعية هي القائد المرشد في كل حال « (١) »

هذه هي الفكرة الاساسية التي جاء بها روسو والتي كان لها الاثر الاكبر في الحياة الاجتماعية والسياسية والتهديبية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حتى ان نابليون قال مبالغاً : «لولا روسو لما اشتعلت نيران الثورة الفرنسية» وسواء أسلمنا بصحة هذا القول الذي لا يخلو من المبالغة ام لا ، فلا ريب في ان الفضل الاكبر في النهضة التهديبية الحديثة يعود الى جان جاك روسو ، ومنه استمد بقية المربين آراءهم كما سنرى في الفصول المقبلة

ولد روسو بمدينة جنيف المشهورة بنشاطها الفكري والخلقي وهي كما نذكر من دروس التاريخ مركز الاصلاح (الكالفييني) ونشأ في ذلك المحيط النقي الصافي البعيد

(١) الدكتور محمد حسين هيكل «جان جاك روسو» المقدمة ص (ز)

عن التكلف والترف والحلاعة ومنه استمد عناصر قانونه الطبيعي والى تلك المدينة الجميلة اهدى كتابه « منشأ عدم المساواة بين البشر » المحتوي على فكرة الرجوع الى الطبيعة . والمؤسف انه ما كاد ينتشر هذا الكتاب حتى اصدرت مدينة جنيف الامر باحراق النسخ المنتشرة وهددت من يقتنيه باشد العقوبات

شغف روسو منذ صغر سنه بقراءة القصص فقرأ عدداً كبيراً منها . وسيرة روسو من اغرب السير التي رواها التاريخ فهو رجل رقيق الشعور شديد الاندفاع مع شهواته وميوله . وحياته كما يرويها لنا في « اعترافاته » طافحة بالفضائح فيوماً تراه عاملاً في معمل ساعاتي واذا به ترك العمل وتشرد في البراري والقفار وعاش عيشة المتسولين ، ثم تراه وقد الف عصاة لقطع السابلة وسرقة الناس ، وكان كثير التجول والتنقل فحيناً تراه خادماً في بيوت اشراف باريس ، ثم تراه مال الى دراسة الموسيقى والتأليف في ذلك الفن ، ثم لا يلبث ان يهمل الموسيقى ويشغل بالآداب والتعميل فاذا لم يجد تشجيعاً وموازرة تركها واشتغل بالسياسة او انقطع الى التأليف الاجتماعية والتهديبية . وحياته روسو الخصوصية تمثل لنا استسلامه لميوله وشهواته فقد كان مثال التهلك والطيش والحلاعة واذا سملنا بصحة ما يرويهِ روسو عن نفسه في اعترافاته التي طبعت بعد موته لتجلى لنا روسو باقبح مظاهر الضعف والاندفاع مع تيار الشهوات الحيوانية فيعترف روسو سلم اولاده الخمسة الى ملجأ اللقطاء تخلصاً منهم ، ويسهب في وصف علاقاته الخصوصية مع خلياته ، ويظهر امامنا بمظهر المفرط المغرق في الاستسلام والانقياد للشهوات . لا يساعد المقام على التوسع في حياة روسو الغريبة ولذلك نتقدم الى ذكر آرائه التهديبية .

اشهر كتب روسو كتابان : « العقد الاجتماعي » و « الاميل » وله عدا هذين الكتابين كتب اخرى عديدة في الادب والاجتماع وله عدة روايات تمثيلية . وسنبحت اولاً في قانونه الطبيعي وبعد ذلك نحلل آراءه التهديبية كما وردت في كتابه اميل .

« القانون الطبيعي »

عثر روسو عام ١٧٤٩ على مسألة طرحها اكااديمية مدينة ديجون لتكون موضوعاً

يتسابق فيه من يطمع بنيل جائزتها السنوية والاقتراح هو الاجابة على السؤال الاتي :
 « هل افسدت النهضة العلمية الضنية الاخلاق ام اصلحتها ؟ » ولقد اجاب روسو على هذا
 السؤال ونال الجائزة الاولى واليك نص جوابه المشتمل على قانونه الطبيعي الجديد :
 « العلوم والفنون مفسد للاخلاق وائر من آثار نقائص بني الانسان ونتيجة لكبريائهم
 الفارغة وانما جاء شقاؤهم بسببها وحين خرجوا من جهالتهم الطبيعية . ولولاها ولولا ما
 جاءت به من الثروة وما انتجته الثروة من عدم المساواة ، لما كان الشقاء الذي يتمرغ فيه
 الالوف من البشر . فاذا اراد الناس السعادة فليرجعوا الى جنان الطبيعة » (١)

والذي لا ريب فيه ان ابن الطبيعة الذي يدعو اليه روسو ويضربه مثلاً اعلى
 للانسان انما هو روسو الفطري الشهواني الاناني الضعيف العاجز عن ان يتبع قانوناً
 سوى ما يوحي له به قلبه من الالهام الوقتي . وقد استشهد روسو اثباتاً لقانونه الجديد
 بالحوادث التاريخية وادلته هذه ضعيفة واهنة اذا جردت عن ثوبها العاطفي القشيب
 فيقول ان الائم التاريخية العظيمة لم تسقط في حمأة الدعارة ومساوي الاخلاق الا
 بعد ان ترقق فيها العلوم والفنون ولو بقيت على حالتها الطبيعية الساذجة لنتجت من
 هذه المساوي والمفاسد .

ولقد ذاع صيت روسو عقب ظهور هذه المقالة فاصبح يشار اليه بالبنان وسنة
 ١٧٥٣ وجهت اكااديمية ديجون سوآلاً آخر وضعته في المناقشة وهو « ما هو منشأ
 عدم المساواة بين الناس وهل يقرها القانون الطبيعي ؟ » فتصدى جان جاك للرد على
 هذا السؤال وبحث في القانون الطبيعي من الوجهة السياسية وكتب رسالة دعاها
 « منشأ عدم التساوي بين البشر » ودون فيها وصفاً دقيقاً لحياة الهيئة الاجتماعية الاولى
 قبل المدنية وقال ان الناس كانوا على جانب عظيم من السعادة لما كانوا في تلك
 الحالة الطبيعية الاولى ولوان السعادة كتبت للناس لما تركوا تلك المرتبة الاولى وما فيها من
 نعمة المساواة وعدم التنافس . وبعد ذلك دون نفس الفكرة في كتابه « العقد الاجتماعي

واما تطبيق قانونه الطبيعي في التربية والتعليم فقد كرس له كتاباً خاصاً يعرف « بالاميل » .

لا بد لنا من كلمة عن كتاب روسو « العقد الاجتماعي » قبل ان نتقدم للبحث عن كتابه في التربية (الاميل) . يحتوي (العقد الاجتماعي) على المبادئ الاساسية التي طالب بها الافرنسيون والاميركيون في نورثهم ويعد هذا الكتاب اهم ما كتبه روسو في المواضيع السياسية واليك الفكرة الجوهرية التي يرتكز عليها العقد الاجتماعي قال روسو : (ان الحكومة هي نتيجة عقد بين فئتين من الشعب، يمنح احدهما سلطة الحكم ويفرض على الاخرى بعض الخدمات لقاء خدمات الفئة الاولى . فالحكومة اتفاق ويجوز نقضه متى اختلف المتعاقدان) . وكما ان كتاب العقد الاجتماعي يحتوي على جرائم القانون الاساسي الاميركي والافرنسي فسرى كيف ان كتاب (الاميل) يحتوي على الافكار والمبادئ الجديدة التي شيدت عليها حدائق الاطفال والمدارس الابتدائية والتي بثت روحاً جديدة في فكرة التربية الحديثة .

« الاميل » والتربية بمقتضى الطبيعة

(الانسان طيب بفطرته وانما افسده الاجتماع الذي غشى على تلك الفطرة بما اوغل فيه من صور الحضارة وبابتعاده عن الحال الطبيعية وامعانه في ذلك » تلك هي فكرة روسو ولكن ما هي وسيلة روسو لاصلاح ذلك المجتمع ؟ وضع كتاب العقد الاجتماعي فوضع اسس الاصلاح السياسي والث كتاب (الاميل) فشيّد اركان التربية الحديثة .

استهل روسو كتابه الاميل بعبارة المأثورة : (يخرج كل شيء حسناً من بين يدي مبدع الكائنات ثم يتسرب اليه النقص والفساد عندما تتداوله يد الانسان) .

التربية الجسمية

قال روسو يجب ان تكون التربية الاولى تربية سليمة وليست هذه التربية ان يعلم

الطفل الفضيلة او الحق ، ولكن ان يحمي قلبه من الرذيلة وعقله من الباطل . ولو اذك استطعت ان لا تصنع شيئاً وان لا تدع شيئاً يصنع حول تلميذك وكفاك ان سرت به سليماً معافى قوياً حتى اذا به في الثانية عشرة من عمره ولا يكاد يميز اليد اليمنى من اليد اليسرى اذن لتفتحت عيون بصيرته للحق من اول دروسك ولما عاقت عادة او عتيقة ملقته عنايتك عن ان تبلغ غايتها . ثم اذك انتباه بعد ذلك احكم الناس وترى ان بدأك تربيته بان لا تضع شيئاً ادى الى معجزة من معجزات التربية) . هذه هي فكرة روسو في التربية السلبية وقد دقق بتطبيقها فيما يتعلق بتعليم الطفل وتقويم خلقه فقال ! « لا تلق على الطالب اي نوع من الدروس اللفظية اذ يجب ان يستفيد من التجارب ولا تنزل به اية عقوبة لانه لا يدرك معنى الخطأ ولا تطالبه ان يستميتك عفواً فهو لا يتصور اهانتك له . وما دام لا يعرف اي مقياس خلقي لاعماله فهو لا يستطيع ان يأتي بسلسلة خلقية تستحق الجزاء والتوبيخ (١) »

وقد حرص روسو على تطبيق الفكرة السلبية في ميدان الاخلاق فهو « لا يريد ان يلقي على الطفل شيئاً باسم الواجب ولا ان يعلمه شيئاً باسم الحق ولا ان يتدخل معه في استنتاجه فضرر التدخل اكثر من نفعه ويرى من الواجب ان يطيع الطفل ارادة ابيه او مربيه وان يخضع لها خضوعه لاي قوة من قوى الطبيعة القاهرة » وقال روسو بوجوب تعويد الطفل الاخلاق والعادات الحسنة بطريقة سلبية « فاذا طلبت منه ان يرتدي ملابس للخروج الى التزهة وتأخر في لبسها فدعه في البيت ولا تخرجه برفقتك . واذا كسر زجاج النافذة فدعه يتألم من البرد ، واذا خالفك وخرج تحت المطر وتبالت ثيابه فدعه يمرض ويحرم من التزهة . واذا كلفته بعمل وتقايس عن القيام به فاحرمه من الطعام الى ان يقوم بذلك العمل . وبالاختصار دع الطبيعة تربي الطفل طبق قوانينها وانواميسها » .

وكذلك اعتنى روسو بتطبيق مبدأ التربية السلبية في ميدان الفكر فصرح بعدم

(١) راجع الجزء الثاني من كتاب هيكل « جان جاك روسو »

وجوب الاهتمام بتربية الطفل الفكرة قبل بلوغه السنة الثانية عشرة فلا يستحسن تدريسه على التفكير ولا على القراءة والكتابة . ومن اقواله المشهورة في هذا الصدد قوله « دور الطفولة طور تمام فيه قوة التفكير » .

وقد اهتم روسو ايضاً بتطبيق فكرة التربية السلبية في تربية اميل الجسمية فقال « يوضع الانسان عندما يولد في القباط ويوم يموت تقفل عليه اخشاب النعش وهو بين هذين اليومين مقيد بانظمتنا وان ظهر بالمظهر الانساني . وليس من شأن القباط وما اليه من الاربطة الا ان يعيق جري الدم وان يضعف الطفل ويمنعه من النمو ويغير كيانه . وهذا كله يؤثر تأثيراً مباشراً على طبائع الطفل واخلاقه . ولو انه ترك وشأنه وترك له من حرية الجسم ما يشجعه على الحركة لما نمواً طبيعياً صحيحاً معقولاً ولنمت غرائزه الطيبة مع نمو جسمه ثم لما احتاج الى طبيب مدى حياته » وقال روسو في مكان آخر : « يجب الاهتمام بجعل طعام الطفل بسيطاً وملابسه صحية ولا يجب تعاطي الادوية والعقاقير الطبية بل يجب ترك الطبيعة وشأنها والاستسلام لمشيئتها »

التربية من السنة الاولى الى السنة الخامسة

قال روسو ان الاب هو المعلم الطبيعي كما ان الام هي المربية الطبيعية وهذان المريان مكلفان بتربيته في اثناء هذه المدة وخصص روسو وجوب الاعتناء بالتربية الجسمية في الدور الاول من الطفولة فنصح بالاكثر من التزه خارج المنزل وبتسليّة الاطفال بالالعاب والتمارين المفيدة ونهى عن معاقبة الاطفال في تلك السن لانهم لا يدركون معنى العقاب وسببه وقال بوجوب مراعاة الميول الطبيعية وتربيتها وقد بحث روسو في هذا الباب من كتابه « الاميل » الذي تناول التربية من السنة الاولى الى السنة الخامسة عن علاقة التربية الجسمية بالتربية الخلقية فقال : « ان الاخلاق الذميمة لا تنشأ الا من ضعف الجسم ولا يكون الطفل رديء الطباع الا اذا كان ضعيف البنية واذا تحسنت بنيته تحسنت اخلاقه . » تلك هي القوانين التي يجب ان نسير عليها في الطور الاول من الطفولة اي الاهتمام بجسم الطفل وعدم الاعتناء بالتربية الفكرية والخلقية . ومن اقوال

روسو الماثورة عن التربية في هذه المرحلة ما يأتي : « لا تعلم الطفل كلمات لا يحسن استعمالها والا فانك تعودده الكلام من غير تفكير وكذلك تعلمه حسن الكلام لا حسن التفكير . »

التربية من الخامسة الى السنة الثانية عشرة

يعتقد روسو ان هذا الدور اشد ادوار الحياة دقة وخطورة ويجب ان يسير فيه الربى بمقتضى فكرة التربية السلبية وقانون الطبيعة فعوضاً عن اعطاء الطفل — كما هي العادة — افكار ومعلومات قد تؤثر على عقله ، ينبغي ان يترك وان لا يضغط على تفكيره بل على الربى ان يترك الطبيعة تقوم بهذا العمل الخطير لانها تراعى ميوله واستعداداته الفطرية . قال روسو « تطلب الطبيعة من الاطفال ان يكونوا اطفالاً قبل ان يكونوا رجالاً » ليس الطفل في تلك السن بحاجة الى القراءة مع انه قد يلتقط ذلك بطبيعته ومهمة الربى في هذا الدور ان يعنى بحجم الطفل واعضائه وحواسه وقواه ولكن عليه ان لا يمس روحه . وتدريب الحواس يكون بتعرض الطفل لمظاهر الطبيعة وتركه يلبيها كما تدفعه اليها طبيعته لا كما نريد نحن فيجب اذن ان تدعه يقيس ويزن ويمد ويتقابل ويرسم في نفسه الخطوط التي يريدها والنتائج التي يتمكن من ادراكها بنفسه . ولا يتبدى عمل الربى الحقيقي الا بعد ان يناهز الطفل السنة الثانية عشرة من عمره .

التربية من السنة الثانية عشرة الى الخامسة عشرة

قال روسو : « يجب عليك ايها الربى في تربية تلميذك الذي تعدى الثانية عشرة من عمره ان تلهمه الحقائق المحسوسة من غير ان تعلمه اياها وذلك بان تنبه يقظته الى مظاهر الطبيعة حتى تثير عنده الشغف بها ، على انك اذا شئت ان يبق شغفه فلا تقدم له ما يكفيه ويقنعه بل قرب منه المسائل ودع حلها له فلا يجوز ان يعلم شيئاً لانك قلته له وانما يجب ان يعلمه لانه فهمه من تلقاء نفسه . واذن فهو لا يتعلم العلم ولكنه يبدعه . »

على ان من الواجب ارشاده بعض الشيء ، وبعض الشيء فقط وبمقدار لا يشعر هو به . فان اخطأ فدعه يخطئ ولا تسارع الى اصلاح خطئه بل فانتظر مطمئناً حتى يتاح له ان يصحح ما اخطأ فيه او فرتب له فرصة غير محسوسة تجعله يحس بخطئه . ولو انه لم يخطئ ابداً لما اتقن تملأ (١)

الى هذه السن لم يقرأ اميل كتاباً الا كتاب الطبيعة « الذي لا يكذب ابداً » . لكنه اذا بلغ الثانية او الثالثة عشرة من عمره كان في سن تسمح له بالتدبر بعض الشيء ولذا وجب التسامح معه في قراءة بعض الكتب على شريطة ان تكون في متناول علمه وان يستطيع الحكم عليها حكماً صحيحاً .

فاما الكتب التي تتعدى قدرته في الحكم فضارة لانها تفسد نظام تربيته وتخضعه لافكار لم يحصلها هو بنفسه وتجعله لذلك العوبة في يد سواء وتدفع به الى التقليد والى مجازاة الوسط ، من غير تفكير في تقدير ما يجاري غيره فيه اعتماداً على ان هذا الغير اكثر منه مقدرة واوفى علماً . والطفل اذا اتجه الى هذه الناحية فقد ذاتيته وضاع كل مجهود انفق في تكوينه وتربيته وصار مغرماً صالحاً لكل مفساد الاجتماع .

ولا يسمح روسو للاطفال في هذه السن بقراءة حكايات لافونتين الشاعر القصصي المشهور La Fontaine . وقد يتوهم بعض المربين ان هذه الاقاصيص هي ببساطتها وبسوقها على لسان الحيوانات وبلا افكار والحكم التي تحتويها خير ما يصلح لرياضة عقل الطفل لجاذبيتها ولطرافتها ولجمالها . ولكن روسو يعارض هؤلاء وينقد اقاصيص لافونتين ويهكم عليها تهكماً لاذعاً فيتناول قصيدة الغراب والشعوب ويظهر ما فيها من صعوبات تجعل دراستها مستحيلة في هذه السن . وقد اباح روسو لتلميذه في هذه السن مطالعة كتب التاريخ مفضلاً منها ما كان قاصراً على تراجم الافراد وسمح له بتعلم صناعة يدوية حتى اذا قعد به الزمن كانت له معيناً على الزمن .

التربية من السنة الخامسة عشرة الى العشرين

الى هذه السن اي الى السنة الخامسة عشرة لم يلقن اميل شيئاً من قواعد الخلق ولا عني استاذة بتأديبه بل تركه للطبيعة يتأثر بمظاهرها . تعليم اميل قبل تلك السن لنفسه وب نفسه والآن يجب ان يعد اميل للاشتراك في الهيئة الاجتماعية وللدخول في معترك الحياة . ولا شك ان اهمال تربية اميل الخلقية في دور الطفولة يدعوا الى الاعتراض ، وكثير من معاصري روسو وجهوا اليه سهام النقد المر لتزككه فتاه بلا تأديب خاقي حتى هذه السن المتقدمة فاذا ترك الطفل وشأنه نمت فيه اثرته فاصبح من المتعذر التغلب عليها لما احاط بها من مستلزمات الغرور والكبرياء والجشع وما تدعو اليه هذه الصفات من الكذب والتناق والادعاء الفارغ .

فرد عليهم روسو قائلاً : « ان تلميذي ليس كسلا ميذ كم . انظروا اليه في هذه السن تروا انه لم يشعر بشيء ولم يكذب في شيء مطلقاً . فهو لم يقل لاحد قبل ان يعرف معنى الحب — اني احبك — هو لم يتعود تسكف مظهر خاص حين الدخول في غرفة ابيه او امه او معلمه المريض وهو لا يعرف فن التظاهر بالحزن حين لا حزن عنده . وهو لم يتظاهر بالبكاء لموت احد لانه لم يعرف بعد ما هو الموت . وانما تترجم سكينه طباعة عن سكينه قلبه . وهو لا يهتم لاحد لانه لا يعنى بشيء الا بنفسه شأن الاطفال جميعاً (١) » .

لم يقف اذن اميل للآن على قواعد الخلق والدين وربما لم يسمع بعد بالله او بالدين فما هي الطريقة لادخال هذه القواعد الى نفسه ؟

يعتقد روسو ان الاساس المتين لهذه القواعد الخلقية هو الشفقة والكرم . والشفقة عند روسو عاطفة طبيعية لان اساسها الالم . يكفي ان يعرف الطفل ان امثاله يتألمون كما يتألم وان لهم آلاماً خاصة بهم ليعلم انهم جديرون بالعطف والرحمة . فاذا

تعهد المربي هذا الاحساس الطبيعي في نفس الطفل بان عرض عليه مواضع الاشفاق وكان له القدوة الحسنة واشترك معه في مؤاساة المكولم والعطف على البائس وابعده عما يمت هذا الشعور فقد مهد له السبيل لارقي تربية خلقية ممكنة .

واما التربية الدينية فقال روسو انها ضرورية ويجب ان تبدأ في السنة الثامنة عشرة . ودين اميل هو الدين الطبيعي اي يجب ان يترك للشباب الخيار في المبدأ الذي يختاره بطبيعته ولا يجب ان يكره على اتباع دين معين .

والان نتقدم للبحث عن تربية اميل الفكرية في هذه المدة وفيها يقول روسو :
 « اكرر ما قنته سابقاً وهو ان التعليم يجب ان يكون بالعمل اولاً لا بالكلام فلا تعلم الاطفال شيئاً من الكتب اذا كان بوسعك ان تلقنهم ذلك بالتجربة والاختبار » .
 في القسم الاخير من كتاب « الاميل » يبحث روسو عن امرأة يتخيلها تدعى صوفيا فيتعهد تربيتها بطريقة خاصة منفصلها في بحثنا عن تربية النساء في نظر روسو وبالنهاية يزف اميل الى صوفيا بعد ان يكون اميل قد قام برحلات وسياحات في البلدان المختلفة . ولا تنتهى مهمة المربي بهذا القران وانما ينبغي عليه ان يقي على مقربة منها . « حتى اذا كان بعد اشهر دخل اميل الى غرفتي وقال وهو يقبلني . هنيء فتاك يا استاذ ، انه يأمل التمتع بشرف الابوة عما قريب . الا ما اكثر ما سيلقي على عاتقنا من صنوف العناية وما اشدنا احتياجاً اليك ! ولا اريد ان تقوم يا استاذ بتربية الابن بعدما قمت بتربية ابيه . فما اريد ان يقوم غيري بهذا الواجب الحلو المقدس . انني سألقي في حاجة اليك ما عشت ، وانا اليوم اشد ما يكون لك احتياجاً ان بدأت اعمال الرجولة . اما انت وقد قمت بما عليك ، فارشدني لاسير على سننك ، واسترح فقد حان الوقت الذي يحق لك فيه ان تستريح » .

تربية النساء

من اراء روسو المشهورة قوله « رجل الطبيعة يعيش لنفسه ويسير مقادراً بحاجاته وحقوقه الشخصية » ولكنه ناقض رأيه هذا في بحثه عن تربية النساء حيث يقول ان

تربية المرأة تتوقف على مستقبلها مع زوجها لا على استعداداتها وميولها الشخصية . وهذه مناقضة صريحة لرأيه الاول . واليك رأي روسو بخصوص تعليم المرأة تنقله عن كتاب الدكتور هيكال : « ان المرأة لم تخلق للعلم ولا للحكمة ولا للتفكير ولا للفن ولا للسياسة . وانما خلقت لتكون اماً تغزو اطفالها بلبنها وتتعهد ضعفهم بحسن عنايتها وتسلمهم من بعد ذلك للاب او للمربي يعني بهم على نحو ما توحى به الطبيعة . وترجع هي للقيام بوظيفة الامومة فتضع وترضع وتعهد لتعود فتضع وترضع وتعهد من جديد . وهي واطفالها دائماً في عنق الرجل . وما دامت الامومة هي الوظيفة الطبيعية للمرأة ثم ما دامت في عناية الرجل . وما دامت الطبيعة قد جعلت بذلك بينها من الفروق ما يجعل الكلام في المساواة بينها سخافة مضحكة . ما دام ذلك فان المرأة الكاملة والرجل الكامل لا يجب ان تتدابه اذهانهما الا كما تتشابه وجوههما » .

وقال روسو في مكان آخر مشيراً بعدم وجوب تعليم المرأة ما يأتي : « يقولون انه لا يحذر بالرجل ذي التربية ان يتصل بامرأة لا تربية عندها ... الا ان فتاة بسيطة فجة التربية لأحب لدي من فتاة عالمة ذات ذكاء وخاطر وثقافة تجيء فقيم في بيتي سوق ادب هي على رأسه . فانما الفتاة ذات الذكاء والخاطر والثقافة وباء زوجها واصدقائها وابنائها وخدمها ووباء الناس جميعاً » .

قيمة الاميل في التربية والتعليم

لا شك ان مذهب روسو في التربية كما دونه في كتابه « الاميل » صعب التطبيق بصورة عملية ولا ريب ان الكتاب محتو على كثير من الآراء الخاطئة التي لا يعترف العلماء المعاصرون بصحتها . ومع كل ذلك فهو يحتوي من الافكار ما جعل المسيو مارتن يكتب عنه فيقول : « رغم ما اثارت اجزاء اميل من اعتراضات عليه فالكتاب يكاد يكون اعمق بحث عن الطبيعة الانسانية . وهو بلا ريب اكثر الكتب دفعاً للتفكير فيما لا يكون تفكير المؤلف فيه صواباً . وانك لفي حل من ان تقول غير مبالغ ان هذا الكتاب كان سفين سلام القى بها القدر على امواج مذهب التشكك والمادية وانه جمع

بين دفتيه كل العواطف والمبادئ الاساسية للحياة الاخلاقية التي كانت على شفاهاوية وليتصور الانسان القرن الثامن عشر خلواً من رسوم ثم ليسائل نفسه ايان كان ينتهي سير العقل البشري « (١)

بعض ما أثر روسو الخالدة

الترقية والاجهاد

اليك ملخص نظريات روسو التهذيبية نذكرها بعبارة موجزة : الترسية تدرج طبيعي لا اصطناعي وهي ترمي الى كشف قوى الطفل الطبيعية الكامنة وتسميتها لا الى اكتساب المعلومات والمعارف . والترسية هي الحياة بعينها وليست — كما يعتقد البعض — استعداداً لحياة مقابلة بعيدة تختلف بمظاهرها وميزاتها عن حياة الطفولة . هذه فكرة روسو، واما الاعتقاد القديم فانه كان يرمي الى تحوير طبيعة الطفل بارغامه على اتباع الاساليب والعادات التقليدية في التفكير والعمل حتى وفي شعوره العاطفي ايضاً اي ان الفكرة القديمة كان تعمل على قتل الغرائز والميل الطبيعية وتستعير عنها بروح التكلف والتصنع التي وصل اليها مربو القرون الوسطى وعصر النهضة والتربية الانسانية . اعتقد المربون الذين تقدموا روسو ان الطبيعة البشرية شريرة وواجب المربي في نظرهم ان يكسر ارادة الطفل لانها مظهر من مظاهر طبيعته الفاسدة . والعمل المتعب للفكر والمنفر للطفل هو في نظرهم ذو القيمة التهذيبية الكبيرة وكلما زاد نفور الطفل من هذا العمل زادت اهميته وقيمته التهذيبية في نظرهم .

في وجه هؤلاء المتطرفين قام روسو متطرفاً بدوره وندد بفكرة التربية المنتشرة في زمنه قائلاً قوله المشهور الذي لا يخلو من المبالغة : « ادرس الطرق التي يتبعها مربو عصرنا الحاضر واتقنها تماماً ثم اعمل بعكسها وانا اضمن لك النجاح والاصابة » . وقال روسو في مكان آخر : « يجوز للمربي اجمال كل الاشياء التي من شأنها ان تجعل

اعمال الطفل شاقة متعبة اذ لا اهمية لمقدار ما يتعلمه ، والمهم في نظري ان لا يقوم الطفل بعمل تكرهه نفسه وتنفّر منه طبيعته . « نرى مما تقدم ان روسو جعل الرغبة اساساً للتربية والتعليم ووجه سهام النقد الى ما شاهده في زمنه من الاجهاد المصطنع الذي كان يتحمّله الطفل . ومن اقوال روسو المأثورة قوله : « تقولون ان البكاء هو اول لغة يتكلم بها الاطفال . فانا اتفق معكم في رأيكم هذا . ولكن اللوم عليكم اتم . لا يبكي الطفل الا لانكم تخالفون ارادته الطبيعية . فالسلاسل اول هداياكم الى الطفل المسكين ، وتعذيبه نتيجة اعتنائكم الفارغ . »

نظر روسو الى التربية كستدرج

ذكرنا آنفاً ان روسو نظر الى التربية كعمل يعد الطفل كسكل طور من اطوار حياته اي انه لم يسلم بان مهمة التربية تهيئة الطفل لحياته المقبلة بل واجبها تحضير الطفل ليكون مفيداً في جميع هذه الاطوار . قال روسو : « ما عساي اقول في تلك التربية البربرية التي تضحي الحاضر في سبيل المستقبل الغامض المشكوك فيه ، تلك التربية التي تذيق الطفل انواع التعاسة والشقاء في سبيل سعادة وهمية ربما لا يتأتى له ان يتذوقها ؛ لا يسعني الا ان اصب جام غضبي وسخطي على تربية يتقضي فيها عصر الطفولة الذهبي في الم وتعاسة وخضوع املا بالوصول الى سعادة وهمية في طور الرجولة . »

وليس عمل التربية في نظر روسو ان تأخذ الطفل وتنظر اليه كرجل صغير ثم يعمل المعلم يصبح رجلاً وانما مهمة التربية ان تسمح للقوى الطبيعية الكامنة بالظهور والنمو لا لتستخدم في عصر الرجولة فقط وانما باستخدامها كل يوم ويجعلها مطابقة لعمل الطفل في كل سنة من سني عمره .

الطفل هو العامل الايجابي في التربية

ان العالم الانكليزي جون لوك اول من عني بدور الطفولة وكتب عن التربية

في ذلك الطور، والفرق بينه وبين روسو ان الاخيرا ستمد نظرياته التهذيبية من طبيعة الطفل وجعل الطفل مركزاً للعمل . ومن حياة الطفولة يجب ان تؤخذ الفكرة الحقيقية عن التربية في كافة الاطوار . والمهم في هذا الصدد ان روسو جعل الشفقة اساساً لعلاقة المعلم بالطالب ولكن الفضل في تطبيق هذه الفكرة بصورة عملية يعود الى بستانلوزي .

روسو يضع حجر الاساس في نهضة القرن التاسع عشر التهذيبية

بالرغم من اندفاع روسو مع تيار عاطفته وبالرغم من مغالاته وتطرفه في اقواله نجد انه وضع حجر الاساس لنهضة القرن التاسع عشر التهذيبية . فهو اول من تناول معمول الانتقاد وفتح ثغره واسعة في بناء التربية القديمة ثم وضع الحجر الاول في بناء التربية الحديثة .

نجد في القرن التاسع عشر نزعات ثلاث : نزعة بيسكولوجية ونزعة علمية ونزعة اجتماعية . وسنرى في الفصول الثلاثة المقبلة كيف ان روسو كان مصدراً للوحي استمد منه كبار المربين كستانلوزي وهربارت وفروبل وسوامم . قال روسو يجب احترام طبيعة الطفل وميوله ومواهبه الفطرية فتحتم على المربي ان يدرس العلم الذي يبحث عن طبيعه الطفل وميوله واستعداداته الخاصة وهو علم النفس فنشأت النزعة البيسكولوجية النفسية . وقال بوجود قراءة كتاب « الطبيعة » الذي لا يكذب ابداً فنشط بقوله هذا النزعة العلمية الحديثة . واخيراً قال ان الشفقة يجب ان تسيطر على اعمال الطفل فيتألم لا لام غيره ويشعر معهم وكذلك شرح انظمة الهيئة الاجتماعية وطبقها في التربية والتعليم فوضع اساس النزعة الاجتماعية

أثر النزعة الطبيعية في المدارس

ان النزعة الطبيعية — كبقية النهضات الفكرية — لم تكن ذات اثر سريع مباشر . وغاية ما قامت به انها وجهت افكار مربي القرن التاسع عشر الى مبدأ

جوهري في التربية والتعليم كان في زوايا الاهمال والنسيان الا وهو مراعاة ميول الطفل واحترام طبيعته . ويتضح لنا ذلك حين ندرس آراء بستالوزي وهربارت وفروبل وسواهم من مرابي القرن التاسع عشر .

أثر روسو في فرنسا

صادفت آراء روسو اقبالا عظيماً في فرنسا من عامة الشعب واما الاشراف ورجال الدين فانهم قاوموها مقاومة عنيفة حتى انهم حكموا على روسو بالسجن وارغموه على ترك فرنسا فراراً من وجههم . والمهم في نهضة روسو انها كانت سهاماً حادة وجهت الى حياة الشعب الفرنسي في جميع مظاهرها اي في التربية والسياسة والاجتماع . ولما لم يكن من سبيل للوصول الى اصلاح تدريجي — لبقية العوامل التي نعرفها من دراسة تاريخ الثورة الافرنسية — قام الشعب بثورته السياسية — الاجتماعية . لروسو كما نعلم فضل كبير في تهيئة الافكار للقيام بذلك العمل العظيم . واما خطة الاصلاح التهديبي التي وضعها روسو فقد حالت الثورة دون تنفيذها لاهتمام رجال الثورة بمواضيع سياسية واجتماعية أكثر اهمية منها وكذلك كانت حروب نابليون عثرة في سبيل النهضة التهديبية ولم يتفرغ الفرنسيون للاستفادة من آراء روسو في التربية الا بعد ذلك الحين . وسندرس الاصلاح التهديبي الفرنسي الحديث عندما نأتي للنزعة الاجتماعية في التربية والتعليم .

في انكلترا

صادقت آراء روسو في السياسة والاجتماع استحساناً عظيماً في انكلترا . واما آراؤه في التربية والتعليم فلم يكن لها ذلك الاثر الكبير وربما كان حب الانكليز للمحافظة وتمسكهم الشديد بالقديم السبب في الفتور الذي استقبلت فيه آراء روسو كما انه لا يخفى انهم كانوا قد قبلوا فكرة لوك الترويضية ووجدوا انها أكثر مطابقة للحقيقة من آراء روسو المليئة بالمبالغات والتي املتها عاطفة متمردة متطرفة

في المانيا — جوهان بازدو Basedow

اخذ المربي الالماني جوهان بازدو (١٧٢٣ — ١٧٩٠) آراء روسو في التربية والتعليم وطبقها بصورة عملية بعد ان زاد عليها وشرحها والبسها ثوباً جديداً . وبعد بازدو اول مرب طبع كتباً خاصة للمدارس مزينة بالاشكال والرسوم وله الفضل في تأسيس المؤسسة التهذيبية المشهورة في مدينة ديسو Dessau عام ١٧٧٤ والمعروفة بالفيلانثر وينوم Philanthropinum (١) وفيها طبقت لأول مرة مبادئ روسو في التربية . تتنحى الطبيعة فنظروا الى الاطفال كاطفال لا كرجال ، وعلموهم اللغة بطريقة المحادثة واهملوا دراسة كتب القواعد المملة المتعبة وافسحوا في مناهج الدروس مكاناً للالعاب الرياضية البدنية وقالوا ان التربية الاولى يجب ان تكون مقرونة « بالحركة والضوضاء » لان الاطفال يحبون ذلك بطبيعتهم . ولقد جمع بازدو في « الفيلانثر وينوم » اطفال الاغنياء والفقراء فكان يعد الاغنياء للوظائف الاجتماعية ، واما الفقراء فقد فتح لهم شعبة خاصة يدرسون فيها اصول التربية ويتدربون على صناعة التعليم . وادخل في منهاج مدرسته دروس الرسم والتجارة والحراطة وبقية انواع الاعمال اليدوية وسرى في الفصول الثلاثة الاتية كيف ان المربين اخذوا هذه الافكار الجديدة التي جاء بها روسو وطبقها بازدو ثم وسعوها وجعلوها اكثر ملائمة للحياة العملية

الخلاصة

ادت السلطة المطلقة في الحكومة والدين والتربية والتعليم . الى قيام ثورة عنيفة . لهذه الثورة الفكرية طوران : الطور الاول يعرف بمصر النور ويشمل النصف الاول من القرن الثامن عشر وفيه ظهرت ثورة فكرية ارسوقراطية ادت الى فكرة الاحاد والسقوط الاخلاقي واشهر زعمائها فولتير . والطور الثاني هو النزعة الطبيعية التي

(١) معنى هذه الكلمة (محبة الانسان)

كانت عاطفية ديمقراطية وزعيمها الأكبر جان جاك روسو. ولارائه في التربية والتعليم أثر مهم في فكرة التربية الحديثة. والمبدأ الذي جعله روسو أساساً لأفكاره التهديبية هو أن الغاية من التربية تنمية مواهب الطفل واستعداداته الطبيعية ولذلك يجب أن تكون التربية سلبية في السنوات الأولى فلا تضغط على ميول الطفل بل تعمل على مساعدتها وتقويتها. طبقت مبادئ روسو في ألمانيا والفضل في ذلك للمربي الألماني بازودو الذي أسس (الفيلاتروينوم). ولم تطبق تماماً آراء روسو الطبيعية في التربية والتعليم إلا في أوائل القرن التاسع عشر لما قام بيستالوزي وهربارت وفروبل وسواهم.



الفصل الثاني عشر

النزعة البسيكولوجية في التربية والتعليم (١)

نظرة عامة - فلسفة النزعة البسيكولوجية - كدنت - النهضة البستالوزية - مميزات - حياة
بستالوزي - اعماله - آثاره في التربية والتعليم - النهضة الهربارتية - علاقتها بالنهضة البستالوزية -
حياة هربارت واعماله - آثاره في التربية - النهضة افروبلية - مميزات - حياة فروبل واعماله -
آثاره في التربية والتعليم - حديقة الاطفال - أثر النهضة البسيكولوجية في المدارس - أثر
بستالوزي - أثر هربارت - أثر فروبل - الخلاصة

نظرة عامة

النزعة البسيكولوجية في التربية والتعليم — كالنزعتين العلمية والاجتماعية —
وليدة النزعة الطبيعية التي اوجدها الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو . وبما انها
جميعها اكتسبت روحها من النزعة الطبيعية فاننا نجد نقاطاً عديدة تتفق فيها هذه
النزعات الثلاث . على انه يوجد لكل من هذه النزعات ميزات خاصة وسند ذكر في
هذا الفصل اهم مميزات النزعة النفسية البسيكولوجية . وفي الفصلين المقبلين نذكر
مميزات النزعتين الباقيتين

(١) يقابل هذا الاصطلاح باللغة الانكليزية The Psychological Tendency in Education

١ — تطبيق مبادئ روسو الطبيعية في اصول التدريس

اخذ قادة النزعة البسيكولوجية مبادئ روسو الطبيعية وزادوا عليها وشرحوها ثم وضعوها بقالب عملي فسهلوا على المربي استعمالها في المدارس .
والفرق بين آراء روسو والمباني التي وضعها قادة النزعة البسيكولوجية ان الاولى سلبية انتقادية ترمي الى هدم صروح التربية الشائعة ، في حين ان الثانية كانت عمرانية البست آراء روسو ثوباً عملياً واقامت على انقاض التربية القديمة التي ندد بها روسو ، اسس التربية الحديثة .

٢ — النزعة البسيكولوجية تحاول التوفيق بين فكرتي الرغبة والاجهاد

رأينا في الفصل السابق كيف ان النزعة الطبيعية وجهت سهام النقد الى فكرة التربية الترويضية وجعلت الرغبة والامول الطبيعية اساساً للتربية والتعليم ، واما النزعة البسيكولوجية فانها حاولت عبثاً التوفيق بين فكرة الاجهاد القديمة وفكرة الرغبة الجديدة وبالرغم من جهود هربارت وفروبل فقد بقي هذا النزاع مستمراً الى اوائل القرن العشرين . ونجد المحافظين والمتمسكين بالتقاليد القديمة خلال القرن المنصرم يصرون على وجوب التمسك بفكرة الاجهاد ومحاربة رغبة الطفل وميوله الطبيعية ، كما ان قادة الفكرة الجديدة يبالغون في اعمية الرغبة ويتحاملون على فكرة الاجهاد . وسنرى في الفصل الاخير من هذا الكتاب كيف تمكن علماء التربية الحديثة من التوفيق بين الفكرتين .

٣ — اهتمام النزعة البسيكولوجية بدرس العقل البشري

اهتم المربون الواقعيون بالطبيعة ثم جاء روسو وحصر اهتمامه في طبيعة الطفل ووضع قانونه الطبيعي . واما النزعة البسيكولوجية الجديدة فانها عنيت بدرس هذه الطبيعة البشرية على اصول علمية فدرست العقل وطرق التفكير وجعلت النتائج التي

وصلت اليها من هذا الدرس الدقيق اساساً للتربية الحديثة. وجدير بالذكر ان علم النفس لم يكتب بصورة علمية حديثة الا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على ان هذه الفكرة — اي وضع علم النفس الحديث — قد بدأت في اوائل ذلك القرن وكانت موضوعاً كتب فيه هربارت وسواه من المجددين .

٤ — النزعة البسيكولوجية تهتم بمعنى التربية وطرقها واساليبها

انصرف قادة هذه النزعة الى اصلاح طرق التعليم والى تدريب المدرسين بمقتضى الروح الجديدة فوضعوا مبادئ للتربية يتمكن المعلمون من تطبيقها بصورة عملية في المدارس .

٥ — قادة النزعة البسيكولوجية يدرسون الطفل ويعطفون عليه

يمتاز قادة النزعة البسيكولوجية بكونهم اول من درس حياة الطفولة وعطف على الطفل واحترم ميوله ورغباته . وسرى عندما ندرس آراء كبار المربين في هذا الطور كيف وضعوا نظرياتهم في التربية والتعليم على طريقة استقرائية تجريبية اي انهم دونوا ما وصلوا اليه من اختبارات في عملية أثناء مخالطتهم للأطفال وابتكروا الطرق والاساليب التي تتناسب مع تلك التجارب والاختبارات .

٦ — عناية النزعة البسيكولوجية بالتربية الاولى

نذكر من الفصول السابقة ان اهتمام المربين قبل روسو كان محصوراً في التعليم الثانوي واصلاحه واما النزعة البسيكولوجية فانها عنيت بالتربية الاولى بصورة خاصة واعتقدت انها الاساس لكل نهضة تهذيبية . وسيتجلى لنا ذلك عندما نبتدى بدراسة قادة هذه النزعة وحاملي لوائها .

٧ — النزعة البسيكولوجية تنظر الى التربية كوسيلة لتنمية قوى الفرد

من اهم مميزات النزعة البسيكولوجية اعتقادها ان التربية هي الوسيلة الوحيدة

لتنمية قوى الطفل ومواهبه الطبيعية وقد عرف المربي السويسري بستالوزي التربية فقال : « هي تنمية جميع قوى الفرد بصورة موزونة متناسبة » .

٨ - اهتمام النزعة البسيكولوجية بفكرة التعليم العام

ذكرنا ان المربين الانسانيين والواقعيين عنوا بالتعليم الثانوي وهذا امر لا تتمكن جميع الطبقات من احرازه كما انها لا تحتاج اليه ، واما التعليم الاولي الذي عني به قادة النزعة البسيكولوجية فضروري لكافة الطبقات وقد نظر اليه بستالوزي وهربارت وفروبل كحق طبيعي يجب ان يتمتع به جميع الاطفال وهكذا نرى ان النزعة البسيكولوجية عملت على تنشيط فكرة التعليم الاولي العام .

فلسفة النزعة البسيكولوجية

للنزعة البسيكولوجية في التربية والتعليم وجهتان : الاولى نظرية فلسفية والثانية عملية تدريجية . اشهر قادة النزعة الفلسفية البسيكولوجية الفيلسوف الالماني الكبير عمانويل كانت Kant (١٧٢٤ — ١٨٠٤) وقد جمع هذا الفيلسوف بين آراء لوك وروسو اي بين فكرة التربية الترويضية وفكرة التربية بمقتضى الطبيعة او بالاحرى حاول ان يوفق بين فكري الاجهاد والرغبة ، وقد وضع قبل وفاته بعام كتاباً في التربية دون فيه تلك الفكرة المار ذكرها .

واما قادة النزعة البسيكولوجية العملية فشلاثة : بستالوزي وهربارت وفروبل وسنتكلم بتفصيل عن آراء كل منهم ونذكر خدماتهم وآثارهم في اصلاح التهذيب .

النهضة البستالوزية

قيمة اعمال بستالوزي

قبل ان نبدأ بذكر اعمال بستالوزي وخدماته التهذيبية يجب القول ان بعض المؤرخين يبالغون في تقدير اعمال هذا المربي ويعزون اليه الفضل الاكبر في اصلاح

التهذيبي الذي نشأه في اوائل القرن التاسع عشر . وهذه مبالغة يجب ان نتحاشاها فجل ما عمله بستالوزي ليس سوى تطبيق المبادئ التي جاءنا بها جان جاك روسو وقد قام بازدو بهذا العمل قبله واسس الفيلائثروينوم كما مر معنا في الفصل السابق . وكذلك لا يجب ان يعزب عن بالنا ما لحرارت وفروبل من الفضل في نهضة القرن التاسع عشر ويعتقد الاستاذ مونزو ان الاخيرين كانا ابعد نظراً واكثر فهماً للحقيقة من ذلك المربي السويسري . ويعترف بستالوزي نفسه بذلك فيقول : « مع جبلي وقلة تضلعي في العلوم فقد كنت بقوة ادراكي وميل لتسهيل العلوم اصغر معلم وفي الوقت نفسه كنت مصلحاً للتربية والتعليم وذلك في عصر تفتحت فيه اذهان الناس كافة وراء تلك الغاية المقدسة التي وضعا روسو وبازدو » . والغريب ان بستالوزي يعترف ان عمله كان محدوداً ومع ذلك تجد اكثر الكتاب الذين يؤلفون كتباً عن حياته يبالغون ويعظمون مريباً اعترف نفسه انه لم يأت شيئاً عجباً .

لا تنحصر اهمية بستالوزي في نظرياته التي لا تخلو من التناقض والخطأ والاستقراء الناقص وانما حاز بستالوزي هذه المكانة السامية في تاريخ التربية لانه اعطى فكرة واضحة جديدة عن معنى التربية الحقيقي فهو اول من اقنع الملاء بان مهمة التربية هي الاهتمام بتنمية عقل الطفل وصرح ان التجربة والاختبار لا التقاليد والعادات هما اساس عمل التربية والتعليم . ولما كانت اقوال بستالوزي نتيجة لتجاربه في حياته وجب ان ندرس بشيء من التفصيل حياة هذا المربي وبذلك نتوصل الى فهم روحه وافكاره بجلاء ووضوح .

حياة بستالوزي

ولد هنري بستالوزي Pestalozzi (١٧٤٦ — ١٨٢٧) في مدينة زوريخ (سويسرا) وتوفي والده وهو في الخامسة من عمره فتولت تربيته والدته وتمهيدته بعنايتها وحنوها فنشأ على حب الاسرة مقدراً ما للتربية العائلية من التأثير في تربية الطفل وقد صرح بذلك في قوله المأثور : « هذبوا الام واجعلوها ماهرة حاذقة في

تربية رضيعاً وأنا اضئ لكم تحسن حالة عامة الشعب . » حصل علومه في مدرسة زوريخ وعزم على الانخراط في مسلك الرهبنة ولكنه اهدل تلك الفكرة لما قرأ « الاميل » و « العقد الاجتماعي » وتشرب روح الثورة على الحكم المطلق والعادات والتقاليد فاخذ يدرس الحقوق والسياسة على انه لم يلبث ان ترك دراسة تلك العلوم وانصرف الى الزراعة فاشتري مزرعة وعزم ان يطبق فيها مبادئ الزراعة الحديثة معتقداً انه يتمكن في ذلك المحيط الصافي من الرجوع الى الطبيعة والسير بمقتضى القانون الطبيعي الذي وضعه روسو . غير انه لم ينجح في اعماله الزراعية فتركها واهتم بتأسيس ملجأ خيري للفقراء . وكان في هذه الاثناء يعتنى بتربية ولده الوحيد طبق مبادئ « الاميل » فاكتشف نقاط الضعف في التربية السلبية ودون اختبارات ونجارب الخاصة في اول كتاب نشره في التربية والتعليم . واسم هذا الكتاب « اختبارات والد » . نفذ بستالوزي فكرته في تأسيس معمل صناعي واسس ازل معهد صناعي يلجأ اليه الفقراء فيشتغلون بالزراعة وغزل القطن ونسجه وفي الوقت نفسه كان يعلمهم القراءة والكتابة والحساب ولقد بقي هذا المصنع سائراً بانتظام مدة خمسة اعوام (١٧٧٥ — ١٧٨٠) غير انه اضطر اخيراً الى اعلان افلاسه واغلاق المصنع وذلك لعدم استطاعته القيام بجميع اعمال الملجأ فكان يتعهد الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم وليس في وسع مصلح ان يقوم وحده بكل هذه الاعمال في وقت واحد .

اغلق بستالوزي المصنع وله من العمر خمسة وثلاثون عاماً ورجع الى عالم السياسة والتحق بالثورة واخذ يكتب عن الاصلاح الاجتماعي المنشود وقال ان الاصلاح السياسي الاجتماعي لا يكون الا بالتربية الصحيحة وطفق يكتب في مواضيع التربية والتعليم مدة عشرين عاماً نشر خلالها كتباً عديدة باللغة الالمانية اشهرها كتابه « ليونارد وجرترود » وقد سار في كتابه هذا على اسلوب روائي قصصي فتخيل امرأة قروية تدعى جرترود وهي حاذقة ماهرة في التربية متمسكة بالفضيلة ومكارم الاخلاق ، وتصور رجلاً خاملاً سكيراً يدعى ليونارد وهو زوج المرأة ثم اظهر كيف ان جرترود تمكنت من اصلاح زوجها وتربية اطفالها بحسن تديرها ثم اظهر كيف ان

القرية تشربت اخلاق جرترود فتحسنت احوال جميع سكانها وكل ذلك بفضل التربية الصحيحة، ثم بين كيف يجب ان يطبق ذلك المثال في بقية المدن والقرى .

جاوز بستالوزي الخمسين من عمره ولم يشتغل بعد بصناعة التربية والتعليم بصورة عملية وانما كان يضع آراءه فيها بطريقة نظرية . في هذه السن ابتدأ بستالوزي بتطبيق نظرياته عملياً وذلك ان بعض المقاطعات في سويسرا عصت على الحكومة الجديدة فاستعانت هذه بخنود الحكومة الفرنسية وتمكن الجيش الافرنسي من اخضاع تلك المقاطعات بعد ان قام فيها باعمال فظيعة، وخصوصاً في مدينة ستانس حيث كانت المقاومة شديدة، وحيث كان الفتك ذريعاً، مما ترك عدداً كبيراً من الاطفال ايتاماً بلا مأوى. فطلبت الحكومة من بستالوزي ان يدير ملجأ اسس لتربية اطفال ستانس فقبل واخذ يطبق مبادئه التهديبية بصورة عملية. وكانت غايته الاساسية ان يمزج بين التعليم والصناعات اليدوية فظهر للملأ ان ذلك ممكن وكان نجاحه باهراً في تطبيق تلك الفكرة. لم يبق بستالوزي في ذلك الميتم الا شهوراً قلائل ثم اضطر ان يتركه لما جعلته الحكومة ثكنة للجنود ولم يكن هذا الفشل ليثني بستالوزي عن عزمه فاستخدم كمعلم في قرية صغيرة ثم تولى ادارة مدرسة تخص الحكومة مدة اربعة اعوام كتب خلالها كتابه المشهور « كيف تعلم جرترود اطفالها » ودون فيه آراءه التهديبية بصورة مفصلة . واخيراً سكن بستالوزي في مدينة ايفردون (Yverdon) حيث قضى عشرين سنة في تدريس المعلمين واصلاح المدارس فأسس معهداً في تلك المدينة غايته تحضير المعلمين ، وفيه درس المربي الكبير فروبل .

آثار بستالوزي في التربية والتعليم

هدف التربية في نظر بستالوزي

نشأ بستالوزي في محيط كثر فيه الثورات وكثرت فيه الاقتراحات بشأن الطريقة المثلى للقيام باصلاح اجتماعي ومداواة الامراض الاجتماعية النفسية ، فقسم

ابتكر ديناً جديداً ، وآخرون طالبوا باهمال جميع الاديان ، وفئة ابتدعت اشكالا جديدة للحكم والحكومة ، وفئة اخرى اقترحت اتباع نظام الفوضى ، وبعضهم رأى وجوب خلق هيئات اجتماعية جديدة ، وسواهم اعتقد بعدم لزوم الانظمة الاجتماعية . بين هذه النزعات المتضاربة اي بين الاشتراكية والشيوعية والفوضوية ، والاحاد والايان ، ترعرع بستانلوزي ، ولما بلغ اشدّه اشترك في هذه الممعة ورفع صوته الضئيل مع بقية الاصوات قائلاً : « لا نصل الى الاصلاح الاجتماعي العام المنشود الا بالتربية — ولا اعني بها التربية القديمة الجاحدة الشائعة في عصرنا — وانما ندرك هذه الغاية الحميدة بتربية جديدة » .

التربية بمعناها الجديد

بدأ بستانلوزي في تعريف فكرته التهذيبية الجديدة كما بدأ روسو اي انه اخذ يتأبل بين الطرق التعليمية الشائعة والطريقة الطبيعية في تربية الطفل فقال : « يتم الطفل في ايامنا السنة الخامسة من عمره وهو في احضان الطبيعة فيرتع فيها وتنمو مواهبه الطبيعية ولكنه لا يكاد يبلغ هذه السن حتى تنتشله — وبالاأسف — من ذلك المحيط الطبيعي ونعرضه الى محيط اصطناعي يقتل تلك المواهب ، فنسجنه شهوراً واعواماً في درس غير طبيعي ممل متعب تنفر منه طبيعته وتسأمه نفسه » . ثم يظهر بستانلوزي العلاقة بين الطبيعة والتربية والتعليم في العبارات الاتية : « جل ما يتمكن الانسان من عمله في تربية الطفل — هو ان يساعد الجهود التي يبذلها الطفل في تنمية قواه الطبيعية . وسر التربية — في نظري — هو ان يقوم المربي بذلك العمل بصورة تتناسب مع تلك القوى النامية . ولذلك ينبغي ان نراعي سنة التدرج والترتيب الطبيعي في تعليم الطفل ، فنعطيه في كل طور من اطواره علوماً ومعارف توافق مداركه ونمو عقله الطبيعي » . وقال بستانلوزي في مكان آخر : « مثل التربية الصحيحة كشجرة غرست بالقرب من مياه غزيرة ، ثم اتينا ببذرة صغيرة من تلك الشجرة وزرعناها في تلك التربة الخصبة ، والبذرة كما لا يخفى تحتوي كل خواص الشجرة التي انتجتها . فالانسان يشبه تلك

الشجرة ، والطفل بمواهبه وقواه الكامنة يشبه البذرة ، ومهمة الربى ان لا يتدخل في نمو الطفل الطبيعي ، بل عليه ان لا يؤثر على طبيعته بشيء مطلقاً ، اى عليه ان يترك قوى الطفل الفكرية والخلقية والعملية تنمو كما تشاء فلا تعلمه الدين والايمان ، ولكن ينبغي عليك ايها الربى ان تكون عاملاً بواجبات دينك . ولا تلقنه دروساً في الحب اذ لا فائدة من هذا الكلام المنمق ، بل كن له خير مثال عملي بان تحبه محبة حقيقية . وكذلك لا فائدة من تلقينه افكار الاخرين اذا شئت ان تربى مداركه ، بل فكر انت امامه بصورة صائبة . واذا اردت ان تلقنه العلوم والفنون فلا تطرقها بالكلام عن اقسامها وفروعها وتأنجها ، بل عليك ان تسير انت امامه متبعاً طريقة البحث والتنقيب والتجربة من هذه الاقوال التي نقلناها عن بستالوزي نأخذ فكرة عن التربية في نظره فهو يعتقد انها نمو الفرد الطبيعي من الوجهة العقلية والخلقية والجسمية ويجب ان يسير هذا النمو حسب ميل الطفل الطبيعي من تلقاء نفسه دون تدخل الربى .

أثر بستالوزي في الطرق والوسائل التهديبية

لا تمكن من تقدير آراء بستالوزي في اصلاح الطرق والوسائل التهديبية الا اذا تصورنا حالة المدارس في عصره . يصف احد المربين حالة المدارس والمدرسين في اوائل القرن التاسع عشر فيقول ان التعليم الاولي في القرى والمدن الصغيرة كان في ايدي اصحاب الحرف الذين لا تستغرق حرفهم جميع اوقاتهم ، اى الذين كان لديهم متسع من الوقت فتجد صانع الاحذية والحبال والعجزة من الجنود والارامل من النساء يجمعون الاطفال في منازلهم ويقومون بالاعمال التي تقتضيها حرفهم ، ويراقبون سير الطلاب في الوقت نفسه ولا يتركون طريقة من طرق التعذيب الا استعملوها .

نظر بستالوي الى تلك الحالة المؤسفة فتألم وقام مطالباً بحقوق الطفل مندداً بحالة المدارس وقال ان المدرسة القديمة لاتصلح وان المدرسة الحقيقية يجب ان تكون كالبيت العائلي حيث تسيطر روح المحبة والشفقة ، وطالب بان يقوم بادارتها رجال لهم المام باصول التربية والتعليم .

من اهم اعمال بستالوزي تطبيقه الطريقة الاستقرائية في اصول التدريس لانها اقرب الى مدارك الطفل ولانها تتناول النقاط السهلة البسيطة ثم تتدرج الى المبادئ الصعبة المركبة . وهو اول من ادخل دروس الاشياء التي تمي قوة الملاحظة وتعود الطالب الكلام المرتب . وله تأثير كبير على روح الكتب التدريسية التي كانت تبتديء بالقواعد والمبادئ العامة (الطريقة الاستنتاجية) فقام بستالوزي منتقداً تلك الطريقة القديمة في تأليف الكتب ، وبث روح الطريقة الاستقرائية في الكتب المدرسية .

خلاصة مبادئ بستالوزي في طرق التعليم

اليك زبدة مبادئ بستالوزي كما ذكرها الاستاذ مونروفي كتابه « تاريخ التربية »

- (١) الملاحظة او الادراك الحسي (الحدس) هما اساس التعليم . (٢) يجب ان يكون تعليم اللغة مقروناً بالملاحظة (الحدس) اي بالاشياء التي تبدل عليها الالفاظ .
- (٣) لا يجب ان يصرف وقت التعليم بالحكم والانتقاد . (٤) يجب ان يكون السير في اي فكر كان ، من الاسهل ثم التدرج الى الاصعب وذلك بمراعاة نمو الطفل او بالاحرى : مراعاة مبادئ علم النفس . (٥) لا يجب الانتقال من مادة الى اخرى الا بعد اتقان الاولى . (٦) يجب ان يرمي التعليم الى تنمية مدارك الطفل لا الى اعطاء المعلومات . (٧) على المعلم ان يحترم شخصية الطالب . (٨) يجب ان يكون المدرس قوياً في مادته ومهراً في طريقة التعليم . (٩) يجب ان تكون العلاقة بين المعلم والطالب مبنية على اساس المحبة المتبادلة . (١٠) غاية التربية اوسع وابعد من غاية التعليم .

تأثير بستالوزي في روح المدارس

رأينا مما تقدم ان بستالوزي لم يأت بأشياء جديدة فكل ما جاءنا به كان معروفاً لدينا ولقد اعترف بستالوزي نفسه بهذه الحقيقة فقال : « ان العالم كان سائراً على

نفس الطريق التي سلكتها انا وسلكها قبلي روسو وبازدو . « فما هو اذن أثر بستالوزي في روح المدارس ؟ الطرق التي جاء بها كانت معروفة ، ومعنى التربية الجديدة قد سبقه اليه روسو ، فما هو فضله ؟ ان اكبر خدمة قام بها بستالوزي هي جعله المحبة والشفقة اساس العلاقة بين الطالب والمعلم . ولقد كان بستالوزي محباً لطلابه محبوباً منهم لدرجة انهم كانوا يدثونه « الاب بستالوزي » وذلك لانه كان يشفق عليهم ويعاملهم معاملة الوالد لابنه فلا يشعر الطالب بفرق بين البيت والمدرسة بل يشعر ان المدرسة فرع من البيت وان المعلم هو الاب الثاني .

النهضة الهربارتية

علاقتها بنهضة بستالوزي

ان النهضة الهربارتية متممة للنهضة البستالوزية الا ان الاولى تختلف عن الثانية في النقاط الاتية :

١ — اظهر بستالوزي ما للملاحظة والادراك الحسي من المكانة في التعليم وقال انها الوسيلة الوحيدة لتوليد الافكار الجلية ، ولكنه لم يبين لنا ذلك بصورة علمية ، فجاء هربارت ووضع نظريته البسيكوجية في « الاستطلاع » (١) واظهر لنا كيف تتولد الافكار التي يرافقها النمو العقلي .

٢ — قال بستالوزي ان الغاية الاساسية من تعليم المدارس هي دراسة عالم الطبيعة بالملاحظة والادراك الحسي واما هربارت فانه حض على دراسة العالم من الوجهة الخلقية الفنية .

٣ — فينتج من ذلك ان بستالوزي اهتم بدراسة الحساب والجغرافية والعلوم الطبيعية في حين ان هربارت اعتنى بدراسة اللغات وآدابها والتاريخ

(١) بالانكليزية Apperception . فلاحساس Sensation هو ابسط الحالات الباطنية التي تحدث بتأثير الاشياء الخارجية والمخارجية والاطلاع او الادراك الحسي هو الحكم المعطى في الاشياء الخارجية والاستطلاع هو امتزاج الاطلاعات بعضها ببعض والحكم الناتج عنه .

٤ — اراد بستالوزي ان يجعل اصول التربية والتعليم مطابقة لمباييء علم النفس الجديد فندد بعلم النفس القديم ولكنه لم يضع — ولم يكن بوسعه ان يضع — اصولاً جديدة لعلم النفس الحديث . واما هربارت فيعد اول من اشتغل بعلم النفس الجديد من المربين في القرن التاسع عشر .

٥ — والفرق المهم بين أعمال بستالوزي وأعمال هربارت ان الاخير كان متضلعا في الفلسفة والمنطق فتجد اقواله ونظرياته في التربية والتعليم خالية من المبالغات والتناقض ، واما بستالوزي فكما ذكرنا آنفاً لا تخلو كتاباته من روح المبالغة والتطرف التي ولدتها فيه عاطفته القوية . وبالاختصار كان هربارت ابعد نظراً واقوى حجة واقل اندفاعاً من المربي السويسري .

حياة هربارت . اعماله (١٧٧٦ — ١٨٤١) Herbart

ليس لحياة هربارت علاقة مهمة بنظرياته في التربية والتعليم . ولهذا فسنكتفي بتقديم لمحة من تاريخ حياته اسوة بسواه من المربين . حصل جون فردريك هربارت الالماني علومه في الجناز يوم ثم دخل الجامعة واتم دراسته فيها مظهراً تفوقه ومقدرته العقلية فترك فيها اطيب اثر . ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره ترك الجامعة واستخدم مدة ثلاث سنوات مربية لاولاد عائلة المانية . ويعترف هربارت انه استمد نظرياته وآراءه في التربية والتعليم من اختباراته الخاصة خلال تلك المدة ويصرح ان فهم كنه التربية ومعناها الحقيقي لا يتوصل اليه المربي من مخالطة الاطفال في المدارس مدة قصيرة وانما يتسنى له ذلك اذا اختص بتربية عدد قليل من الاحداث مدة طويلة حيث يتمكن من دراسة عقل الطفل ونموه وتطوره ونشؤه . بعد ان قضى ثلاث سنوات في تربية اطفال تلك العائلة رجع الى الجامعة ودرس فيها ثم عين استاذاً للفلسفة في جامعة كونيغسبرج *Konigsberg* وكان قد شغل ذلك المركز قبله الفيلسوف الكبير عمانويل كنت *(Kant)* وبقي استاذاً للفلسفة في تلك الجامعة ، يقضي ايامه بالبحث واللقاء المحاضرات الى ان مات سنة ١٨٤١ وقد كتب في اثناء وجوده فيها اكثر تأليفه القيمة في الفلسفة

مبادئ هربارت البسيكولوجية

قال هربارت في كتاب له عن التربية والتعليم : « لقد اشغلت مدة عشرين عاماً في الرياضيات وعلوم ما وراء الطبيعة وقرنت إبحائي بالملاحظة والتجربة والاختبار . ولم تكن غايي من هذه الدراسة مجرد البحث والتنقيب وإنما تعمقت في هذه الابحاث الفلسفية توصلاً الى فهم المبادئ البسيكولوجية لما لها من العلاقة بالتربية والتعليم ، فوجدت ان علم النفس المتداول في عصرنا مملوء بالاباطيل والخيالات وتحقق لدي أنا بحاجة ماسة لمبادئ حديثة في علم النفس بنى عليها طرقنا واساليبنا في التربية والتعليم . »

فاكبر خدمة تهذيبية قام بها الفيلسوف الالماني جون هربارت هي وضعه اسس مبادئ علم النفس الحديث . فالفهضة التي بدأ بها الفيلسوف الانكليزي جون لوك جاعلاً الطفل مركز النظريات التهذيبية ، والتي تناوّلها روسو ووضعها بصورة اعم واكثر شمولاً والتي اخذها بستانوزي وطبقها عملياً في المدارس — تلك الفهضة مدينة بشكلها العملي لدايم للفيلسوف هربارت . ولا يساعدنا المقام في هذا الكتاب على تفصيل مبادئ هربارت البسيكولوجية ولهذا نكتفي بما يتعلق منها بالتربية والتعليم .

ان النقطة الجوهرية التي بنى عليها هربارت مبادئه في علم النفس هي اعتقاده ان العقل البشري وحدة لا تتجزأ بخلاف علماء النفس الاقدمين — كأرسطو مثلاً — فانهم قسموا العقل الى قوى عديدة ، الرئيسية منها ثلاث : الفكر والوجدان (او العاطفة) والارادة . ثم قسموا هذه القوى الثلاث الى اقسام اخرى تعرف لديهم بالملكات . ورتبوا مناهج المدارس ومادة التعليم بشكل يتناسب مع هذا التقسيم اي انهم عينوا لكل ملكة من تلك الملكات درساً ينميها ويدربها (راجع نظرية الترويض العقلي ص ١٥٠) . عوضاً عن هذا التقسيم الاصطناعي نظر هربارت الى النفس كوحدة ونفى وجود الملكات بالفطرة وقال ان نفس الطفل تكون خلواً من كل شيء في بدء حياته ولا تحتوي الا على قوة واحدة وهي قوة الاختلاط بالمحيط بواسطة الجملة

العصبية . وبهذه المخالطة ينمو العقل ويتكامل اي بواسطة الادراك الحسي او الاطلاع (Sense perception) ثم بامتزاج هذه الاطلاعات تنمو قوتا الحكم وانحازة . ومهمة المعلم في هذا الصدد ان يحيط الطالب بمظاهر تمكنه من اكتساب هذه الاطلاعات وذلك يكون بتهيئة الظروف التي تمكن الطفل من الاحتكاك بالطبيعة وبالهيئة الاجتماعية فاحتكاكه بالطبيعة يولد فيه المعرفة ومخالطته للناس تولد فيه العطف والشفقة . وليست نفس الطفل طيبة بالطبع كما يعتقد روسو ولا شريرة كما يعتقد سواه وانما هي محايدة بفطرتها اي لا طيبة ولا شريرة وانما تسلك سبيل الخير او الشر بمقتضى المحيط الذي تعيش فيه ، او بعبارة اوضح يتوقف سلوكها احدي الطريقتين على الاطلاعات الاولى وعلى كيفية امتزاج تلك الاطلاعات وتمثيلها . ولهذه النظرية التي جاء بها هربارت نتيجتان على جانب عظيم من الاهمية في التربية والتعليم هما : (١) ان اهم ميزة في العقل هي قوة الاطلاع . (٢) التربية وهي التي تعين محيط الطفل والاطلاعات التي يكتسبها منه وطريقة مقابلة هذه الاطلاعات بعضها ببعض ، هي القوة الاساسية في تكيف الفكر والحلق .

فكرة الاستطلاع — النظر الى الاطلاعات الجديدة بنور الاطلاعات القديمة — هي المبدأ الاساسي الذي بنى عليه هربارت علم النفس . ووضع هذه الفكرة بشكل نظري علمي هو اهم عمل قام به هذا الفيلسوف ، اما تطبيقها في التربية والتعليم بشكل عملي فيعود الى اتباعه الذين توسعوا في تلك الفكرة وزادوا عليها وشرحوها ووضعوها بصورة قابلة للتطبيق في الطرق والاساليب التهذيبية .

معنى التربية وغايتها في نظر هربارت

لهربارت ميزة ترفعه عن مستوى بقية المربين المار ذكرهم وهي تضلعه في الفلسفة وعلم الاخلاق والمهم انه اكتسب فكرته عن معنى التربية والتعليم من تعمقه في الابحاث الفلسفية ، واما رأيه في الهدف الذي يجب ان ترمي اليه التربية الحققة فقد استمد من دراسة علم الاخلاق . عاكس هربارت فكرة القديسين الذين اهتموا اهمية التربية او

جعلوها ميكانيكية على الأقل وذلك لاعتقادهم ان قوى لا سيطرة لهم عليها هي التي تكيف خلق الانسان وطبعه . وكذلك رد هربارت على الاراديين الذين صرحوا بعدم فائدة التربية الخلقية اعتقاداً منهم ان الارادة جزء مستقل من العقل وهو يعمل مستقلاً عن بنية القوى العقلية . والارادة في نظر هربارت عمل عقلي ناتج عن الاطلاعات والافكار التي يملكها العقل . ويجب ان نذكر دائماً هذا الرأي الذي قدمناه عن الارادة في معرض كلامنا عن نظريات هربارت التهذيبية فالارادة اذن نتيجة العمل السابق او التجارب والاختبارات وليست شيئاً مستقلاً يقرر شكل العمل . ان غاية التربية خلقية في مذهب هربارت وقد صرح بهذه الفكرة في قوله المأثور الذي تتناقله اكثر الكتب التهذيبية : « ان غاية التربية وعملها الجوهرى ياخصان بكلمة واحدة وهي الفضيلة او الاخلاق الحميدة » .

وسائل هربارت وطريقته في التربية والتعليم

كيف نجعل التعليم مثقفاً مفيداً

ذكرنا آنفاً ان هربارت من اكبر مناصري فكرة الرغبة واليك ما قاله عن اهمية الرغبة وعلاقتها بالتعليم نقلاً عن كتابه « خلاصة النظريات التهذيبية » : « ان الغاية القصوى من التعليم هي الفضيلة . ولا أدراك هذا الهدف البعيد يجب ان نضع نصب اعيننا غاية اقرب الا وهي الرغبة باوجهها العديدة . » وقد اظهر العلاقة بين التربية والرغبة فقال : ان الارادة هي العمل ، والعمل الصالح نتيجة الافكار الفاضلة الصالحة والافكار تتولد بواسطة قوة الاستطلاع ، والاستطلاع ينشأ من النظر الى الاطلاعات الجديدة بنور الاطلاعات السابقة ، والاستطلاع نتيجة الملاحظة والادراك الحسي . فاذا لم نبث في نفسية الطالب رغبة تدفعه الى الملاحظة والتمييز بهمة وشوق ، فشلنا في مهمتنا المقدسة . فواجب الربى اذن ان يعتني بالامرئين الاتيين لتوليد الرغبة في الطلاب وتحريك شوقهم الى درسه : (١) حسن انتخاب مادة التعليم وجعلها مطابقة لغاية التربية . (٢) اتباع الطريقة التدريسية الموافقة لنمو الطفل البسيكولوجي . وسنبحث

باختصار في كل من هذين العاملين .

١ - حسن انتخاب المادة وارتباط الدروس (١)

تقتضي نظرية هربارت في ارتباط الدروس ان تكون المواضيع المتنوعة في المنهاج مرتبة ترتيباً يحفظ الوحدة ويجعل الدروس مساعدة بعضها لبعض والمهم في هذه الفكرة ان يأخذ المربي بعض الدروس ويجعلها محوراً لبقية الدروس . وقد شبه هربارت عقلية الطفل بعقلية الانسان القديم الساذج ، ورغبة الطفل في سنواته الاولى برغبة الانسان القديم ، وكلما تقدم الطفل في السن ترفت عقليته بنسبة ترقى العقل الانساني في اطواره التاريخية المعروفة . وغني عن البيان ان قيمة هذه النظرية قليلة من الوجهة التعليمية الفنية في رأي المربين المعاصرين في وقتنا الحاضر . الا انه لا يسعنا ان نشكر فائدتها في اصول التدريس لانا « اذا لاحظنا ان الانسان في قديم الزمان ، كان يعد بالاصابع ويحصى بالخصى ويثبت الاعداد بعقد يعقدها على الحياوط وان مراتب الاعداد لم تكن عشرية الا لان عدد اصابع اليد عشرة فقط » ، لتوصلنا الى وضع طرق مناسبة لتفهم الاطفال لاستطعننا جعل الدروس موافقة لنمو مداركهم .

٢ - طريقة هربارت

حاول قادة التربية الواقعية ان يضعوا طريقة عامة يسير بموجبها المدرس في تدريسه ، الا ان هربارت هو اول من وضع تلك الطريقة على اصول علمية يتمكن المعلم من اتباعها في القاء دروسه . وقد راعى هربارت المبادئ البسيكولوجية الجديدة في ترتيب طريقته الجديدة فقسمها الى اربع درجات : الوضوح ، التداعي او الترابط ، الخطوة ، الطريقة .

(١) راجع ص ٢٢ من كتاب اصول التدريس للاستاذ ساطع بك الحصري تجد فيه شرحاً وافياً وأمثلة عديدة عن تطبيق هذه الفكرة عملياً في اصول التدريس .

(أ) الوضوح

ويراد به ادراك او فهم شيء واحد وهو مبني على الملاحظة . وتقسم هذه الدرجة اي الوضوح — الى درجتين : (١) التحضير ويراد به ايقاظ الافكار القديمة التي يعرفها الطلاب والتي لها علاقة بالموضوع الجديد وترتيب تلك الافكار بصورة تسهل على الطالب ادراك المادة الجديدة . (٢) تقديم المادة بشكلها المحسوس لا المجرد اي تقديم الشواهد والامثلة .

(ب) التداعي

ويراد به ربط المادة القديمة والمادة الجديدة بصورة فعلية ويكون هذا العمل بتشغيل قوة الاستطلاع التي تعتمد في سيرها على قوة التصور والتخيل .

(ج) الخطة

يقصد هربارت بهذه الدرجة تجريد الفكرة العامة من الامثلة والشواهد المحسوسة ويكون ذلك باعمال قوة التفكير ويقتضي هذا العمل استعمال الاصطلاحات اللغوية المضبوطة وربط تلك الفكرة العامة ببقية الافكار العامة السابقة .

(د) الطريقة

وهي الدرجة الاخيرة ويقصد هربارت بكلمة — طريقة — تطبيق تلك الفكرة العامة التي اكتسبها الطفل بصورة عملية حتى ترسخ في ذهنه . وهذه الطريقة — بدرجاتها المذكورة — طبيعية في نظر هربارت اي ان المعلم يقوم بها احياناً دون ان يدرسها ويطلع على دقائقها . ويعتقد هربارت ان واجب المدرس الذي يتقن دوائر طريقته الجديدة ان يطبقها متجنباً التكلف والتصنع اي ينبغي عليه ان يقوم بها بصورة طبيعية لا شعورية .

نرى مما تقدم ان هربارت اهتم لاول مرة باصول التدريس فوضع طرقاً عملية تساعد المعلم في صناعته الدقيقة بخلاف بستالوزي الذي اهتم بـث روح جديدة في التربية ولم يعتن الاعثناء الكافي بالطرق والاساليب التعليمية . وقد اخص هربارت آراءه في التربية والتعليم في قوله المشهور: « التعليم يكون في المرء حلقة الفكر ، والتربية تكون الخلق والتعليم ركن من اركان التربية ، هذه زبدة آرائي في التربية والتعليم . »

النهضة الفروبلية

مميزاتها

لنهضة فروبل ميزة عظيمة وهي ان القسم الاكبر من نظرياته في التربية والتعليم لا يزال شائعاً ومستعملاً في وقتنا الحاضر . وتختلف نهضة فروبل عن نهضة هربارت في ان الاخيرة جعلت المعلم واصلاحه محوراً لاعمالها التهذيبية اي انها بالغت في اهمية المعلم واما نهضة فروبل فانها جعلت عمل الطفل الذاتي اساساً للنظريات التهذيبية واعتنت بتربية الطفل الاولى فابتكرت فكرة حدائق الاطفال ووضعت لها انظمة معينة مندرجها في هذا الفصل.

حياة فروبل واعماله (١)

ولد الفيلسوف والمربي الالماني فردريك فروبل (Froebel) (١٧٨٢ — ١٨٥٢) في قرية اوبرويسباك الالمانية وكان والده قساً بروتستانياً . ولكثرة اعمال والده ولوفاة والدته وهو في المهد نشأ فروبل ولم يحظ بتلك العناية التي تتمتع بها بستالوزي بل كان يقضي معظم اوقاته في الاحراج يتمتع بمظاهر الطبيعة ويناجي الطيور ولما بلغ العاشرة من عمره دخل المدرسة وبقي فيها زهاء اربع سنوات ، ويصف فروبل تلك المدة

(١) راجع دائرة المعارف البريطانية تجد مقالا ممتثاً عن فروبل بقلم العلامة كوكليك استاذ التربية بجامعة كامبردج

التي قضاها داخل جدران المدرسة فيقول انه لم يستفد في اثنائها شيئاً يذكر وذلك لعدم وجود وحدة بين المواضيع التي درسها ولعدم وجود علاقة بين تلك المواضيع والحياة العملية . وكان لفروبل ولع منذ صغره بالاعمال اليدوية فكان يأخذ الحطب ويحفر منه اشكالا جميلة غريبة . قضى فروبل طوور الفتوة بلا غاية معينة يسعى وراءها فدخل الجامعة ثم تركها قبل ان يتم دراسته فيها وتعاطى حرفاً عديدة كان الفشل نصيبه في كل منها واخيراً عزم على تعاطي صناعة التعليم فاشتغل بها مدة يسيرة في معهد فرنكفورت ثم تركه واستخدم مربيةً لثلاثة اولاد من عائلة غنية نظراً لشهرة معهد بستالوزي في ايفردون سار بالاولاد الى ذلك المعهد ودرس هناك على بستالوزي وبعد ان مكث سنتين في ايفردون رجع الى المانيا واتم تحصيله في احدى جامعاتها وسنة ١٨١٦ شرع في عمله الاصلاحى فأسس مدرسة للاطفال دعاها المعهد التهذيبى الالماني العام . وبالرغم من اسمها الكبير كان عدد طلابها خمسة اطفال فقط . وجميعهم من اقربائه . بقي فروبل في تلك المدرسة عشرة اعوام قضاها وهو يدرس الاطفال وميولهم ورغباتهم والتف خلال تلك المدة كتابه المشهور « التربية الانسانية » واخيراً عزم على تطبيق نظرياته بصورة عملية فأسس حديقة الاطفال Kindergarten سنة ١٨٣٧ وقضى بقية ايامه في نشر فكرته الجديدة داخل المانيا وخارجها .

آثار فروبل في التربية والتعليم

١ - حديقة الاطفال

ان الفكرة الاساسية التي شيدت من اجلها حدائق الاطفال هي مساعدة الطفل على اظهار شخصيته والسماح لقواه الكامنة الغريزية بالنمو والتكشف . ولا يتسنى له ذلك الا اذا جعلنا اعمال المدرسة تدور على محور فكرة « العمل الذاتي » فليست الغاية الجوهرية من حدائق الاطفال اكتساب المعلومات وانما هي النمو . والمعلومات واسطة للوصول الى هذه الغاية . وهذه المعلومات وان كانت في درجة ثانية من الاهمية فانها

ضرورية لا يتم بدونها النمو المنشود .

ويعتقد فروبل ان تدريب الطفل في سبيل هذه الغاية — اي مساعدته على اظهار شخصيته واستعداداته الفطرية — يكون بثلاثة امور : الحركات والاشارات ، الغناء وبقدر الامكان يجب ان تكون هذه العوامل الثلاثة مساعدة بعضها لبعض . فاذا روى المعلم للاطفال قصة فلا يجب ان يكتفي باعادة هذه الحكاية من قبلهم بمصطلحاتهم الخاصة وانما ينبغي ان يعطيهم هذه القصة بشكل انشودة ترافقها الاشارات والحركات او يطلب منهم رسم مناظرها على ورق ملون او صنعها من طين او ورق مقوى او خشب وبهذه الصورة يعمل الطفل عقله ويستعمل خياله ويدرب عضلات يديه وينمو ذوقه الفني . وقد وضع فروبل لهذه الغاية عدداً غير قليل من الاناشيد جمعها في كتاب خاص . « رأى فروبل ان الحركة هي اولى الطبايع بين صغار الاطفال بعد ان شاهد حركات الاذرع والارجل التي تصدر من الرضيع بدون قصد ثم ما يتلو من الجري والقفز ونحوها من الحركات التي اوحى بها الطبيعة لنمو عضلات الاطفال وقواهم الجسمية . ومتى كبر الطفل قليلا دفعته الطبيعة الى استخدام حواسه وعضلاته في اللعب (١) وبرز ما يمزج في عقله من الخواطر حتى انه لا يكاد يمر عليه وقت من الاوقات بدون ميل الى الحركة واللعب الذي هو نشاط مطبوع عليه . فنجد الاطفال تارة يحاكون القطار ويمسك كل منهم ذيل ثوب اخيه وتارة يحاكون الحصان وسائقه وكثيراً ما نراهم يلعبون بالكرات الصغيرة ويتفننون في اللعب بها حاسبين عدد حركاتها ناسين ما يقاسونه من التعب (٢)

وقد لاحظ فروبل ان الاطفال يميلون الى تأمل مشاهد الطبيعة فاشار باعداد جزء من الارض للزرع وحفظ الحيوانات ، في حديقة الاطفال . وشاهد ميلهم الى الحفر في الارض او اللعب بالطين او العجين او الرمل فابتكر عدة الاعيب سماها الهدايا بها يتمكن الطفل من اتمام بعض الاشياء لسهولة ومناسبتها لقواه العقلية والجسمية .

(١) راجع كتاب فلسفة التربية تأليف هورن وترجمتنا تجد بحثاً ضافياً عن اللعب . ص ٢٢

(٢) كتاب روضة الاطفال ص ١ - ٥ تعريب انصاف سري

وبذلك تنمو فيه فكرة التكوين والابداع والذكاء . ولا يتم شيء من هذا الا باطلاق العنان له في العمل بعد ان يرشده المربي الى الطريق القويمة واليك مثالا من هذه الهدايا الالاعيب التي وضعها فروبل :

الهدية الاولى

وهي مؤلفة من علبة بها ست كرات لينة من الصوف ، ألوانها مختلفة ، ثلاث منها تبين الالوان الثلاثة الاصلية وهي : الاحمر والاصفر والازرق ، والثلاث الاخر تبين الثلاثة الفرعية وهي البرتقالي والاخضر والبنفسجي . وغاية هذه اللعبة تمرين الطفل على معرفة الالوان ويتوقف حسن استعمالها على مهارة المربي .

الهدية الثالثة

وهي مكونة من صندوق محتو على مكعب كبير من الخشب مؤلف من ثمانية مكعبات صغيرة متساوية ويطلب من الطفل اخذ هذه المكعبات الثمانية وتألّف شيء بسيط من الاشياء المحيطة به فينشيء تارة كرسيّاً وطوراً مقعداً واحياناً نافذة او باباً وهلم جرا .

وهناك انواع اخرى كثيرة من هه الهدايا لا مجال لذكرها هنا . والمهم في هذه الالاعيب انها تتدرج مع نمو مدارك الطفل ولكل منها علاقة بالاعى .

اثر النزعة البسيكولوجية في المدارس

١ - اثر نهضة بستالوزي

ذ كرنا آنفاً ان بستالوزي قضى ايامه الاخيرة في مدينة ايفردون حيث اسس داراً للمعلمين . كانت هذه المدرسة مورداً يؤمه الطلاب من كافة اقطار اوروبا ويتزودون منه بافكار بستالوزي الجديدة ثم يرجعون الى بلادهم وينشرونها وبهذه الصورة انتشرت

فكرة دور المعلمين في فرنسا والمانيا وروسيا وإيطاليا وبريطانيا العظمى ، والفضل في ذلك يعود الى المربي السويسري هنري بستالوزي .

٢ — أثر نهضة هربرت

ينحصر اثر هربارت كما ذكرنا في تحسين طريقة التدريس وفي نظريته التي قابل فيها بين اطوار الحياة البشرية والادوار التاريخية وقد توصل الى نشر مبادئه هذه بتعميمها اولاً في الجامعات ثم اخذ خريجوها تلك الجامعات ينشرون نظرياته في المدارس الابتدائية .

٣ — أثر نهضة فروبل

لنهضة فروبل الفضل في انشاء حدائق الاطفال وتعميم هذه الفكرة في الاقطار المختلفة . ولا يخفى ان هذه الفكرة الجديدة لم تنتشر تماماً في ايامه ويعود الفضل في تعميمها الى اتباعه الذين بشوا الدعاية لها وازادوا عليها واصلحوها . واعم هؤلاء البارونة برتا التي قضت عمرها في خدمة هذه الفكرة الشريفة . والان لا تكاد تجد قطراً من اقطار العالم المتمدنة خلواً من هذه المعاهد للاطفال وتجد دوائر المعارف قد اخذت على عاتقها رعاية حدائق الاطفال لدى اكثر الائم الغربية

الخلاصة

ان النزعة البسيكولوجية في التربية والتعليم متممة للنزعة الطبيعية فاهتم قادتها بوضع اسس علمية لمبادئ روسو الطبيعية وتطبيق فكرته في المدارس بصورة عملية . وحاول حاملو لواء هذه النهضة التوفيق بين فكريتي الاجهاد والرغبة . وهم اول من وضع مبادئ علم النفس الجديد . اشهر مميزات هذه النهضة : « ١ » الاهتمام بطرق التدريس . « ٢ » الاعتماء بجعل سير التعليم مبنياً على دراسة الطفل والشفقة عليه . « ٣ » العناية بالتربية

الاولية . : ٤ « تعميم فكرة التعليم العام . مثلو هذه النهضة ثلاثة بستالوزي وهربارت وفروبل . نظر بستالوزي واتباعه الى التربية كنمو طبيعي للطفل فكراً وخلقاً وجسماً واعتبروا التربية الوسطة الواحدة للقيام باصلاح اجتماعي عام . طبق بستالوزي الطريقة الاستقرائية في اصول التدريس وقال بوجوب جعل محيط الطفل التعليمي موافقاً لمداركه . واعم ما جاء به بستالوزي مذهبه في جعل المحبة والشفقة اساس العلاقة بين الطالب والمعلم . اما هربارت فقد جعل الغاية من التربية خلقية وقال ان للافكار علاقة قوية بالخلق ولذلك عني بطريقة التدريس وحسن انتخاب المادة وربط القديم بالجديد ولارائه مكانة عظيمة لانها مبنية على مبادئ بسيكولوجية حديثة اهمها مبدأ الاستطلاع (Apperception) . وله نظرية مشهورة ترمي الى مقابلة اطوار الحياة البشرية بالاطوار التاريخية المعروفة ، فدور الطفولة يقابل دور الانسان القديم الساذج وهلم جرا . فزى ان هربارت بالغ في تقدير مهمة المعلم ، واما فروبل فانه جعل الطفل مركزاً لنظرياته في التربية والتعليم فاهتم بالتربية في الادوار الاولى وجعل « العمل الذاتي » اساساً لنمو الطفل فابتكر فكرة حديقة الاطفال ونظمها وجعل الالاعيب والانشيد والاعمال اليدوية قوام معهد الجديد .



الفصل الثالث عشر

النزعة العلمية الحديثة

تميزاتها العمومية ، الثقافة التي تقتضيها الحياة العصرية ، نظريات العلماء الطبيعيين في التربية والتعليم ، التربية في نظر سبنسر ، توماس هاكسلي ، العلوم في المناهج التدريسية ، في الجامعات والكليات ، في المدارس الثانوية ، في المدارس الابتدائية الاولى ، الخلاصة .

مميزات النزعة العلمية الحديثة

ذكرنا في بحثنا عن التربية الواقعية أنها تحتوي على بذور النزعة العلمية الحديثة . وإذا تبعنا نشوء الحركة العلمية من عصر يمكن الى اوائل القرن التاسع عشر لوجدنا ان هناك عدة عوامل كان لها الاثر في سرعة تطورها واعم هذه العوامل : النزعة الطبيعية التي قدرت اهمية دراسة الطبيعة ، والنزعة البسيكولوجية التي ادخلت « دروس الاشياء » في مناهج المدارس . ثم نشأت العلوم البيولوجية والطبيعية وتقدمت وترقت الى ان جاء القرن التاسع عشر وهو في الحقيقة عصر العلوم .

للنزعة العلمية الحديثة ميزتان ذكرناهما خلال بحثنا عن التربية الواقعية الحسية وهما (١) الاهتمام بمادة الدروس ودراسة المشاهد والمظاهر الطبيعية . (٢) الاعتراف

بقيمة الطريقة الاستقرائية في دراسة الطبيعة . ولقد كان ترقى العلوم الطبيعية وتقدمها وتنظيمها من اهم الاسباب التي ساعدت على ادخال تلك العلوم في المناهج التدريسية . لا يقبل موضوع او درس جديد في المناهج التدريسية الا بعد ان يتخذ شكلا منطقياً معيناً محدوداً . فلما ترفت العلوم الطبيعية بتوالي الاختراعات والاكتشافات قام قادة هذه النزعة العلمية يحاولون ادخالها في المدارس فتعذر عليهم ذلك في بادىء الامر ولم يتوصلوا الى غايتهم هذه الا بعد جدال طويل وبصورة تدريجية . والسبب في ذلك ان المناهج التدريسية التي ارادوا تعديلها واصلاحها كانت تضم الاديان العالية Classics والرياضيات وهذه العلوم كما لا يخفى دونت بشكل كامل واسلوب منطقي مضبوط فنشأ من جراء ذلك نزاع طويل بين المتسحكين بتلك العلوم (المربين الترويضيين) وبين المجددين (قادة النزعة العلمية) الذين يريدون استبدالها بالعلوم الطبيعية . وسأخذ فكرة عامة عن اراء المربين العلميين المتجددين حينما ندرس الفيلسوف الانكليزي سبنسر ونظرياته في التربية والتعليم .

الثقافة التي تقتضيها الحياة المصرية الحاضرة

عرف اليونان التربية الحرة فقالوا عنها انها الثقافة التي تليق بالرجل الحر وتعدده للاستفادة من حقوقه . ثم جاء عصر النهضة والتربية الانسانية فقدموا للتربية الحرة التعريف الاتي : « هي تلك التربية التي تعمل على تنمية مواهب المرء السامية الجسمية والعقلية معاً » (١) ثم ترفت العلوم والفنون وقطعت شوطاً بعيداً لم يكن ليحلم به مفكرو عصر النهضة فاصبح من الواجب تعريف التربية الحرة بمقتضى هذا التقدم والرقى . فالتربية الحرة بمعناها الحديث هي تلك التربية التي تعد المرء لصناعته في الحياة ولجميع علاقاته الاجتماعية والسياسية . ففي العصور الوسطى واوائل العصور الحديثة كان درس اللغتين اليونانية واللاتينية ضرورياً لانه كان الوسيلة الوحيدة لتنمية مواهب

المرء السامية الجسمية والعقلية . واما في القرن التاسع عشر فقد اخذت الناس تشعر بقلّة اهمية هذه اللغات وآدابها وبدأوا يشعرون بوجوب تعديل المناهج المدرسية وادخال اللغات العصرية الحية كالالمانية والفرنسية والانكليزية وسواها لما لها من العلاقة بحياة المرء العملية . وكذلك اخذوا يقدرون اهمية العلوم الطبيعية بسبب الاكتشافات والاخترعات وتطبيقها في الحياة العملية اي في الحياة الصناعية والزراعية . فتغير شكل الثقافة التي تقتضيها الحياة العصرية الحاضرة وكل ذلك بفضل النهضة العلمية الحديثة .

نظريات العلماء الطبيعيين في التربية

١ — سبنسر

حياة سبنسر (١) Spencer (١٨٢٠ — ١٩٠٣)

تشبه حياة هربرت سبنسر بسلسلة كل حلقة من حلقاتها العديدة فعل من اعظم الافعال التي اتما وسط الشدائد والمشقات والاهوال فقد جاهد في بدء امره جهاد الابطال في قتال الفقر وقهر العسر لانه لم يكن ذا ثروة يعتمد عليها ويتفرغ للفلسفة آمناً شر الفقر وهم الحاجة ، وابتدأ بتصنيف كتبه وطبعها وهو قليل المال فلم يقبل الناس على مشتراها كما هو شأنهم في كل بحث دقيق عويص فخسر بطبعها أكثر ما كان عنده من المال وقال في هذا الصدد انه لما بلغ الثلاثين من عمره واراد ان يطبع كتابه عن الاحوال التي لا غنى عنها لسعادة الانسان فلم يجد صاحب مطبعة ولا صاحب مكتبة يطبعه على نفقته كما هو المعتاد مع المؤلفين الاوروبيين لان ابحائه فلسفية عويصة فطبعه على نفقته وكان عدد نسخ الطبعة ٧٥٠ نسخة فقط فكسدت كساداً شديداً ولم تنفق الا بعد اربع عشرة سنة . وبعد طبعه بخمس سنوات طبع كتابه في الفلسفة العقلية (البيسيكولوجيا) واهدى عدداً كبيراً من ٧٥٠ نسخة طبعها منه فظل ما بقي منها



الفيلسوف الكبير هربرت سبنسر

(١٨٢٠ - ١٩٠٣ م)

(راجع ص ٢٠٤)

انتي عشرة سنة حتى نفد. ثم طبع مجموع مقالات له ولكنه لم يطبع غير ٥٠٠ نسخة منها حذراً من الخسارة كانه علم بالاخبار ان كتبه تشبه كتب مؤلفي الشرق في الرواج ومع كل ذلك لم تنفق هذه ايضاً الا بعد مرور عشر سنوات ونيف على طبعها.

على ان ذلك لم يكن ليشنيه عن عزمه بل انه لما بلغ الاربعين من العمر عقد النية على طبع فلسفته واعلن انه يطبع اربعة اجزاء سنوياً للمشتريين ثم يصدرها في مجلدات للمشتريين. فحضر على المجلدات الثلاثة الاولى حتى رأى انه اوشك ان يمسي صفر اليدين وانه واقع في الافلاس لا محالة اذا لم يتدارك امره بالحكمة، فاعلن للمشتريين انه اوقف اصدار فلسفته وبقي منغص العيش يتحسر ولكن شاء القدر ان لا يحرم العالم من ثمرات عقله فاصاب مالا بميراث فاستأنف في الحال العمل ولم يطل عليه المطال حتى اخذت كتبه تروج بعد طول الكساد وجعل يربح منها ما يستعين به على طبع غيرها وهكذا قضى سبنسر ربع قرن يجد بلا اجر ولا مكافأة ولا مضجع غير اثبات ما يعتقده حقاً وخدمة للبشر.

ولو كان الفقر وحده خصمه لكان عليه الامر ولكن اعتراه الضعف والسقام لشدة جهوده العقلية وبالرغم من ضعفه اتم كتابه في الفلسفة المؤلف من عشرة مجلدات. وكان سبنسر يقول انه يجب على الانسان ان يجعل العلم والعمل واسطة لادراك السعادة والنعيم لا ان يجعلها غاية حياته. وكان لا يقرأ كثيراً ولكنه يستوعب ما يقرأ وقلما كانت تفوته قراءة ما له علاقة بمباحثه. قال مرة: لو كنت اكثر من القراءة كغيري لكنت معارف في قليلة كمعارفهم.

فلسفته

شاد سبنسر للفلسفة اسمى صروح توصلت اليها عقول البشر ففاقت فلسفته فلسفة ارسطو وكنت وهيكل واوغست كونت وغيرهم من اقطاب الفلسفة الذين نبغوا في العصور الغابرة والايام الحاضرة وقد بناها على اسس الحقائق العلمية لاعلى القضايا

الركبة من مواد الفرض والظن والحدس والتخمين وسماها فلسفة الضم أو التركيب، مدارها كلها من اولها الى آخرها على ان الارتقاء من البسيط الى المركب ومن المتماثل الى المتنوع هو سنة هذا الكون وان كل ما فيه من السديم الذي يقال ان الارض كونت منه، الى الانسان اكمل الكائنات الارضية باقواله وافعاله وافكاره وتصوراته وآرائه ومعتقداته — جار على تلك السنة وخاضع لها.

نظرياته في التربية والتعليم

اصدر سبنسر سنة ١٨٦٠ كتابه المشهور في « التربية الفكرية والخلقية والجسمية » واليك نبذة من هذا الكتاب تتجلى فيها نزعتة العلمية في التربية والتعليم . قال : « ان اكبر برهان على عدم فضج التربية في عصرنا الحاضر هو قلة اهتمام المفكرين بترتيب العلوم وتصنيفها بمقتضى قيمتها النسبية المتقابلة . فينبغي ان نصنف العلوم والمعارف بالنسبة الى قيمتها في الحياة وان ننظر فيما اذا كان التعب والجهد الذي نبذله في تحصيل علم ما، يعادله فائدته العملية . فالغاية من التربية في نظري « تهية المرء للحياة الكاملة » ويكون هذا التحضير : (١) باكتساب المعلومات التي تساعد الانسان في حياته الفردية والاجتماعية . (٢) بتوليد القوة لاستعمال هذه المعلومات . » ثم يذكر سبنسر هذا الجدول المشتمل على تصنيف العلوم بالنظر الى فائدتها .

(١) المعلومات التي تساعد على صيانة حياة المرء والمحافظة عليها مباشرة كعلم وظائف الاعضاء وحفظ الصحة والطبيعات والكيمياء .

(ب) المعارف التي تعمل على حفظ الحياة بصورة غير مباشرة كالعلوم والفنون التي تؤمن الثروة المادية كالصناعات والمسالك المختلفة .

(ج) المعرفة التي من شأنها ان تساعد المرء على تربية اولاده وخدمة افراد عائلته .

(د) معرفة الحياة الاجتماعية والسياسية اي تلك العلوم التي تحتوي على الابحاث الاجتماعية والسياسية المدنية .

(هـ) وفي المرتبة الاخيرة تأتي العلوم والفنون التي يدرسها المرء لتفضية اوقات الفراغ وهي الادبيات والفنون الجميلة الرفيعة واللغات الاجنبية وآدابها .
فترى من هذا التصنيف ان العلوم الطبيعية اهم واولى بالدرس من العلوم الاجتماعية في نظر الفيلسوف الانكليزي هربرت سبنسر . ونجد انه قد قضى على مكانة الاداب والفنون واستبدلها بالعلوم الطبيعية .

٢ — هاكسلي [Huxley]

مباينه

ولد توماس هاكسلي (١٨٢٥ — ١٨٩٥) في قرية بالقرب من لندن وكان ابوه مدرساً هناك ، فقرأ فيها مبادئ العلوم ثم عكف على الدرس والتثقيب وتعلم اللغة الالمانية وغاص في بحار علومها لانها اغنى لغات الارض بالكتب العلمية ودخل مدرسة طبية في مدينة لندن ولم يكتف بدرس ما وجده في الكتب وسعده من الاساتذة بل كان يبحث وينقب بنفسه . ومارس صناعة الطب مدة وجيزة ثم انضم الى جمهور اطباء الذين التحقوا بخدمة الجنود البحرية وذهب في سفينة من سفن الحكومة ارسلت لقياس أعماق البحار في الاقاصي الجنوبية فاقبلع بهاسنة ١٨٤٦ ولم يعد حتى سنة ١٨٥٠ . واقامت السفينة اكثر هذه المدة شرقي جزيرة استراليا وشمالها فاعتنت الفرصة للبحث في الحيوانات البحرية التي رآها هناك وكان يصف ما يراه وصفاً علمياً مدققاً ويبحث به الى انكشرا لينشر في جرائدها العلمية فاشتهر اسمه بين رجال العلم وانتخب عضواً في الجمعية الملكية ثم عين استاذاً للتاريخ الطبيعي في مدرسة المعادن الملكية وعين ايضاً ممتحناً في جامعة لندن .

وانتظم في كثير من الجمعيات العلمية والتعليمية وله فضل كبير في اصلاح شأن التعلم في بلاده . ولما صار له من العمر ستون سنة تفرغ للبحث والدرس ولم يترك فرعاً من فروع علم الحيوان وعلم الحياة حتى وسعه واغناه بمكتشفاته ويعد من اشهر علماء العالم في علم الحياة (١) .

اراء الاستاذ هاكسلي في التربية والتعليم

للعالم الانكليزي هاكسلي مكانة سامية في تاريخ التربية وذلك لجهوده العظيمة في مقاومة التربية اللغوية اللفظية، ولسمعه الحث في ادخال العلوم الطبيعية في المناهج التدريسية . واليك نبذة من اقواله التي ينتقد فيها التربية الشائعة ويحاول جعل التربية علمية عملية : « لنقف الان برهة من الزمن نبحث فيها عن احوالنا التهذيبية المتناقضة وسيأتي يوم يستشهد فيه الانكليز بما اكتبه الان ، عن درجة الغباوة التي اتصف بها اجدادهم في القرن التاسع عشر . الامة الانكليزية تجارية استعمارية يتوقف رخاؤها وسعادتها على فهم القوى الطبيعية والنظم الاجتماعية والسيطرة على هذه العوامل . ولكن لنر نوع التربية التي يتلقاها الشاب في المدارس . يدخل الانكليزي المدرسة وينهك فيها قواه الفكرية والجسمية مدة اثنتي عشرة سنة وبصرف ما يقارب الفأ أو ألفي جنيه . ولكن ما هي الفائدة التي يجنيها من هذا التحصيل ؟ يخرج من المدرسة وهو لا يعرف شيئاً عن الامور التي يحتاجها في حياة الجد والعمل . يدخل معترك الحياة والعمل وهو لا يعرف كيف تصنع الحاجيات المتداولة . لا يفرق بين الصادرات والواردات ولا يفقه معنى كلمة « رأس المال » . يذهب الى المستعمرات وهو لا يميز فيما اذا كانت « تساميا » جزءاً من ولس الجنوبية الجديدة او بالعكس : ... وربما انتخب عضواً في مجلس العوام (النواب) وهناك ينكب على سن الشرائع والقوانين وهو لا يعرف معنى القوانين الاقتصادية ولا يميز بين حرية التجارة وحمايتها ولا يفهم شيئاً من الانظمة السياسية والاجتماعية . فالقوة العقلية التي يجدر بالانكليزي ان يتصف بها في حياته العملية هي النظر الى الامور رافعاً حجاب السلطة والتقاليد فيتوصل الى الفكرة العامة مبتدئاً بالحقائق الجزئية . ولكن لا يتسنى ذلك للطالب في مدارسنا وبالإلأسف ! الم اقل لكم انا في حالة تناقض غريبة ؟ فهل يحق لنا ان ندعو التربية التي تهمل كل هذه المواضع — تربية حرة ؟ » .

ها كسلي يعرف التربية الحرة

تلك هي انتقادات ها كسلي للتربية الانكليزية الشائعة في زمنه ، واليك تعريفه للتربية الحرة الحقة : « ان الرجل الذي نشأ على تربية حرة هو ذلك الشاب الذي درب في صغره حتى اصبح جسمه خادماً لارادته فيقوم باعماله بكل ارتياح وسرور ، هو ذو ذهن الصافي المنطقي ، ذو عقل قوي حاضر للعمل ، هو ذلك الشاب الذي يفهم حقائق الطبيعة ويتنقل من موضوع الى آخر بلا اجهاد وصعوبة . اهوؤه وشهواته خادمة ومطوعة لارادته الخازمة القوية . يحب الجمال سواء أكان في الطبيعة ام في الفن . ينفر من الرذيلة ويحترم نفسه وسواه . ذلك هو الرجل المهذب تهذيباً حراً جامعاً . »

العلم في المدارس

في الكليات والجامعات

لا يسمح لنا المقام في هذا الكتاب ان نتبع تطور النزعة العلمية في الجامعات والكليات المختلفة فنذكر بتفصيل كيفية تأسيس المعاهد العلمية المدنية . ولهذا سنكتفي بتقديم كلمة موجزة عن نظام الدروس الانتخابية الاختيارية لمساله من العلاقة بادخال العلوم في مناهج الجامعات . فعوضاً عن قلب المناهج التدريسية واهمال اللغات القديمة وآدابها واستبدالها بالعلوم الطبيعية العملية ، اخذ القائمون بشؤون الجامعات يفتحون شعباً جديدة فشعبة للكيمياء مثلاً واخرى للنباتات وهلم جرا . ثم سمحوا للطالب ان يختار فرعاً من هذه الفروع ويتوسع ويتعمق في درسه . وعليه في الوقت نفسه ان يلم ببقية المواضيع الامام الكافي . وتجد اليوم هذه الخطة متبعة في اكثر الجامعات الغربية الحديثة .

في المدارس الثانوية

في المانيا — ادخلت دراسة العلوم في gymnazium الالماني سنة ١٨١٦ وخصصت ساعتان في الاسبوع لدرسي الطبيعيات والتاريخ الطبيعي . وسنة ١٨٥٥ اسست مدارس جديدة تحتوي مناهجها على اربع ساعات في الاسبوع لدراسة الكيمياء والطبيعيات وعلم المعادن

والتاريخ الطبيعي . وعلى اثر تأسيس المدارس الاختصاصية الصناعية زاد الاهتمام بالعلوم في المقاطعات الالمانية .

في انكلترا — ذكرنا تأسيس المجامع العلمية في انكلترا خلال بحثنا عن التربية الواقعية في المدارس . على ان عمل هذه المجامع كان ضئيلا بالنسبة لاهمية العلوم . ولما بحث مجلس العوام قضية العلوم في المدارس الثانوية سنة ١٨٦٨ وجد ان ٥٧٢ مدرسة ثانوية تساعد الحكومة ليس للعلوم أثر في مناهجها فتقرر ادخال العلوم وهكذا انتشرت دراسة العلوم في المدارس الثانوية الانكليزية « Public Schools »

في المدارس الابتدائية

على اثر نهضة بستالوزي انتشرت دراسة العلوم في المدارس الابتدائية الاولى وخصوصاً « دروس الاشياء » . واذا نظرنا في مناهج المدارس الاولى الالمانية الحالية نجد انهم قد خصصوا ساعتين في الاسبوع للعلوم في الصفوف الاولى واربع ساعات في الدورة الثانية من المدارس الابتدائية . واما في انكلترا وامريكا فقد كانت الدراسة مؤلفة من دروس القراءة والكتابة والحساب ولم تدخل العلوم في المناهج بصورة رسمية الا في اواخر القرن التاسع عشر حينما ادخلوا دروس الاشياء والجغرافية . ونجد الحالة نفسها اذا تتبعنا ادخال العلوم في بقية الاقطار الغربية .

الخلاصة

ان النزعة العلمية في القرن التاسع عشر تمة للتربية الواقعية الحسية . اهم مميزاتها : (١) اهتمامها بمادة الدروس وخصوصاً بالمعلومات الطبيعية . (٢) اعتناؤها بالطريقة الاستقرائية . وقد زاد نشاط هذه النهضة في القرن التاسع عشر لترقي العلوم الطبيعية على اثر الاكتشافات والاختراعات الحديثة . اشهر قادة هذه النزعة الجديدة سبنسر وهاكسلي اللذان انتقدا مادة التدريس وطرقه القديمة وطالبوا بوجوب ادخال العلوم العملية المفيدة في المناهج . وللنزعة العلمية الحديثة الفضل الاكبر في ادخال العلوم في المناهج الاولى والثانوية والعالية .

الفصل الرابع عشر

النزعة الاجتماعية في التربية والتعليم

مميزاتها العمومية - اعمال بستالوزي وهربارت وفروبل من الوجهة الاجتماعية ؛ النزعة العلمية من وجهة اجتماعية ؛ بعض الزعماء السياسيين واراوهم في التربية والتعليم ؛ انثريية تعد المرء للحياة المدنية ؛ مكانة التربية في نظريات علم الاجتماع ؛ نظم التربية والتعليم في الحكومات الحديثة ؛ في ألمانيا ؛ في فرنسا ؛ في انكلترا ؛ في الولايات المتحدة الاميركية ؛ النزعة الصناعية ؛ الخلاصة .

مميزاتها العمومية

قبل ان نبدأ بذكر مميزات النزعة الاجتماعية يستحسن ان نقابل بينها وبين النزعة البسيكولوجية . فعلماء النفس درسوا حالة الطفل النفسية وعنوا بطرق التدريس واصوله وقالوا ان التربية تعمل على نمو الفرد التدريجي . اما علماء الاجتماع فقد درسوا تركيب النظام الاجتماعي والاعمال الاجتماعية وعملوا على تنمية المجموع ، وقالوا ان غاية التربية تنحصر في تهيئة الفرد للنجاح في الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كعضو عامل في الهيئة الاجتماعية .

للنزعة الاجتماعية ميزتان مهمتان : (١) ان الاعثناء يجعل مادة التدريس ملائمة

لكل طور من اطوار التربية — اي من حديقة الاطفال الى الدراسة العالية في الجامعات —
 لمن اهم مميزات النزعة الاجتماعية . (٢) نتيج من هذا الاعتناء ببحث في قيمة العلوم فأخذ
 المربون والمصلحون يعيدون النظر في مناهج المدارس فحذفوا قسماً كبيراً من الدروس
 القديمة ورتبوا البقية ترتيباً يتناسب مع مطالب المحيط الاجتماعية . فلما وضعوا القضية
 بهذا الشكل ، اي ماهي العلوم الجديرة بأن يدرسها الفرد حتى ينجح في الهيئة الاجتماعية ،
 كان اهل التراث اللغوي الادبي من المناهج والاعتناء بالدروس الطبيعية والاجتماعية
 نتيجة طبيعية لعملهم الاصلاحى . فاهم نتائج النزعة الاجتماعية اذن اهل التربية
 الانسانية ومضاعفة العناية والاهتمام بالعلوم الطبيعية الاجتماعية .

اعمال بستالوزي وهربارت وفروبل من وجهة اجتماعية

رأينا في الفصول السابقة ان كبار المصالحين كبستالوزي وهربارت وفروبل قد
 حصروا عنايتهم في غاية التربية وطرقها واساليبها وسنرى في هذا البحث كيف انهم لم
 يهملوا الوجهة الاجتماعية من التربية بل طرقوها وكانت لها اهمية كبيرة في نظرهم .
 فلو اعدنا النظر فيما كتبناه عن بستالوزي لرأينا ان تحسين حالة الفقراء والايتم
 والبائسين كان هدفه الوحيد الذى رعى اليه في نظرياته واساليه التهذيبية ، اي ان
 ذلك المربي السويسري اتخذ التربية والتعليم واسطة للقيام بالاصلاح اجتماعي . درس
 بستالوزي الهيئة الاجتماعية وشخص امراضها وقال ان الوسيلة الوحيدة لتلافي عدم
 المساراة بين البشر هي التربية الصحيحة والتعليم العملي المفيد فكرس حياته لخدمة هذا
 المبدأ وتعميمه .

واما هربارت فانه جعل الفضيلة والاخلاق الصحيحة غاية التربية ، فاذا قامت التربية
 بواجبها اي اذا توصلت الى بث الفضيلة والاخلاق الحميدة بين الافراد فالهيئة الاجتماعية
 وهي مؤلفة من هذه الافراد — تسير بطبيعتها مامية داعي الفضيلة والحلق الحسن .
 واما فروبل فانه جعل محيط الطالب — كما نشاهده في حدائق الاطفال — صورة
 مصغرة للهيئة الاجتماعية الكبرى فيكتسب الطفل منذ الصغر فكرة حقيقية عن المجتمع

البشري كما ينبغي ان يكون، اذ ان فروبل رتب انظمة حدائق الاطفال لتمثل للطفل المجتمع البشري كما يقتضية المثل الاعلى .

النزعة العلمية من وجهة اجتماعية

تتفق النزعتان العلمية والاجتماعية في الفكرة الآتية : وهي معاكسة النزعة الترويضية والاهتمام بجعل مادة الدروس موافقة لمقتضيات المحيط . وتختلفان في نقطة مهمة وهي ان النزعة العلمية اهتمت بدراسة العلوم الاجتماعية وحصرت عنايتها بالعلوم الطبيعية . واما النزعة الاجتماعية فانها حضت على دراسة العلوم الطبيعية والاجتماعية ولذلك فهي اعم من الاولى واصح واكثر مطابقة لما يتطلبه المحيط في وقتنا الحاضر .

بعض الزعماء السياسيين وآراؤهم في التربية والتعليم

ان اول الامم التي اعترفت بواجب الحكومة والمسؤولية الملقاة على عاتقها في نشر التربية والتعليم بين طبقات الشعب المختلفة والتي جاهرت باهمية التربية السياسية والاجتماعية — هي الشعوب الجرمانية . فقد رأينا كيف ان هذه الامم — لاسباب دينية — اخذت على عاتقها امر التربية والتعليم منذ اواخر القرن السادس عشر ، واول الملوك الذين ادر كوا اهمية التربية وعلاقتها بسعادة الامة هو فردريك الكبير ملك بروسيا (حكم من سنة ١٧٤٠ — ١٧٨٦) فهو الذي قال : « ان اهم الواجبات الملقاة على عاتق الحكومة هي العناية بالمدارس ونشر مبادئ التربية الصحيحة ، اذ بها تتوصل الامة الى سعادتها » وقد صرح الجمهوريون الفرنسيون عقب الثورة بامثال هذا القول ولكنهم لم يشرعوا في تطبيق هذه الفكرة هناك الا في اواسط القرن التاسع عشر . اما في الولايات المتحدة الاميركية فقد حض واشنطون على نشر مبادئ التربية الصحيحة ، ولكنه اراد بذلك نشر العلوم والفنون وتنوير الازهان . واما جفرسون ، وهو من اشهر ساسة اميركا في عهدها الاول ، فقد قال في خطاب ارسله الى واشنطون

ما يأتي : « لاتدوم لنا حريتنا الا اذا دعمتها تربية صحيحة ، وواجب الحكومة الاول هو تعهد امور التربية والتعليم . » وقال جيمس ميدسون الرئيس الرابع للولايات المتحدة قولاً مأثوراً تتناقله اكثر كتب التربية والتعليم وهو : « ان الحكومة الديمقراطية بلا تعليم عام لاشبه شيء بمهزلة او مأساة وربما كليهما . فاحسن خدمة يمكننا ان نقوم بها لامة من الائم — بعد تأمين حريتها واستقلالها — هي توير الكبار وتعليم النشء الصغير ليتسنى لتلك الامة المحافظة على تلك البركة . »

النظم التعليمية في الحكومة الحديثة (١)

١ - في المانيا

تلزم الحكومة الالمانية كل طفل صحيح البدن على الدوام في مدارسها بين السنة السادسة والسنة الرابعة عشرة وتعاقب اولياء الاطفال اذا تقاعسوا عن القيام بهذا الواجب وتفرض عليهم غرامة مالية او تسجنهم اذا اقتضى الامر . وتطبق الحكومة هذا القانون بكل شدة وصرامة ففي احصاء سنة ١٨٩٣ وجدت السلطة ٩٤٥ طفلاً فقط تخلفوا عن دخول المدارس وذلك من مجموع ٥٠٢٩٩٣١٠ اطفال . اي ان الذين تقاعسوا عن التعليم بنسبة اثنين في العشرة آلاف .

المدارس

المدارس الابتدائية في المانيا منتشرة في كل قرية ومدينة . وفي القرى يستعمل طراز التعليم المختلط اي يتعلم البنون والبنات في مدرسة واحدة واما في المدن الكبيرة فتوجد مدارس للذكور واخرى للاناث ومدة الدراسة في هذه المدارس العمومية ثمان سنوات (من ٦ — ١٤) وهي معدة لعامة الشعب والذي يتخرج منها لا يتمكن من الدخول في اية مدرسة عالية ما عدا دور المعلمين ، هذا اذا ظهر التلميذ كفاءة ونبوغاً ،

(١) يتناول هذا البحث النظم التعليمية كما كانت في اوروبا قبل الحرب العامة وقد اعدنا كتاباً خاصاً يتناول التغيرات التهذيبية الحديثة المعاصرة بعد الحرب .

فترى ان النظام التعليمي الالماني يقتل روح الديمقراطية ، ولا يسمح لمن كان من عامة الشعب ان يحصل تحصيلاً عالياً ، وهذا موطن الضعف في النظام الالماني . واما الطبقة الوسطى والعالية فانها تسحب اولادها من المدارس الابتدائية عندما يبلغون العاشرة من عمرهم وتدخلهم المدارس الثانوية (الجننازيوم) حيث يقون تسعة اعوام وبعد ذلك يدخلون احدى الجامعات

تدفع الحكومة الالمانية نصف نفقات المدارس والثلث تجمعها الحكومة من رسوم محلية في كل قرية او مدينة والباقي اما ان تجمعها من هبات الموسرين او من اقساط الاغنياء من الطلاب والنزعة الحالية في المانيا ترمي الى جعل التعليم مجانياً للعموم .

المعلمون

تجمع الحكومة الطلاب النابغين من المدارس الابتدائية ، وترسلهم الى مدارس المعلمين حيث يدرسون اصول التربية والتعليم ثم تعيدهم ليدرسوا في المدارس الابتدائية . واما مدرسو المدارس الثانوية فيكونون عادة من متخرجي الجامعات . ولا توظف الحكومة الالمانية في مدارسها الابتدائية الا المتخرجين من مدارس المعلمين وترتبط معهم على ان تستخدمهم طيلة حياتهم . ومعدل راتب اصغر معلم في المانيا قبل الحرب ٧٥ ليرة انكليزية سنوياً ما عدا تخصيصات السكن والنور والوقود ، واكبر راتب يتناوله المعلم ٢٧٥ ليرة انكليزية . وتزداد رواتب المعلمين بنسبة السنين التي يقضونها في الخدمة .

٢ - في فرنسا

تطبق فرنسا ايضاً نظام التعليم الالزامي فتفرض على الاطفال الدوام على المدرسة من السنة السادسة الى السنة الثالثة عشرة . ويعد النظام التعليمي في فرنسا من اكمل نظم العالم والمدارس فيها درجات : مدرسة الحضنة (Ecoles Maternelles)

وهي تعنى بالاطفال من السنة الثانية الى السنة السادسة ويمتدح الطفل فيها من الصباح الى المساء فيتسنى للام الانصراف الى عملها . وهناك نوع آخر من هذه المدارس يعرف بمدارس الاطفال (Ecole Enfantine) وهي تعنى بالطفل من السنة الرابعة الى السنة السابعة وتعد للذخول الى المدارس الاولية . وجميع مدارس الاطفال في فرنسا مجانية ، وبعد ان يتم الطفل تحصيله في احدى هاتين المدرستين ينتقل الى المدرسة الاولية الابتدائية Ecole Primaire Elémentaire حيث يبقى من السنة السادسة الى السنة الثالثة عشرة . ولا تجمع فرنسا بين الذكور والاناث في هذه المدارس الا في القرى الصغيرة ، والتعليم الديني مفقود في جميع المدارس .

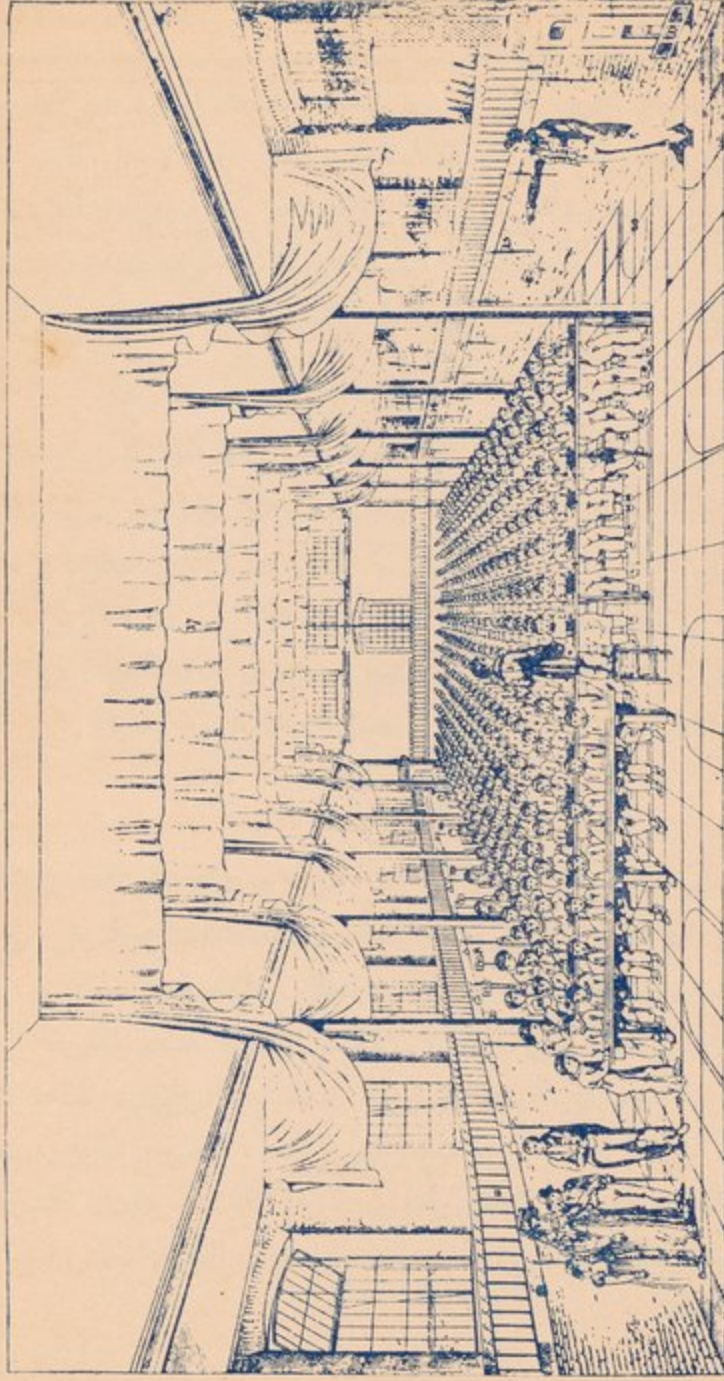
يتخرج الطالب من المدارس الاولية الابتدائية ويدخل المدارس الاولية العالية Ecole Primaire Supérieure وهي شعبتان : شعبة مدة الدراسة فيها قصيرة تعد المرء لحياة العمل ، ومنها ينتقل الطالب الى المدارس الصناعية او الزراعية اذا شاء او لدور المعلمين . واخرى يستعد بها للذخول الى الجامعة ومدة الدراسة فيها خمس سنوات (وهي تعادل المدارس الثانوية في بلادنا) وتعرف بالليسي Lycée . والذي يتخرج من المدارس الثانوية يحق له الذخول في الجامعات فيتخصص اما في الطب او الهندسة او الحقوق او الآداب على انواعها . وتقوم وزارة المعارف الفرنسية بمصاريف التعليم الابتدائي والعالي وانما يدفع الطلاب في الجامعات اقساطاً زهيدة لا تتجاوز الجنيه او الجنيهين مساهمة .

المعلمون

مدارس المعلمين في فرنسا على نوعين : ابتدائية وعالية . ويبلغ عدد مدارس المعلمين الابتدائية ٨٧ للذكور و ٨٥ مدرسة لتحضير المعلمات . واما مدارس المعلمين العالية فثلاث فقط : واحدة للذكور واخرى للاناث ومدرسة لتحضير الاختصاصيين بتربية الاطفال .

ومدة الدراسة في دور المعلمين الابتدائية ثلاث سنوات وحينما يتخرج منها المعلم

مدرسة يدورها العرفاء في لندن سنة ١٨٣١



انتكر الدكتور ييل طريقة جديدة في ادارة المدارس بواسطة العرفاء . ويجد القارئ اعلاه مدرسة لندنية تحتوي على ٣٦٥ طالباً يديرها معلمان او ثلاثة . لاحظ العرفاء الى الجانب الايسر من الصورة وقد وقف كل منهم يراقب اعمال صف كامل من الطلاب . طريقة اقتصادية ! . راجع ص ٢١٧ .

يبقى عشر سنوات اخرى تحت التجربة ويستعد للامتحان النهائي فاذا نجح عينته الحكومة معلما طيلة حياته ولا يحق لها ان تقلبه من منصبه هذا الا اذا كانت سيرته الاخلاقية غير محمودة . ويحق لهؤلاء اذا شاؤوا ان يتموا تحصيلهم في دار المعلمين العالية . واما دار المعلمين العالية فالدراسة فيها تستغرق ثلاث سنوات ويعين متخرجوها مدراء المدارس الابتدائية ومعلمين في المدارس الثانوية ومفتشين او مدبرين للمعارف .

٢ - في انكلترا

ان الدوام على المدارس الزامي في انكلترا من السنة الخامسة الى الرابعة عشرة ومراقبة الحكومة لتنفيذ هذا القانون شديدة والطفل ملزم بطبيعة الحال على التحصيل في المدارس الابتدائية الى السنة الثانية عشرة لان الحكومة لا تسمح له بالاستخدام في المعامل والمناجم قبل تلك السن فيضطر ان يدخل المدارس . واكثر المدارس في انكلترا خاصة الا انها تستعين بمساعدات مالية تأخذها من الحكومة وللحكومة ايضا مدارس رسمية ومجالس خاصة للملاحظة شؤون المعارف .

المعلمون

ابتكر الدكتور بيل [A. Bell] طريقة جديدة في ادارة الصفوف والمدارس وعضده في عمله هذا رجل آخر يدعى لنكستر (Lancaster) والغرض من هذه الخطة الجديدة استبدال المعلمين بجماعة من الطلاب المتقدمين في دروسهم ويدعون مراقبين (Monitors) وقد استطاع لانكستر باستعماله هذه الطريقة الجديدة ادارة مدرسة تحتوي على الف طالب وحده بمساعدة المراقبين . ولهذه الطريقة تفصيلات كثيرة لا مجال لذكرها هنا والمهم ان هذه الطريقة شائعة ومستعملة في انكلترا فالطالب يتمرن على التعليم والتدريس وهو طالب ثم يدخل كلية المعلمين وبعد ان يتخرج منها يستخدم معلما . ويبلغ معدل راتب المعلم في انكلترا قبل الحرب ١٨٠ ليرة انكليزية .

٤ - في الولايات المتحدة الاميركية

ليس في الولايات المتحدة الاميركية نظام عام للمعارف تسير عليه جميع الولايات وانما يوجد لكل ولاية نظام خاص . والتعليم الابتدائي في اميركا مجاني وكذلك المدارس الثانوية والعالية في اكثر المقاطعات وخصوصاً في الولايات الغربية . اما نظام التعليم الانزامي فموجود اسماً ولا تهتم الولايات المتحدة اهتمام المانيا بتنفيذ هذا القانون ولذلك تجد ان الاميين في اميركا اكثر عدداً منهم في المانيا .

تقسيم التعليم

ينقسم التعليم في اميركا اربعة اقسام يستغرق كل قسم منها اربع سنين فهو تعليم اولي من السادسة الى العاشرة ، والتعليم ابتدائي من العاشرة الى الرابعة عشرة ، والتعليم ثانوي او صناعي من الرابعة عشرة الى الثامنة عشرة ، والتعليم فني عال من الثامنة عشرة الى الثانية والعشرين . والاطفال الاميركيون جميعاً يمرون بالتسمين الاولين . وعدددهم يزداد في كل يوم ويشترك فيه العمال بقصد التعليم الثانوي وما فيه من درس لاتيني . وكثير منهم مع هذا ينصرف عن هذا التعليم بعد سنتين نحو السادسة عشرة ليجتهد له عن عمل في التجارة او ينتظم في المدارس الصناعية التي تعني قبل كل شيء بان تحل تلاميذها محل صغار العمال في المعامل : وطائفة ممتازة هي التي تصل الى التعليم العالي الذي يعاب بان حظه العملي قليل . (١)

المعلمون

في الولايات المتحدة نحو ٦٠٠,٤٠٠ معلم وعشرون في المائة فقط رجال والباقي نساء . والغريب ان عشرة في المائة من المعلمين والمعلمات هم خريجو مدارس المعلمين والسبب في ذلك ان نظارة المعارف لا ترتبط مع المدرس لاكثر من خمس سنوات ولهذا ينفر الطالب من سلك التعليم وينصرف الى صناعة سواها

مدرسة في لندن سنة ١٨٧٠



يرى القارىء ان المعلمة كانت تشغل غسالة وتعلم الصغار في الوقت نفسه
ولا تزال امثال هذه الكتاتيب شائعة في بلادنا حتى اليوم



التعليم في الاقطار الغربية

اليك نسبة الاميين في الاقطار الغربية المختلفة كما وردت في احصاء وضع في
اوائل القرن الحالي :

نسبة الاميين في اسوج ونرويج والمانيا وسويسرا		اقل من واحدة في المائة
» » في فنلندا وفرنسا وانكلترا		من واحد الى ستة » »
» » في سكوتلاندا		من ١٢ الى ١٦ » »
» » النمسا والمجر واليونان		من ٢٠ الى ٣٠ » »
» » ايطاليا		٤٠ » »
» » روسيا واسبانيا		من ٦٠ الى ٧٥ » »
» » بلغاريا وورمانيا وسربيا وتركيا		اكثر من ٨٥ في المائة

اخلاصة

ترمي التربية من الوجهة الاجتماعية الى تحسين حالة الهيئة الاجتماعية وحفظ
انظمتها وتهتم بحسن اختيار مادة التدريس لتعد الفرد للحياة المثلى في الهيئة الاجتماعية.
اعم ما نشاهده في هذه النزعة اهتمام الحكومات بتعميم التعليم بين الطبقات المختلفة
وذلك بانشاء مديريات خاصة للمعارف تأخذ على عاتقها القيام بامور التربية والتعليم
والاشراف عليها . واقدم الامم التي قدرت اهمية التعليم وواجب الحكومة تجاهه هي
الامة الالمانية . ثم اخذت بقية الامم تقتفي اثرها الى ان اصبح التعليم بيد الحكومة
في اغلب الامم في عصرنا الحاضر .



الفصل الخامس عشر

الخاتمة الزعة الانتخابية الحالية

نظرة عامة ، امتزاج التزعات البسيكولوجية والعلمية والاجتماعية ، التزعات التهذيبية الحالية ، التوفيق بين الرغبة والاجهاد ، معنى التربية ، منهاج المدارس ، الطريقة ، العضلة الدائمة .

نظرة عامة

ان النظريات التهذيبية في وقتنا الحاضر ترمي الى اقتباس المبادئ العامة المستحسنة من التزعات الاخيرة الثلاث وترتيبها بشكل موحد منسجم . وكذلك يرى المدقق ان الزعة الانتخابية الحديثة تعمل على تطبيق هذه المبادئ العامة الموحدة في غرف التدريس بصورة عملية . ولا شك ان كثرة التعديلات في المناهج والمادة والاساليب التدريسية — مضرة بالمدارس وقد تسبب ضياع الوقت والفائدة ولكنها — مع كل ما يتبع عنها من المساويء والاضرار — برهان جلي على ترقى العلوم وتطورها واشارة صريحة بوجوب التوفيق بين الحياة العلمية العملية النامية والحياة المدرسية ومادتها واساليبها . فالزعة الانتخابية الحالية تنظر الى ما تتطلبه الحياة الحاضرة بانواعها المختلفة وتجعل التربية وسيلتها في تهيئة الفرد لهذه الحياة منتخبة من التزعات البسيكولوجية والعلمية والاجتماعية احسن المبادئ واصلاحها واكثرها ملائمة للحياة الحاضرة المتطورة

امتزاج النزعات البسيكولوجية والعامة والاجتماعية

لنر الان ما هي الخدمات التي قامت بها كل من هذه النزعات الثلاث في توليد الفكرة الانتخائية الحالية ، ذكرنا في الفصول السابقة ان النزعة البسيكولوجية اهتمت كل الاهتمام بطريقة التدريس ، والنزعة العلمية بمادة الدروس ، والنزعة الاجتماعية بتوسيع هدف التربية وتنظيم المدارس وتأمين سيرها . الا ان هذا الكلام عام ومبهم ولا بد لنا من التدقيق في اثار تلك النزعات بصورة موجزة :

من روسو ونزعته الطبيعية نشأت الفكرة القائلة بان الطفل محور التربية وان واجب التربية الاعتناء بالطفل في كل طور من اطوار حياته . ثم جاء بستالوزي وقال ان حسن التعليم يتوقف على معرفه نفسية الطفل والعطف والشفقة عليه وان الملاحظة او الادراك الحسي يجب ان يكونا اساس التعليم الصحيح . واتى بعده هربارت وجعل الاخلاق الحميدة غاية للتربية الصحيحة ووضع اسساً علمية لعلم النفس وبنى عليها طريقته المشهورة في التربية والتعليم ولعب فروبل دوراً مهماً بابتكاره فكرة حديقة الاطفال ووجوب الاعتناء بالالاعيب والاعمال اليدوية . ثم قامت النزعة العلمية الحديثة واحيت فكرة التربية الحرة التي عضدتها النزعة الاجتماعية ووسعتها وزادت عليها . فترى من هذه الخلاصة الصغيرة ان الحركات التهذيبية الحديثة مساعدة بعضها لبعض وكلها ترمي الى غاية واحدة وهي اعداد الفرد للحياة الكاملة .

النزعات التهذيبية الحالية

ان احسن واسطة لتخليص النزعات الماضية هي ان نذكر كلمة عن أثرها في النزعات التهذيبية الحالية ، فالذي يلقي نظرة عامة على مناهج المدارس يلاحظ امراً مهماً وهو كثرة تعديل المناهج وبالاخرى توسيعها لتتطابق التطورات الاجتماعية . واذا تتبعنا تطور طرق التدريس في اوقاتنا الحاضرة لوجدنا ان كبار المصلحين يحاولون تعيين هذه الطرق ووضعها بقلب علمي عملي وهذا يقتضي عناية خاصة بتدريب

المدرسين ومراقبتهم بعد تخرجهم .

ومما يستلفت نظر الباحث في النزعات التعليمية الحديثة اهتمام الحكومات بتوحيد التعليم والاشراف عليه ومراقبة سيره اهتمامها ببقية الامور الاقتصادية والاجتماعية . ولقد تسربت نزعة الاختصاص الشائعة في ميادين الصناعة والاقتصاد الى التربية والتعليم فاخذ المعلمون يختصون في فرع من الفروع وينصرفون الى التعمق والتوسع في درسه ثم يتعاطون تدريسه طيلة عمرهم .

وهناك تيار قوي يرمي الى اهمال التعاليم الدينية من المدارس الغربية ولهذه الفكرة انصار كثيرون وقد نجحوا نجاحاً باهراً في فرنسا وامريكا حيث تضاءل نفوذ رجال الدين . وهكذا حذفت دروس الكتاب المقدس والتعاليم الدينية التي كانت تشغل قسماً لا يستهان به من المناهج التدريسية القديمة في المدارس الابتدائية . ولا يخفى ان للتربية الدينية شأناً مهماً في التربية الخلقية فاضطر قادة هذه الفكرة ان يستبدلوا دروس الدين بدروس اخلاقية فلا يجنب الطفل السرقة لان الدين يأمر بتجنبها ولكن لان العقل والحكمة يستوجبان ذلك .

التوفيق بين الرغبة والاجهاد (١)

تظهر النزعة الانتخائية بوضوح وجلاء في اعمال المربين الذين يحاولون التوفيق بين عناصر الرغبة والاجهاد . وضع لوك واتباعه اسس التربية الترويضية ثم جاء روسو وقادة النزعة البسيكولوجية فوضعوا الرغبة اساساً لآرائهم في التربية والتعليم . وقد احتدم الجدل بين قادة هاتين الفكرتين في اواخر القرن التاسع عشر . واما في اوقاتنا الحاضرة، حيث تسود النزعة الانتخائية، فقد توصل قادة الفكر الى التوفيق بين هاتين الفكرتين . واليك زبدة آرائهم بهذا الصدد :

يبتدىء سير التعليم معتمداً على الرغبة في بادىء الامر، والاجهاد يكون بطبيعة الحال

(١) راجع بحثنا عن الرغبة والاجهاد في كتاب فلسفة التربية . ص ٢٩

نتيجة للرغبة . والغاية من مراعاة ميول الطفل ورغبته هي الوصول به الى الدرجة التي يذل فيها جهوده بطيبة خاطر وارتياح لاستيعاب موضوع يعتقد انه ضروري له في حياته الحالية او المقبلة . وغني عن البيان ان الرغبة والاجهاد وسيلتان يتدرع بها المدرس لغاية معينة وهي التربية الصحيحة . فاذا اعجزت الرغبة عن القيام بمهمتها اضطر المعلم الى ان يستخدم الاجهاد فكلما العالمان مهم والاجهاد الفضل الاكبر في اجتياز تلك المراحل التي تعجز الرغبة عن قطعها .

معنى التربية

يعتقد الاستاذ مونرو ان احسن تعريف حديث تتجلى فيه روح النزعة الانتخائية هو التعريف المشهور الذي وضعه الاستاذ هورن : « التربية هي العمل اللانهائي المقصود منه تكييف الفرد البشري جسما وعقلا لمحيطه العلمي والعاطفي والارادي » ولا يسعنا التعمق في هذا البحث . فعلى الذين يريدون التوسع في معنى التربية في وقتنا الحاضر ان يراجعوا كتابنا فلسفة التربية المترجم عن كتاب الدكتور هورن .

منهاج المدارس

قضت النزعة التهذيبية الحالية على فكرة المحافظين القديمة التي كانت تقدر المناهج وتحتاجي تعديلها . والرأي السائد الان لدى كبار المربين هو وجوب تعديل هذه المناهج دائما ولكن بصورة تدريجية وذلك لان الاحوال الاجتماعية دأمة التطور فالحياة الاجتماعية باوجهها العديدة تختلف الان عما كانت عليه منذ عشرين سنة ولا ريب في انها ستتغيرها عما هي عليه الان بتقدم العلوم والفنون وترقيها المطردة . فينتظر من المربي في وقتنا الحاضر ان يراقب سير العلوم والفنون وتطور الاحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية ثم يجعل منهاج مدرسته ملائماً لها ويهيء في تلك المدرسة الوسائل الضرورية لتطبيق منهاجه الجديد .

الطريقة

عرف الاستاذ مونزو طريقة المدرس فقال : هي كيفية سير المدرس في تقديم المادة للطالب بقصد تنمية قواه الكامنة وتدريبها وجعلها عضداً له في حياته الاجتماعية المقبلة . يحتاج المدرس عادة الى تدريب لائق هذه الطريقة وقد يتوصل اليها بطبيعته دون درس او تمرين في دور المعلمين والجامعات . وسواء اتوصل اليها بطبيعته او بدرس خاص فالواجب يقضي عليه ان يتحاشى التكلف والتمنع وان يسير في دروسه متبعاً طريقته بصورة لا شعورية .

رب قائل يقول « المدرس مطبوع » فما هي الفائدة من درس اصول التدريس ومبادئ التربية وتاريخها وفلسفتها ؟ لا شك ان حسن التدريس يتوقف على الاستعداد الفطري وان الانسان ، اذا لم يكن له ميل خاص واستعداد فطري الى صناعة التعليم الشريفة ، فخير له ان يتعاطى صناعة غيرها . المعلم كالشاعر . هل بوسعك ان تكون شاعراً مجيداً اذا لم تكن ذا قريحة شعرية ؟ وكذلك لن تكون ماهراً في صناعة التعليم اذا لم يكن لديك استعداد خاص لها . وما الفائدة من درس اصول التدريس ، والتربية بفروعها المختلفة ، سوى تنمية هذا الاستعداد الفطري الموجود في المعلم ، وارشاده الى حسن استعمال هذه المواهب . فالمعلم الماهر هو ذلك الرجل الذي يميل بطبيعته الى التعليم والذي يستفيد من دروس التربية وعلم النفس فيفهم احوال الطفل النفسية ويكيف مادته بمقتضاها .

المعضلة الدائمة

همة التربية — في كل دور من ادوار الهيئة الاجتماعية — ان تنقل الى النشء الجديد عناصر الثقافة القديمة المفيدة في الحياة العملية ، وان تلقنه زبدة ما وصلت اليه اعمال البشر وجودهم . واهم من ذلك كله يجب عليها ان تمنح الفرد الحرية الكاملة في وضع هدفه ، معين يسعى اليه ويكيف اعماله بمقتضاه .

فهمة المربي حسن اختيار المادة الضرورية مراعيًا حرية الفرد ومحافظًا على سعادة المجتمع البشري وتقدمه، فيضع هذه المادة في المناهج ويؤسس المعاهد لتطبيقها . ومهمة المدرسة ان تأخذ المادة التي يصطفها المربي وتسعى لنشرها باتقان بين الطلاب وترشدهم الى السبل التي تنتهي بهم الى تحسينها وترقيتها . ولها واجب اهم من هذا الا وهو توليد الخلق الحسن والحصل الحميدة فتنبت في النشء روح المحبة المتبادلة والمواظرة والاخلاص في سبيل سعادة الهيئة الاجتماعية . وواجب الهيئة الاجتماعية في هذا الصدد ان تعضد هذه المعاهد وتقدر المعلم حق قدره فتحقق عنه متاعب صناعته الشاقة فيرتاح الى عمله المقدس ويزداد نشاطه وتتضاعف همته .

وهكذا تتعاقب الاجيال والتربية تحاول ان تصل الى هدفها البعيد وهو كالنجم ابداً في ابتعاد ! ...

انتهى الكتاب

انتهى طبع هذا الكتاب في ٢٥ شوال سنة ١٣٥٥

الموافق ٨ كانون اول سنة ١٩٣٧ على

مطابع الكشاف

طبع منه الف نسخة على ورق عادي ومئة نسخة على ورق ممتاز

مرقومة من ١ الى ١٠٠

DATE DUE

370.9:M39t2A:c.1

مشفوق، عيد الله

تاريخ التربية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01022279

American University of Beirut



370.9

M39t2A

General Library

